

تاريخ نقد العهد القديم

من أقدم العصور حتى العصر الحديث

تحرير: زلمان شازار ترجمة: أحمد محمد هريدي تقديم و مراجعة: محمد خليفة حسن



204

المشروع القومي للترجمة

تاريخ نقد العهد القديم من أقدم العصور حتى العصر الحديث

تحرير

زالمان شازار

ترجمه من العبرية

أحمد محمود هويدي

تقديم ومراجعة

محمد خليفة حسن أحمد



٢٠٠٠

هذا الكتاب ترجمة للجزء الأول من كتاب :

זלמן שזר

מפרד"ס התנ"ך

מחקרים במקרא ובתולדות ביקורת המקרא

הוצאת "קרית ספר", ירושלים - תשל"ט

تقديم

يتناول الكتاب الذى نقدمه للقارئ الكريم تاريخ نقد العهد القديم من بدايته وحتى العصر الحديث . والعهد القديم هو كتاب اليهود المقدس الذى يتكون من ثلاثة أقسام رئيسية هى التوراة وأسفار الأنبياء وأسفار المكتوبات (الحكمة) . ونشير هنا إلى أسباب نشأة نقد العهد القديم وتطوره (أو أسباب تطوره) .

أولاً : النقد اليهودى

تطور نقد يهودى للعهد القديم ، وهو نقد نستمد من نص العهد القديم نفسه ، فضلاً عن النقد الذى أتى من مصادر يهودية خارجة عن العهد القديم ، والأسباب التى أدت إلى وجود النقد اليهودى هى :

١ - الاختلاف اليهودى حول نص التوراة

وقد نشأ فى وقت مبكر ، حيث تعرضت التوراة المنزلة على موسى عليه السلام للضياع كنص دينى ثابت . وتطور لدى بنى إسرائيل " اليهود " روايات شفوية حلت محل النص الإلهى المكتوب " المدون " . وظلت التوراة على هذا الوضع الشفوى من بعد عصر موسى وحتى منتصف القرن الخامس قبل الميلاد ؛ حيث تم تثبيت نص التوراة وتم تدوينه بعد أن كان نصاً شفويًا . وهذه المرحلة تغطى ما يقرب من ثمانية قرون كاملة اتخذت التوراة هذا الشكل الروائى الشفوى . وكانت بطبيعة الحال أشبه بالكتاب المفتوح الذى يضاف إليه وينتقص منه على حسب الاتجاهات والمذاهب الدينية اليهودية التى ظهرت فى الحياة اليهودية خلال القرون الثمانية . والتى نتج عنها تعدد

الروايات ، ثم قيام عزرا بعملية تحرير لما هو متوافر أمامه من روايات تورانية شفوية ، والقيام بعملية توفيق بين المواضع المتناقضة والمواضع المختلفة ، والانتهاء من وضع نسخة واحدة للتوراة هي التي تم تثبيتها والاعتراف بها منذ عصر عزرا . ويلاحظ أن هذا العمل الكبير ينطبق فقط على التوراة وليس على بقية الأسفار . ونظرا لأهمية هذا العمل اكتسب عزرا مكانة عظيمة في التاريخ الديني اليهودي . وعادة ما يربط بموسى عليه السلام في الأهمية ؛ لأنه على حسب الفهم اليهودي إذا كان موسى عليه السلام هو الذي تلقى الوحي فإن عزرا هو الذي حفظه وثبته . ولا يستبعد في أن يكون هذا سبب تقديس عزرا . وهناك إشارات قرآنية لهذا التقديس .

٢ - الفرق اليهودية واختلافها حول نص العهد القديم

ومن أهم الفرق اليهودية وأقدمها فرقة السامريين التي تعود نشأتها حسب الفهم اليهودي إلى الانشقاق الذي حدث بعد موت سليمان عليه السلام وانشقاق مملكته إلى شمالية وجنوبية . وأصبحت السامرة العاصمة السياسية والدينية للمملكة الشمالية ، ونافست السامرة أورشليم كمركز ديني وسياسي . ونتيجة لهذا الانقسام رفض السامريون التراث الديني المرتبط بأورشليم ، ورفضوها كقابلة دينية حتى سقوط السامرة ٧٢١ ق.م. ومع هذا التطور ظل اللاهوت السامري منافسا لللاهوت أورشليم ، واستمرت فرقة السامرة في الوجود منذ ذلك الوقت وحتى الآن . وهم لا يعترفون باليهود الربانيين ، كما أن اليهود الربانيين لا يعترفون بهم ويرفضون الزواج منهم ، ولا يعتبرونهم يهودا ، ويضموهم للأمم الأخرى . وموقف السامريين من الكتاب المقدس هو أنهم لا يعترفون إلا بالأسفار الستة الأولى فقط من العهد القديم ، ولهم تفسيرهم الخاص للتوراة ، كما أنهم يفسرون بعض مواضع من التوراة حسب رؤيتهم الدينية . ويفسرون الفقرات التي تشير إلى أورشليم على أنها تشير إلى مكانهم المقدس أو

قبلتهم الدينية الجديدة ، وهى السامرة . وتفسير الفقرات الخاصة بجبل صهيون على أنها تشير إلى جبلهم المقدس ، وهو جبل جريزيم . وبالإضافة إلى رفضهم بقية أسفار العهد القديم يرفضون كل التراث الشفوى الذى يعترف به ويقدسه اليهود الربانيون وهم أيضا يرفضون التلمود وكل الشروح التى بنيت عليه ويرفضون ما يسمى بالشرعية الشفوية . وهم يقولون فيما يتعلق بالعهد القديم " التوراة الربانية " أنها توراة محرفة قام بتحريفها عزرا الكاتب . وقد كونوا داخل اليهودية فرقة دينية مستقلة لها رؤية دينية يهودية مستقلة .

أما فرقة القرائين فهى فرقة لا تعترف إلا بأسفار العهد القديم ، وتسميتهم مأخوذة من كلمة " المقرأ " ، وتعبر التسمية عن الموقف الدينى الراض للتراث الدينى خارج المقرأ . وهم يرفضون التراث الشفوى والشرعية الشفوية غير المكتوبة ، ويرفضون التلمود . وقد دخلوا مع الربانيين فى جدل دينى كبير خلال العصر الوسيط - وهم واقعون تحت تأثير إسلامي - خاصة فيما يتعلق بنقد العهد القديم ومفهوم الألوهية .

٣ - اختلاف البيانات اليهودية

من المعروف أن التاريخ اليهودى تميزه ظاهرة الشتات الذى نتج عنه حياة اليهود فى ظل بيئات وثقافات وحضارات مختلفة وقعوا تحت تأثيرها : منها بيئات وثنية قديمة ، ومنها بيئات توحيدية مثل المسيحية والإسلام ، ومنها أيضا بيئات حديثة معاصرة تنتشر فيها العلمانية والإلحاد كما هو الحال فى أوروبا المعاصرة وأمريكا . وفى ظل هذه البيئات المختلفة ببئيا ومذهبيا تكيف اليهود مع الأوضاع الثقافية والفكرية لهذه البيئات ، واستجابوا إيجابا وسلبا للمعطيات الفكرية لهذه البيئات كما انشغلوا أيضا بعمليات الجدل الدينى وبخاصة فى البيئات التى تعرضت لنقد اليهودية ، ونقد كتابها المقدس . وقد اشتد الجدل على وجه التحديد فى البلاد المسيحية والإسلامية

التي لها أصلا موقف من الكتب المقدسة اليهودية ، الأمر الذي أدى إلى تطور نقد للكتب المقدسة اليهودية في هذه البيانات .

ثانياً : النقد المسيحي

تطور نقد مسيحي لكتاب العهد القديم على الرغم من قبوله ككتاب مقدس وضمه إلى أسفار العهد الجديد في كتاب واحد تحت اسم " الكتاب المقدس " . ويظهر هذا النقد المسيحي في ذروته في التسمية التي اختارتها المسيحية للأسفار المقدسة اليهودية حيث أطلقت عليها اسم " العهد القديم " في الوقت الذي سمت فيه الأسفار المقدسة المسيحية باسم " العهد الجديد " . والدلالة النقدية هنا واضحة في الصفتين " القديم " و " الجديد " . وتشير هذه الدلالة إلى أن العهد المعطى لبنى إسرائيل أصبح عهداً قديماً أي باطلاً أو ملغياً ، وأن هناك أمة جديدة هي الأمة المسيحية دخلت في عهد جديد وحلت مكان الجماعة القديمة وهي جماعة بنى إسرائيل صاحبة العهد القديم الملغى .

كما تعرض العهد القديم للنقد المسيحي من خلال إعادة تفسيره في ضوء معطيات الدين المسيحي وعقائده المختلفة عن معطيات اليهودية وعقائدها . ولعل أهم مفهوم تلقى تفسيراً مسيحياً جديداً هو مفهوم الخلاص والمسيح المخلص ، حيث فسرت الديانة المسيحية كل ما ورد عن الخلاص والمسيح المخلص في العهد القديم تفسيراً جديداً ، واعتبرت كل الإشارات الخلاصية والمواضع التي ورد فيها ذكر المسيح المخلص مشيرة إلى الخلاص الذي أتى به عيسى عليه السلام وإلى عيسى عليه السلام كمسيح مخلص .

ثالثاً : النقد الإسلامي

بالنسبة للنقد الإسلامي للعهد القديم ، فقد أتى القرآن الكريم بنظريتين أساسيتين هما عماد النقد الإسلامي وأصبحت فيما بعد عماد النقد الغربي الحديث والذي تمثله

مدرسة يوليوس فلهاوزن أفضل تمثيل . وهاتان النظريتان هما نظرية التحريف والتبديل ، ونظرية تعدد المصادر والتي أصبحت أساس النقد المصدري للتوراة وبقية أسفار العهد القديم فى القرنين التاسع عشر والعشرين . وهنا يجب أن نتعامل مع مصطلحي " التحريف والتبديل " على أنهما مصطلحان نقديان ينتميان إلى مجال النقد الأدبى . وتشير المعانى الأساسية لهما فى القرآن الكريم إلى الدلالة النقدية الأدبية قبل أن يتحولا فى القرآن الكريم وفى المصادر الإسلامية الناقدة للتوراة إلى مصطلحين مفعمين بالدلالة الدينية وهى إحداث التغيير فى الدين . فالعبارة القرآنية " يحرفون الكلم عن مواضعه " (المائدة : ١٣) تشير إلى حدوث عملية لغوية أدبية أسلوبية تم من خلالها تغيير الدلالة الدينية . ومعنى الآية " يبدلون الكلم من معناه " والكلم هو التوراة وذلك بتحريفهم التوراة وكتابة ما يرغبون فيها ومحو ما لا يرغبون أو تحريفهم معانيها بما يتفق وأهوائهم . وكذلك فى الآية " يريدون أن يبدلوا كلام الله " (الفتح : ١٥) أى يغيروه . فالمقصود بالتحريف والتبديل تغيير الكلام ليعطى معنى غير المعنى الأصلى الذى أتى به الوحي . وفى النقد الأدبى الحديث تم تفرغ هذه المصطلحات من دلالاتها الدينية وأصبحت مصطلحات نقدية أدبية عامة تطبق على أية نصوص أدبية كانت أو دينية .

أما نظرية المصادر فقد عبرت عنها الآية القرآنية الكريمة " أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا " (النساء : ٨٢) . والمعنى المباشر هو أن الاختلاف ينتج عن تعدد المصادر الإنسانية . أما المصدر الواحد - وهو الوحي الإلهى - فوحدته تمنع الاختلاف والتناقض .

رابعاً : تطور نقد العهد القديم فى العصر الحديث

تأثر اليهود بأشكال النقد المسيحى والإسلامى فى العصر الوسيط ، فرفضوا أكثره

وقبلوا بعضه ، وظهرت فرق يهودية متأثرة بالنقد المسيحي والإسلامي ، وظهرت فرق متأثرة أيضا بالفلسفة وبالتفسير العقلي للكتب المقدسة والتزمت بتأويل الفقرات التي ليست قابلة للتفسير الحرفي والتي يبدو منها أنها متناقضة مع العقل . أما اليهود الذين عاشوا في أوروبا وأمريكا فقد وقعوا تحت تأثير الثقافة الغربية ومعظمها ثقافة علمانية تفصل بين الدين و(الدنيا) النولة، ويعضها لا يعترف بالدين أصلا انطلاقا من عدم الاعتراف بالآلوهية أو بوجود إله. وقد انخرط اليهود في هذه التيارات فنجد أن بعضهم تشدد ضدها متمسكا بصحة العهد القديم والديانة اليهودية ، وبعضهم ترك اليهودية وأصبح علمانيا أو ملحدا . كما خضع اليهود أيضا للتيار العقلاني وفسروا اليهودية والكتاب المقدس تفسيراً عقلياً .

ونشأ عن هذا الاتجاه مدرسة نقد الكتاب المقدس وخاصة نقد العهد القديم . وهناك عدة أسباب لتطور علم نقد الكتاب المقدس في العصر الحديث . منها :

١ - الاكتشافات الأثرية في منطقة الشرق الأدنى القديم

أدت الاكتشافات الأثرية في العصر الحديث إلى التعرف على معظم الكتابات العربية القديمة والتعمق في معرفة النصوص الهيروغليفية المصرية ، والكتابات المسماة والحواليات الآشورية والبابلية ، وكذلك التعرف على بعض اللهجات العربية (السامية) التي كانت مجهولة ومن أهمها اللغة الأوجريتية نسبة إلى أوجريت " رأس شمرا حاليا " في المنطقة السورية وتأثير هذه اللغة على العبرية والآرامية ، والتعرف أيضا على النقوش العربية الشمالية والجنوبية، ومن هذه الاكتشافات أيضا وثائق البحر الميت والتي كان لها أثر كبير في معرفة طبيعة الفترة المحصورة بين العهدين ، أى بين نهاية العهد القديم وبداية العهد الجديد ، والتعرف على الفرق اليهودية والحصول على نسخ متعددة من أسفار العهد القديم لم تكن موجودة من قبل .

ومن أهم نتائج الاكتشافات الأثرية ، اكتشاف مجموعات قانونية جديدة فى مصر القديمة وبلاد النهرين كشفت لنا عن مؤثرات مصرية آشورية بابلية على الأحكام والتشريعات التوراتية بعد أن ساد الاعتقاد بأن الإسرائيليين القدامى فقط هم الذين أنشأوا التشريعات وطبقوها على حياتهم . وقد أثبتت هذه الأمور جميعا فشل النظرية التى تقول بالاستقلال الدينى والفكرى لجماعة بنى إسرائيل عن الشعوب المحيطة استنادا إلى الاختلاف فى العقائد الدينية بين التوحيد فى بنى إسرائيل والتعدد عند غيرهم حيث ثبت اتصال جماعة بنى إسرائيل بالشعوب الأخرى فى الشرق الأدنى القديم ووقوعهم تحت التأثير الحضارى للشعوب السورية والمصرية والعراقية القديمة وأيضا الفرس ، وأثبتت أيضا دور الشتات فى وقوع التأثير الأجنبى على بنى إسرائيل .

٢ - اكتشاف عجز نظرية فلهاوزن فى الكشف عن طبيعة العهد القديم

نجحت مدرسة فلهاوزن نجاحا كبيرا فى تحديد مصادر التوراة ، وقد ركزت على ذلك تركيزا شديدا ولم تتجاوز حدود النقد المصدري إلى تطوير اتجاهات نقدية أخرى تساعد على فهم العهد القديم وبالتالي فهم حياة بنى إسرائيل قديما من خلال العهد القديم الذى يعد المصدر الوحيد لتاريخ بنى إسرائيل وديانتهم . ومن النقد الذى وجه إلى نظرية فلهاوزن أيضا الاستغراق الشديد فى تحليل النص ومفرداته وتحديد علاقة الوحدات الأدبية الكبيرة والصغيرة ببعضها البعض ، والاهتمام بالنقد اللغوى ، وهى كلها مقدمات نقدية هامة من حيث إنها أثبتت إنسانية النص أو على الأقل اختلاط المادة الإنسانية بالمادة الإلهية فيها وعلى الرغم من هذه النتيجة الكبيرة ظل العهد القديم كتابا مغلقا صعب الفهم على المستوى الدينى والأدبى والتاريخى والاجتماعى والاقتصادى . ويؤخذ على نظرية فلهاوزن أيضا التركيز الشديد على المصدرين

الكهنوتى والتثنوى وهما مصدران مهتمان بالجانب الخاص بالعبادة والخدمة الدينية والتشريعات وفيها إهمال لبعض الجوانب التاريخية والعقائد والجوانب الاجتماعية . وقد تم إهمال شرح نصوص العهد القديم على المستويات المذكورة وعدم الاهتمام بتحليل الأحداث التاريخية وعدم التعرف على الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية التى أدت إلى نشأة النصوص وتطورها فى شكل روايات شفوية قبل أن يتم تدوينها . ولم تهتم أيضا بتحليل ومعالجة الصور والأشكال الأدبية المختلفة الواردة فى العهد القديم مثل القصص والروايات والحكم والأمثال ، كما أنها لم تهتم بدراسة المضامين الدينية والفلسفية والأخلاقية فى العهد القديم .

٣- التطور المنهجى فى العلوم الإنسانية والاجتماعية

شهد القرن العشرون تطور المناهج فى العلوم الإنسانية كما ازدهرت الدراسات الاجتماعية والأنثروبولوجية والنفسية ، وكذلك تطور علم الدين فى الغرب ونشأت مجموعة من العلوم الدينية ذات القيمة الكبيرة فى فهم مادة العهد القديم ومن أهمها : علم تاريخ الأديان ، علم الظاهرة الدينية ، علم مقارنة الأديان ، علم الاجتماع الدينى ، علم النفس الدينى ، علم الأنثروبولوجيا الدينية، وعلم جغرافية الأديان ، وكلها علوم حديثة استفادت من المنهج فى تخصصها وساعدت على تعميق المعرفة الدينية عند الإنسان والكشف عن طبيعة الخبرة الدينية ، وقد تم تطبيق مناهج هذه العلوم على بعض الشعوب البدائية ، ثم انتقل تطبيق هذه المناهج إلى مجال العهد القديم مما أدى إلى الدخول فى مرحلة جديدة من النقد أدت إلى فهم أكثر عمقا لديانة بنى إسرائيل ولطبيعة الإسرائيليين القدامى وعلاقاتهم الدينية والفكرية بالشعوب المحيطة بهم .

٤ - أثر الدراسات النقدية الأدبية فى نقد العهد القديم

استفاد نقد العهد القديم من التقدم الذى شهدته الدراسات النقدية الأدبية وبخاصة فى مجال تطبيقها على النصوص الأدبية الكلاسيكية مثل النصوص اليونانية واللاتينية وتطبيقها على الأعمال الأدبية الكلاسيكية الأوربية . وتطور عدد من المدارس والاتجاهات النقدية مثل المدارس الواقعية والرومانسية والتعبيرية وغيرها ، وانتهت هذه التطورات إلى نشأة عدة اتجاهات فى نقد العهد القديم منها بالإضافة إلى النقد المصدري والنصى التابعين لفلهاوزن تطور النقد الأدبى والتاريخى ونقد الصور الأدبية ، وتطور الاتجاهات الأدبية والفنية والأنثروبولوجية ، وتطور الاتجاه النقدى المقارن والاتجاه الفلسفى والنقد الأخلاقى.

ويقدم هذا الكتاب عرضا موجزا لتاريخ هذه العملية النقدية الطويلة للعهد القديم فيبدأ بعملية تثبيت نص التوراة ، وهى فى حد ذاتها عملية نقدية قام بها عزرا الكاتب فى القرن الخامس قبل الميلاد ، حيث تم تدوين التوراة من خلال عملية تحرير للروايات الشفوية وكتابتها بعد محاولات التوفيق بينها بسبب اختلافها الراجع إلى تعدد مصادرها . ويشير الكتاب إلى النسخ التوراتية المختلفة وموقف الفرق اليهودية من العهد القديم وعملية البحث عن مؤلفى العهد القديم وتحديد الكتب للمقروء والمكتوب . وموقف علماء التلمود من العهد القديم وعملية البحث عن مؤلفى العهد القديم ، والإشارة إلى تداخل الأقوال فى أسفار الأنبياء وإلى التناقضات داخل التوراة وإعطاء أمثلة على هذا التناقض . وأشار المؤلف إلى ازدهار النقد فى الأندلس بعد ظهور علوم اللغة والنحو بتأثير من علوم اللغة العربية . وتناول تطور التفاسير المسيحية للعهد القديم وبخاصة عند مارتن لوثر وتلاميذه . كما اهتم بتوضيح نور سبينوزا الفيلسوف اليهودى فى تطوير نقد العهد القديم وإثارة للعديد من المشاكل النقدية مثل مسألة

تأليف موسى عليه السلام للتوراة ، والنظر إلى أسفار الأنبياء على أنها أسفار تاريخية ومصدر تاريخي في المقام الأول ، وبور عزرا في تأليف التوراة وأقدمية سفر التثنية وزمن تأليف الأسفار الخمسة وغير ذلك من المشاكل النقدية .

وتعرض المؤلف لنظرية المصادر في النقد الغربي للعهد القديم بداية من أستروك وتحديد المصدرين اليهودي والأكوهيمي وإضافات أيشهورن ، وملاحظات هيردر وتشعبات إلجن المصدرية وآراء جديس وفيتز ودي - فته ، وتحديد المصادر الأربعة عند عدد من نقاد العهد القديم (وهي اليهودي والأكوهيمي والكهنوتي والتثنوي) . وقد خصص لمدرسة يوليوس فلهاوزن فصلا كاملا موضحا آراء هذه المدرسة كمدرسة مطورة لعلم نقد العهد القديم ، كما تعرض للآراء الحديثة بعد مدرسة فلهاوزن . واهتم بإعطاء ردود الفعل اليهودية تجاه النقد العلمي للعهد القديم وتطور نقد يهودي حديث بداية من نشأة مدرسة علم اليهودية ونقد العهد القديم في الأدبيات العبرية .

وعلى الرغم من قدرة المؤلف الجيدة على تغطية نقد العهد القديم بشكل موجز فقد أهمل النقد الإسلامي للتوراة وبقية أسفار العهد القديم إهمالا تاما على الرغم من أهمية هذا النقد الإسلامي في نشأة النقد اليهودي للعهد القديم في العصر الوسيط وبخاصة في الأندلس .

وقد قدم جهود العلماء اليهود في العصر الوسيط في نقد العهد القديم على أنها تطور يهودي داخلي ، والحقيقة التاريخية تثبت أن نشأة النقد وتطوره في العصر الوسيط إنما حدث بتأثير إسلامي مباشر عن طريق القرآن الكريم وأرائه النقدية في التوراة اليهودية وتقديمه لنظريات التحريف والتبديل ، وتعدد المصادر ، ووسائل إحداث التغيير النصي في التوراة . وأيضا من خلال مصادر علم الكلام عند المسلمين ، ومصادر تاريخ الأديان وعلى رأسها ابن حزم الأندلسي ومحمد الشهرستاني أعظم

مؤلفى المسلمين فى مجال الملل والنحل ، والأول (ابن حزم) يعتبر بحق مؤسس علم نقد العهد القديم . كما شملت أعمال المسعودى والغزالى على آراء نقدية هامة تستحق الدراسة . وننبه هنا إلى أنه لا يمكن دراسة نقد العهد القديم بمعزل عن التراث النقدى الإسلامى .

وفى النهاية أتوجه بالشكر الجزيل إلى مترجم هذا الكتاب الدكتور أحمد محمود هويدى الأستاذ المساعد بقسم اللغات الشرقية بكلية الآداب جامعة القاهرة على مجهوده الكبير الذى بذله فى ترجمة الكتاب عن اللغة العبرية الحديثة وفى موضوع صعب هو نقد العهد القديم .

وسيسفيد من ترجمته هذه المتخصصون فى عدد من المجالات من أهمها : تاريخ الديانة اليهودية ، وتاريخ العهد القديم ، والنقد الأدبى والتاريخى ، فإليه الشكر والتقدير .

محمد خليفة حسن

تصدير

تقدم علم نقد العهد القديم تقدما كبيرا فى الغرب منذ القرن الثامن عشر وحتى الآن ، وعلى الرغم من أن نقد العهد القديم علم إسلامى جذوره فى القرآن الكريم ثم فى كتب التفسير وكتب الملل والنحل ، لكننا لا نجد كتابا فى اللغة العربية قد اهتم ببيان هذا العلم عند المسلمين أو المستشرقين . وذلك باستثناء بعض الإشارات التى وردت عن مصادر التوراة فى ثنايا الكتب التى تناولت الديانة اليهودية خاصة كتاب " الفكر الدينى الإسرائيلى أطواره ومذاهبه " للأستاذ الدكتور حسن ظاظا (يرحمه الله) ، وكتاب " اليهودية " للأستاذ الدكتور محمد بحر عبد المجيد . أما أول دراسة وأقية باللغة العربية عن نشأة نظرية المصادر وبيان الخصائص التاريخية والدينية لكل مصدر فهى الدراسة القيمة التى قدمها الأستاذ الدكتور محمد خليفة حسن فى كتابه " علاقة الإسلام باليهودية ، رؤية إسلامية فى مصادر التوراة الحالية " . ولأن المكتبة العربية تفتقر إلى كتاب يتناول تاريخ نقد العهد القديم رأينا من واجبنا ترجمة كتاب يتناول هذا الموضوع لكى يفيد الدارسين فى مجال دراسات العهد القديم . ونقدم هنا الجزء الأول وهو يقدم رؤية تاريخية وصفية لتاريخ نقد العهد القديم منذ أقدم العصور حتى العصر الحديث ، وسوف نتبع ذلك - إن شاء الله - بالجزء الثانى . وأود هنا أن أشير إلى أن الهدف من ترجمة هذا الكتاب دعوة الباحثين إلى تأصيل نظريات نقد العهد القديم التى تطورت فى الغرب فى ضوء التراث الإسلامى ، حيث لا يمكن فصل نشأة نقد العهد القديم وتطوره عن نشأة وتطور الدراسات العربية الإسلامية وتطورها فى الغرب .

وما كان هذا الكتاب ليرى النور لولا التشجيع الدائم والمستمر من أستاذي العالم
الجليل الأستاذ الدكتور محمد خليفة حسن ، وقد أفدت كثيرا من ملاحظاته القيمة ،
التي أضفت على الترجمة وأسلوبها جمالا وروعة يلحظها القارئ في كل صفحة من
صفحات الكتاب ، فأتوجه لسيادته بخالص الشكر والتقدير والعرفان . وأشكر المجلس
الأعلى للثقافة لاهتمامه بنشر هذه الترجمة التي أرجو أن تحقق هدفها .

أحمد هويدي

مقدمة

اعتاد مؤلفو المداخل للعهد القديم أن يذكروا فى مقدمة كتبهم - بإيجاز شديد وفى خطوط عامة جداً - تاريخ نقد العهد القديم . وبإستثناء تلك الصفحات المعدودة والمقالات الموسوعية المنفصلة لم يكتب فى أى لغة كتاب قائم بذاته عن تاريخ تطور هذا الفرع العلمى ومنهجه ، الذى تحمس له عباقرة الفكر منذ الأزل .

وإذا كان الأمر كذلك فيما يتعلق بنقد العهد القديم عند أمم العالم ، فمن الأولى ذكر ما يتعلق بمحاولات نقد العهد القديم بين اليهود ، فعلماء الأمم ينظرون إلى الفكر العبرى كله بمثابة إرث للماسورا ، ولم يذكروا فى عروضهم الموجزة للباحثين أى باحث عبرى . بإستثناء بعض الأسماء من العصر الوسيط ممن كان لهم حظ الانتشار على يد باحث غير يهودى . واعتبر بحث العهد القديم علماً أجنبياً فى نظر رؤساء المتحدثين فى الدوائر اليهودية لفترة طويلة . وفى نفس الوقت لا يوجد مقال شامل باللغة العبرية عن تاريخ نقد العهد القديم عند اليهود . وفى نفس الوقت عرف الميراث الأدبى منذ عصر الجاؤونيم ، وتوصل بعض كبار المفسرين إلى القيم العلمية ، وأفاد العديد من الأثريين من الكنوز التى كشفت فى العالم . وفى الأدب الجديد يمكن كشف بعض المحاولات من جانب الباحثين اليهود لوضع أساس يهودى لهذا العلم . وتجمعت ثروة كبيرة من الأبحاث والأفكار والآراء التى توحدت حول وجهة نظر معروفة ، وحول ابتكار محدد واحد لنظرية محددة .

من أجل تحقيق هدفنا وهو أن نقدم للقارئ العبرى علوم العهد القديم بكل ثقافتها الأساسية ونوجه فكره تجاهها لا يمكننا أن نكتفى بهذه الدائرة الضيقة التى كونها آخرون لأنفسهم . فقبل أن نسير فى طلب البحث العلمى فى الخارج رأينا من الواجب علينا أن نغوص وسط الفكر العبرى ، ونحاول أن نلفت نظر المهتم العبرى بقسم بحثنا نحن الذى لم يتوقف منذ تكوينه وحتى الآن .

وفى هذا العرض - كما فى الأجزاء التى ستظهر مستقبلاً - رأينا على قدر استطاعتنا ألا نسعى وراء كثرة التفاصيل سواء فى القسم العبرى أو فى القسم العام ، وألا نسمح للقارئ أن يضل الطريق بين اضطراب النظريات والاتجاهات العديدة .

وقد كان أساس رغبتنا أن نبرز أساس العمل ، أى الطريق الأساسى الذى يرتقى من مرحلة إلى مرحلة ، ولم تكن أمامنا أهداف ببيولوجرافية ، ولذلك لا يبحث المتصفح للكتاب عن هذه الزاوية . ولم يكن غرضنا سوى أن نقدم تطور نظرية النقد ، لذلك نشير إلى التفاصيل التى توضح طبقاً لوجهة نظرنا حلقات التطور .

وكما قلنا ، فلم تدخل فى المناقشات آراء العلماء حول نظرياتهم أو آراء الذين دخلوا فى الصراعات دفاعاً عن مادة التوراة . ومن خلال حرب الآراء برزت النظرية العلمية ونقحت وتطورت ، وليس لنا هنا إلا أن نعبر عن هذا التطور فقط .

وحتى الآن لم يكتب كتاب شامل عن الموضوع ، ولكنه بحث فى فصول متفرقة من قبل الكثيرين . واهتم بعضهم بالموضوع بشكل كاف . ومن القسم العام نذكر كتب المقدمات ل : هولتسينجر وكورنيل واشتوير ناجل واشتراك واستيفل صاحب كتاب «مصادر التوراة» والمقالات المفصلة لبينتش وجونكل فى المجموعة الموسوعية « الدين فى التاريخ والعصر الحاضر » . ومن القسم العبرى نشير بوجه خاص إلى : ل . تسونس وأ . ه . فايس والبروفيسير أ . أ . فتوفيسر ود / ايزنشت ود / ش . فوزننكسى والبروفيسور ش . شاختر والبروفيسير زئيف باخر وأفراهام أفشتاين والبروفيسير ملتر ود / روزن ، ود / جوتمان وغيرهم ، فكتبهم ومقالاتهم كانت لنا معينا .

وهذا الكتاب ثمار عمل مشترك سواء فى خطته أو فى تفاصيل أقسامه ، ويعتبر م . سولوفيتشيك مسئولاً عن مضمون الفصل الخامس ، والفصول من السابع حتى الحادى عشر . كما يعتبر ز . روفشوف مسئولاً عن الفصول من الأول وحتى الرابع ، والفصل السادس ، والفصلين الثانى عشر والثالث عشر . وقد قام روفشوف بتحرير كل فصول الكتاب .

القسم الأول

نقد الموروث

الفصل الأول

تثبيت العهد القديم

١- التفسير في العهد القديم

متى بدأت في إسرائيل مواجهة مشاكل النصوص الموجودة في الكتابات المقدسة؟ ومتى بدأ البحث... عن أسس ترتيبها وكشف المعاني غير المقبولة فيها؟ بدأ ذلك في نفس الوقت الذي نزل فيه إلى العالم وحدد فيه مفهوم الكتاب المقدس.

إن تفسير هذا الأدب الذي تم جمعه واكتسب درجة من القداسة لم يكن ليتم إلا بعد دراسة متعمقة في كل أقسامه. وقد وجد الأنبياء المتأخرون أقوال الأنبياء السابقين مجموعة أمامهم فعكفوا على دراستها وتنقيحها من أجل نقدها أو للاعتماد عليها وتفسيرها.

وهناك إشارات نقدية أولية داخل مادة العهد القديم الموجودة حاليا، وأول هذه الإشارات في التوراة "... مفتقد إثم الآباء في الأبناء وأبناء الأبناء في الجيل الثالث والجيل الرابع" (الخروج ٢٤: ٧)، ثم أعلن حزقيال: "مالكم أنتم تضربون هذا المثل على أرض إسرائيل... وأنتم تقولون لماذا لا يحمل الابن من إثم الأب... النفس التي تخطئ هي تموت. الابن لا يحمل من إثم الأب... بر البار يكون عليه وشر الشرير عليه يكون" (حزقيال ١٨: ٢، ١٩-٢٠). وتنبأ النبي إرميا قائلا "إنني عند تمام سبعين سنة لبابل أتعهدكم وأقيم لكم كلامي الصالح بركم إلى هذا الموضع (إرميا ٢٩: ١٠)، ثم أعلن دانيال "سبعون أسبوعا قضيت على شعبك وعلى مدينتك المقدسة لتكتميل المعصية وتتميم الخطايا" (دانيال ٩: ٢٤).

وأدرك باحثو العهد القديم من التلموديين أثر هذا النقد، وأشاروا إلى أنه: "يوجد أحيانا نصان متناقضان فيآتي النص الثالث ويحسم هذا التناقض بينهما". وعلى ما يبدو لم تكن آراء الأنبياء متفقة فيما يتعلق بأساليب النقد وكيفية فهم التوراة المعترف بها عندهم. وإذا تنبهنا بإصغاء لأقوال النصوص ربما يتسلل إلينا صدى انقسام قديم بين مؤلفي العهد القديم المتأخرين حول طرق فهم الكتابات المقدسة السابقة عليهم. فالنبي إرميا غضب غضبا شديدا على رجال التوراة في عصره، وأعلن: كيف تقولون نحن حكماء وشريرة الرب معنا حقا إنه إلى الكذب حولها قلم الكتبة الكاذب" (إرميا ٨: ٨). وقد علق هـ غايس قائلا: "لم نستطع حقا معرفة ما هو الكذب الذي قصده النبي إذ يتضح أن هؤلاء الكتبة كتبوا أقوالا متصلة بالتوراة... وفسرت التوراة من طرفين متناقضين، واختار كل واحد من الطرفين لنفسه طريقا في تفسير التوراة وفهمها" (كل جيل ومفسروه ١، فصل ٢).

٢- تقسيم الأسفار وتثبيتها

بعد أن انتهى تأليف العهد القديم وحين وقت جمعه وتدوينه ، لم يستطع مثبتو العهد القديم إتمام عملهم حتى يضعوا أسس هذا البناء وإخضاعه لوجهة نظر روحية واحدة. ويتمثل هذا الإدراك الواضح والعميق للذين ثبتوا العهد القديم فى وحدة الألوهية السائدة فى الأسفار الأربعة والعشرين . وعلى الرغم من ذلك فهم لم يهملوا التغاضى عن التناقضات المختلفة بين الأسفار ولم يتحولوا عن رأيهم ورأى الجمهور . ولذلك كان من الضرورى القيام بعمل روحى كبير لتثبيت النصوص فى موضعها ، وإبراز وحدتها وشموليتها إلى حد التعيم على الأنماط الخاصة لكل واحد منها .

وتمثل روايات التلمود عن "أرادوا الإخفاء ولم يخفوا" شاهدا على الصراعات التى واجهها مثبتو العهد القديم مع المادة المقدسة السابقة عليهم . فحسب رواية التلمود تعرضت أسفار حزقيال ونشيد الأناشيد والجامعة لخطر الإخفاء . وهامى الأسفار الخفية ذاتها تمثل شواهد على حدوث ذلك . وكما ورد فى (شبات ١٢: ٢): "لا تنس الرجل الطيب حنانيا بن حزقيا بن جرون الذى لولاه لاختفى سفر حزقيال لأن أقواله تناقض أقوال التوراة ... فماذا عملوا ؟ لقد قدموا له ثلاث مائة جرة سمن وجلس فى العلية ووعظهم" . إن فضل حنانيا يبدو فى الكشف عن آراء الفرق وعمل جامعى العهد القديم وسبل التغلب على التناقضات العديدة بين الأسفار وعن جمعهم لأدب كامل للأجيال المختلفة أنجزوه من خلاله سفر الأسفار .

٣- مقارنة النسخ

وبعد أن تم اختيار الأسفار الأربعة والعشرين من بين المؤلفات الأدبية التى كانت قبلهم وفى عصرهم أعلنوا قدسيتها وتم الاعتراف بها عند اليهود . وظل هناك عمل مهم وهو تحديد النص المضبوط فى كل تفاصيله ، حيث وجدت فى أماكن مختلفة نسخ متعددة من الأسفار لم تكن متطابقة فى كل قواعدها ، كما لم يتفق الجميع على رأى واحد حول أفضل النسخ . وقد حفظ لنا الأدب التلمودى (انظر على سبيل المثال بابا مصيحا ٢٧ : ١ ، شبعوت ١٠ : ٢ ، ذباخيم ٤٨ : ٢ ، مناحوت ٤٣ : ٢ ، تمورا ١٨ : ٢ ، الأورشليمى زوطة ٨٨ ، ومواضع أخرى كثيرة) أثر هذه الاختلافات على القراءة الصحيحة للنص . وعلاوة على ذلك ، فقد حفظ لنا التلمود شواهد أكيدة عن الكيفية التى قارن بها الحكماء النسخ المختلفة التى وصلت إليهم ، وكيفية تحديد أقدمية النسخ

وأى النسخ أحق بالأقدمية. فالرّبي شمعون بن لكيش يحدد فى بحث الكتبة (الفصل ٦) قائلا: "ثلاثة أسفار وجدت فى عزرا: سفر الماوى وسفر الطفل وسفره هى . ووجد مكتوبا فى السفر الأول "حصن" وفى الثانى "إله القديم حصن" (التثنية ٢٣: ٢٧) فحفظ الثانى وألغى الأول . ووجد فى الأول نص "وأرسل إلى أطفال بنى إسرائيل" وفى الثانى نص "وأرسل فتيان بنى إسرائيل (الخروج ٢٤: ٥) فحفظ الثانى وألغى الأول . ووجد فى الأول نص إحدى عشرة مرة ووجد فى الثانى نص "إحدى عشرة مرة هى" فأبقوا على الأول وألغوا الثانى .

ومعنى هذا أنه كان هناك أسلوب محدد لقواعد نقد مادة العهد القديم . وطبقا لرأى بعض الباحثين فقد كان أسلوب المقارنة يمثل عندهم خطأ قياسيا فى حسم بقية المواضع المشكوك فيها ، وعلى هذا الأساس قدموا النسخة المعترف بها الآن .

٤- المقرء والمكتوب . تعديلات الكتبة

بدأ عمل الماسورا اعتمادا على إقرار العهد القديم وثبتيته . وتتمثل موضوعات بحث الماسورا فى : أعمال الكتبة الذين كلفوا بنسخ لفائف التوراة ، والذين حدث فى عصرهم وعلى أيديهم تغيير الخط العبرى المعروف باسم الخط الأصلى للنصوص إلى الخط الآشورى المربع ، الذى لا يزال مستخدما حتى الآن . ويضاف إلى ذلك عمل أصحاب العهد القديم الذين كانوا يقرأون التوراة على الجمهور فى المعابد ومعهم أيضا معلمو الأطفال . فلم يتوقف فى عصرهم تعديل النص وتطويره لتوضيح أقدم النسخ وأكثرها صوابا - طبقا لرأيهم - من بين النسخ السائدة عند الجمهور ، والتدقيق فى النص المعترف به . وهناك العديد من الشواهد الموثوق بها ، التى تظهر إلى أى مدى رأى الكتبة أن من واجبهم فحص النص المعترف به . ومن هذه الشواهد : التعديلات العديدة التى أدخلوها فى هامش الصفحة بمثابة "المقرء وليس مكتوبا" و "المكتوب وليس مقرءا" ، وكذلك إضافة كلمات (صموئيل الثانى ٨: ٣ ، ١٦: ٢٣ ، إرميا ٣١: ٢٧ ، ٥٠: ٢٩ ، روث ٣: ٥ و ١٧) ، وأيضا حذف كلمات (الملوك الثانى ٥: ١٨ ، إرميا ٣٨: ١٦ ، ٥١: ٣ ، حزقيال ٤٨: ١٦ ، روث ٣: ١٢) ، وهناك أيضا العديد من الحروف والكلمات التى وضعوا عليها نقاطا لتكون علامة على شكهم فيما إذا كانت القراءة المعترف بها صحيحة (التكوين ١٦: ١٨ ، ٩: ١٩ ، ٢٣: ٢٣ ، ٤: ٣٧ ، العدد ٣: ٢٩ ، ٩: ١٠ ، ٢١: ٣٠ ، ٢٩: ١٥ ، التثنية ٢٨: ٢٩) . كل ذلك بالإضافة إلى تعديلاتهم الثمانية عشرة التى كانوا من خلالها يغيرون الكلمة غير الملائمة لوجهة نظرهم عن قيمة وأهمية السفر بكلمة أخرى أفضل فى رأيهم .

٥- الفرق والعهد القديم

عندما اختلفت الآراء في فلسطين ، وثارت نزاعات دينية بين الصدوقيين والفريسيين كانت التوراة قد تم تثبيتها وموجودة بالفعل . ولم تستخدم اختلافات النسخ أساسا للخلاف ، غير أنهم انقسموا جدا حول أساليب فهم النصوص وطرق بحثها . وإذا كان هناك ثمة أساس لوجهة النظر بأن سفر العهد الذي نشره البروفيسور شاختر في وثائق الجنيزا القاهرية قديم ويعود أصله إلى زمن الهيكل فإنه جدير بالاهتمام أيضا ملاحظة أن كتابات الجنيزا هذه لم تكن موجودة وكما يبدو ، فإنه يوجد تشويه كامل لتعديلات النص ، حيث يتضمن السفر في وسطه بعض المواضع من الكتابات المقدسة التي لا تفوق في نفس الوقت نص الماسورا المتوافر حاليا "ما بعد دمشق - خيام دمشق" (عاموس ٥: ٢٧) ، "عورة أخت أمك لا تكشف - لا تقترب من أخت أمك" (اللاويين ١٨: ١٣) "إنذارا تنذر صاحبك - إنذارا تنذر صاحبك" (اللاويين ١٩: ١٧) وما يشبه ذلك .

٦ - أساليب التفسير

يعتبر الأدب التلمودي تفسيرا ضخما متنوعا لأسفار العهد القديم المقدسة التي عبر فيها يهوه عن إرادته التي أظهرها بواسطة عبيده الأنبياء . وأصبح من الضروري منذ ذلك الحين فصاعدا استخدام هذه الأسفار أساسا ومصدرا لكل نتاج الأمة المستقبلية ، وكل تلميذ محنك قام بالتجديد فيما بعد ، فإنه كان يجدد على أساس هذه الكتب وما ورد فيها . ويقدر ما بدأ الأدب التلمودي يتسع ويتشعب ، تم الاهتمام بفحص أغوار العهد القديم والتمسك بكل ذرة أو إشارة فيه . وقد قيل عن نحونيا بن هنقه أنه يفسر التوراة كلها إجمالا وتفصيلا . وقيل عن ناحوم إيش جمزوا أنه كان يفسر التوراة بإسهاب واختصار . وقد تعلم تلاميذهم منهم وأضافوا من عندهم . فالربى عقيبا كان يفسر كل حرف ، ووضع الربى يشمعييل ثلاث عشرة قاعدة على أساسها تفسر التوراة ، وعنها تشعبت طرق البحث التلمودي .

وقام الربى إلبعازار بن الربى يوسى الجليلي بجمع ما سبق وتوضيحه وشرحه وتوسيع حدوده ، ومن خلال الاثنين وثلاثين قاعدة التي على أساسها تفسر التوراة حدد منهجا مفصلا لطرق توضيح النصوص المقروعة . ويتعابيرات مختصرة حدد الأسس العامة لقوانين تفسير جديدة تؤكد على حدة في الذكاء والاستنباط ، وقوة التأليف . وقد سادت قوانين تفسيره في كل النصوص التي ليس بها معنى مرتبط بالشريعة ، وذلك

على عكس معلميه السابقين له . فكانوا يقولون حتى عصر التلمود: "أى موضع لا تجد فيه أقوال الربى اليعازار بن الربى يوسى الجليلى صم أذنك" ، ومن أساليبه ما يلى : ("تلاوة موجزة" ، "تعديل الكتابة" ، "المتقدم الذى هو متأخر فى الموضوع" ، "المتقدم الذى هو متأخر فى الأقسام") ، واستخدم علماء النحو فى الأندلس هذه الأساليب ، كما استخدمها أيضا الباحثون اليهود فى القرن التاسع عشر ، واعتبروها أساسا ثابتا وربطوا بها تجديداتهم النقدية .

٧ - التلمود والعهد القديم

لكن هذه المهمة التى حملها أصحاب التلمود الكتابات المقدسة هى التى حثتهم على صرف تفكيرهم عن التغييرات والاختلافات الموجودة داخل الكتابات المقدسة ، وكذلك الإشارة إلى زمن حدوثها ومؤلفيها . وركزوا انتباههم وانتباه الشعب على الروح الواحدة السائدة فى الأسفار وأقسامها وجعلها سفر الأسفار الواحد والمميز . وبشكل مقصود تخلى معظمهم عن المحافظة على الماسورا القديمة وإعلانها للأجيال مثل من كتب هذه القطعة ؟ ومن ألف هذا السفر ؟ ومتى وعلى يد من جمعت هذه الأقوال ؟ وما التغييرات التى طرأت عليها ؟ . وفى رأيهم تهتم هذه التفاصيل بما يتعلق بالجواهر . وليس هذا فحسب ، بل إنهم لم يحاولوا تقليل الأساس الذى يؤسس عليه الهيكل التلمودى . ومن الأفضل التركيز على الجوهر : لأن روح إسرائيل قد تبلورت فى الكتابات المقدسة ، وكل ما أراد يهوه أن يكشفه للبشر أظهره من خلال إسرائيل . وبناءً على ذلك فإن أى قانون أو رأى أو ما يتشعب عنها فإن مصدرها فى داخلها وهى مقدسة ، وواجبة علينا . وإذا حدث مصادفة أن قيلت هذه الأقوال فى فترة وتلك فى فترة أخرى ، أو قيلت هذه بواسطة راع وتلك بواسطة كاهن فإنها كلها أقوال الله وأبدية ، ونحن مكلفون بها ويكل ما يتفرع عنها .

وبناءً على ذلك فإن مؤلفى الأدب التلمودى رغم أن منابعهم متأصلة فى أسفار العهد القديم ، فإنهم لم يطوروا أى إحساس نقدي تجاهه ، ولم يقربوا العامة من منابع مؤلفهم . وليس هذا فحسب ، بل إن الأخبار عن تاريخ الأدب المقرائى ونظام تثبيت العهد القديم ضئيلة جدا داخل الأدب التلمودى ، رغم أن مؤلفيه كانوا قرييين - إلى حد ما زمنيا وروحيا - من مجال العمل والعاملين فيه .

القسم الأول

نقد الموروث

الفصل الثاني

النقد في التلمود

١- الماسورا وأحداث خاصة

لكل قاعدة استثناء . فالرأى المسلم به هو أن موسى ألف الأسفار الخمسة ، وأن داود كتب سفر المزامير كاملا ، وأن سليمان كتب نشيد الأناشيد والأمثال والجامعة ، وأن بنى إسرائيل تلقوا التوراة كلها فى الصحراء ، وما إلى ذلك . وعلى الرغم من أن هذا الرأى لم يرد فى التلمود بالتفصيل كقاعدة للبحث ، إلا أنه ساد وانتشر على كل الآراء والقواعد السائرة ، وأورثه الأدب التلمودى للأجيال التالية . وبالرغم من ذلك فقد حفظ الأدب التلمودى هذا الرأى ، وبجانبه - أيضا - ملاحظات وفرضيات وروايات وأحداث أخرى تعارض رأى الماسورا المسلم به من النقيض إلى النقيض . فالقضايا الأولية لبحث الكتابات المقدسة ، مثل : كيف تفسر التناقضات العديدة الموجودة بين الأسفار وفى داخلها ، ومن ألف كل سفر من الأسفار ؟ ومتى ؟ وأين ؟ وما هى التغييرات التى طرأت عليها حتى أخذت صورتها الحالية ، هذه القضايا كانت الماسورا التلمودية عادة ما تتغاضى عنها بكياسة ، ولكن اهتم بها العديد من باحثى الكتابات المقدسة من بين علماء التلمود ! فهؤلاء كانوا يتعمقون فى البحث عن الرأى النهائى لكل فقرة ، فكانوا يفحصون ويبحثون ويتباحثون ، وفى بعض الأحيان كانوا يتوصلون إلى العديد من التناقضات التى لم تثر غضب باحثى العهد القديم فى كل العصور . وكشف هؤلاء المفسرون آنذاك عن ثغرات عديدة وظهرت بعد ذلك أساليب ومعطيات أخرى على يد باحثين آخرين ، ويعمر مئات السنين أعربوا عن تصورات واقتراضات صارت فى عصرنا علما .

ولم يتوقف مكملو التلمود عن إقحام أقوالهم تلك داخل أدب التلمود . ورغم أن الأجيال التالية لم تقتف أثر هؤلاء الباحثين ولم يواصلوا عملهم النقدى ، فقد حفظوا أقوالهم وأضافوا عليها درجة القداسة .

وفى الواقع فإن هذه الأقوال الجريئة المتفرقة كما هى محفوظة فى الأدب التلمودى ، لم ترتق إلى درجة منهج ، ولم تُضم فى فكرة عامة واحدة . فالعديد من الإجابات التى فى الجمارا تفحص توضيح القضايا غير المتوقعة والمثيرة للجدل ، وذلك ليس لتحديد رأى فيها من أجل عصرها والأجيال التالية ، لكن من أجل الحفاظ على مكانة الماسورا وتصحيح البحث فيها وتقويم فحصها فى نظر المؤمنين بها . وكان التلاميذ يقولون عن ذلك وما يشبهه 'معلمى ، رفض ذلك ، ولنا ماذا نقول ؟ ' . ومع ذلك

فإن للأسئلة فى حد ذاتها قيمة نقدية هامة . وهى تعثرت إما بسبب حيرة قلب السائلين
من أصحاب التلمود وعمق منطقهم أو لأنها كانت مناسبة للحقيقة العلمية عند الأجيال
المتأخرة .

٢- صدى الذكريات

لم يكن التأمل عميقا فحسب ، بل كان صدى الماسورا القديمة يتصاعد ،بسبب
دهشة الكثير من المجادلين . فقد قصد مسندو العهد القديم الذين نظموا العمل فى
الصورة التى عليها الآن الارتقاء بالعهد القديم إلى درجة القداسة المطلقة المتخطية
للزمن والعصور التاريخية .ولذلك تشجعوا لإبطال مراجعة الأجيال التى كُتِبَ فى
عصرها أى سفر من الأسفار . وهذه المعالجة التقويمية التى عُمِلت بعناء كبير وقدرة
فائقة هى التى أعاقَت عملية البحث للوصول إلى الصورة الأصلية لأسفار العهد القديم ،
وجعلت عملية فحص الكتابات المقدسة صعبة ومعقدة . فقد طُمست الماسورا الرسمية
الماسورا القديمة .

وبناءً على هذا ، لم يكن سهلا بالنسبة للمهتمين بالعهد القديم فى عصر التلمود
- لولا أنهم وجدوا ضرورة من تلقاء أنفسهم للتنبيه إلى ذلك - التغلب على العقبات الأدبية
التي قام بها مدونو العهد القديم إما عن طريق إغفالها أو إظهارها كنسلوب علمى
قانونى . ويمكن أن تُسمع هنا وهناك فى الأقوال القليلة عند المتعمقين فى البحث -
وفى استفسارات المجادلين ، وشروح أصحاب الأجادا - صدى لصوت الماسورا
القديمة التى حُفظت على ما يبدو فى نواتر محددة ، وكانت لا تزال تذكر بالصورة
القديمة لأسفار العهد القديم قبل أن تدخل فى طور التثبيت .

٣- مؤلفو العهد القديم

وكما ذكرنا من قبل ، فإن التلمود بصورة عامة لا يفحص أسماء مؤلفى كل
سفر من أسفار العهد القديم . غير أن بعض علماء التلمود حاولوا بقوة الكشف عن
شخصية كل مؤلف من المؤلفين ؛ فبحثوا ودرسوا هذا الموضوع بقدر ما استطاعوا .
فعندما قرأوا فى التوراة مثلا : "ومات هناك موسى عبد يهوه ؟ " . جاء عن ذلك فى
(مناحوت ٣٠ : ١ ، بابا باترا ١٥ : ١) ربما كان موسى حيا وكتب : "ومات هناك
موسى؟" أى إلى حد هنا كتب موسى فقط ، ومن هنا وما بعد ذلك فمن كتابة يشوع بن

نون، أما في البرايتا القديمة التي ترتب الأسفار المقدسة وتحدد أسماء كُتّابها ، فقد تكرر ما يلي : يشوع كتب سفره " (بابا باترا ٢:١٤) . ثم تستفسر الجمارا "وأملى ومات يشوع بن نون عبد يهوه ؟" ، وتجيب "داسقيا اليعازار : وأملى ومات اليعازار بن هارون ؟ داسقيا فينحاس " (بابا باترا ١:١٥) . وطبقا لأقوال نفس البرايتا فإن صموئيل كتب سفره ، وسفر القضاة وسفر روث ، "وأملى ومات صموئيل ؟ داسقيا جاد الزائى وثاثان النبى " (نفس المصدر) . وورد في البرايتا عن موسى "كتب موسى سفره وقصة بلعام وسفر أيوب" ، وبما أنه فيما بعد اعتبرت قصة بلعام ليست ضمن تورا موسى ، فهم من ذلك أن كل أسفار التورا لا تنسب إلى موسى بل تنسب له - فقط - أجزاء منها .

وعلاوة على ذلك ، فإنه في نفس الوقت ونفس الدوائر التي قيل فيها هذا الكلام ، فقد كانت هناك فكرة واضحة ومسلم بها بشأن مضمون سفر موسى ، وهذا التصور لم يكن متسقا بصورة مطلقة مع فكرة "تورا موسى" المسلم بها في أقوال الماسورا . إن استبعاد قسم بلعام عن بقية أقسام التورا يظهر أسلوب واختلاف بحث البرايتا . وكما يبدو ، فإن هذا الرأي قد استند على النص التالي "في ذلك اليوم قرئ في سفر موسى ... ووجد مكتوبا فيه أن عمونيا ومؤابيا لا يدخل في جماعة الله ... لأنهم لم يلاقوا بني إسرائيل بالخبز والماء بل استأجروا عليهم لكي يلعنهم ، وحول إلها للجنة إلى بركة" (نحميا ١٣:١-٢) ويعد ذلك برهانا واضحا على أن قسم بلعام مكتوب في سفر موسى . وعلى عكس الماسورا التقليدية التي تنسب إلى سليمان كتابة أسفار الأمثال ونشيد الأناشيد والجامعة ، فإن البرايتا نفسها تؤخر زمن هذه الأسفار وتنسبها إلى حزقيال وجماعته . وبما أن سفر الملوك ينتهى بالمعاصرين لإرميا فإن البرايتا تنسبه إلى إرميا . وعلاوة على ذلك فإن البرايتا تنسب أسفار حزقيال ودانيال وأسفار الأنبياء الاثنا عشر ومجلة أستير لأعضاء المجمع اليهودي الأكبر . والرأى الذى كان مسلما به كقانون من قبل باحثى العهد القديم يرى أن سفرى أخبار الأيام يتضمنان في داخلهما وجهة نظر أبناء الهيكل الثانى ، وأنهما كتبا بروح الكهانة التي كانت سائدة آنذاك، وقد توصل دارسو البرايتا أيضا إلى هذا الرأى ونسبوا أخبار الأيام إلى عزرا ، وأشاروا : "كتب عزرا سفره ، ونسب له سفرا أخبار الأيام" . وتظهر حقيقة أن السافرين التاريخيين - الملوك وأخبار الأيام - يبحثان موضوعا واضحا ، وأن الأول منسوب إلى إرميا النبى الثانى إلى عزرا الكاهن . تظهر هذه الحقيقة بوضوح إلى أى مدى تعمق دارسو البرايتا وعدلوا في بحثهم ، وما هو الأفضل في رأيهم .

وهناك من الباحثين من لم يكتف بأقوال البرايتا ، بل تعمق فى البحث فى مضمون كل سفر وحجم نتاج كل نبي داخل الأسفار نفسها ، ولم يخشوا إخراج نصوص من عند هذا النبي ونسبتها إلى نبي آخر. فعدلوا فى البرايتا نفسها : "إرميا كتب سفره" ، وفى رابتي المراثي (المقدمة ٣٤) تدهش القيود "إلى هنا كانت نبوءة إرميا ؟ ربى يعقوب وربى آبا ، وسجلت أقوال الربى إليعازار وربى يوحنا ما يلى : قال الأول حتى "مبدد إسرائيل يجمعه " (إرميا ٣١ : ٩) ويعد ذلك قال بلغة الماضى "لأن الرب فدى يعقوب" ، وهو ما لا يمكن أن يكون قد قاله إرميا ، وقال الثانى حتى "ولا يوجد رجاء لأخركك يقول الرب . فيرجع الأبناء إلى تخمهم" (١٦ : ٣١) ويقال فى (سفرى التثنية ١) "كتب إرميا سفرين ، الأول من الإصحاح الأول حتى الإصحاح الخامس والأربعين ، والثانى من الإصحاح الخامس والأربعين حتى الإصحاح الحادى والخمسين ولم يكتب ما بعد ذلك .

ووجد الربى سيمون فى سفر إشعيا عبارتين ، لم يصدرا على ما يبدو عن إشعيا ، ولذلك أصر على إلغائهما ونسبتهما إلى آخر " قال الربى سيمون : رأيي أنه لم يتنبأ بعبارتين ولم يأت بهما فى السفر ، وتم معالجتهم فى إشعيا وهما : "وإن قالوا لكم اطلبوا إلى أصحاب التوابع والعري المشققين والهماسين (إشعيا ٨ : ١٩-٢٠ ، وأنظر رابا اللاويين ٦) . ومن خلال هذا القول المأثور للربى سيمون نهج بعض الباحثين ومنهم الربى نحمان كروكل (دليل حائرى العصر ، فصل ١١) . ويستنتج من ذلك أن باحثى العهد القديم التلموديين كشفوا عن رأيهم بأن كل مادة الإصحاحات الست والستين فى سفر إشعيا ليست من أقوال إشعيا بن أموص . وربما توجد نواة لتكون بمثابة دعم لأقوال هؤلاء الباحثين ، وذلك فى ترتيب أسفار الأنبياء الذى تبحثه البرايتا (بابا باترا : ١٤) حيث تحصى البرايتا إشعيا بعد حزقيال وذلك على عكس الماكوف فى الماسورا وعكس أقوال النص الأول لإشعيا . ويمكن أن نفهم أيضا من أقوال فصل مكوت (١ : ٢٤) "جاء داود لإقامة وصايا الرب وأصر على إحدى عشرة ... وجاء إشعيا وأصر على ستة لأن نص (إشعيا ٢٣) : السالك بالحق والمتكلم بالاستقامة ... وجاء ميخا وأصر على ثلاثة ... وعاد إشعيا وأصر على اثنين " هكذا قال يهوذا حفظوا الحق وأجروا العدل" (إشعيا ٥٦) .

٤ - تداخل أقوال الأنبياء

غير أن هذه الأقوال التي قيلت بتفصيل كاف تُظهر إلى أى مدى اهتم علماء التلمود بتوضيح شخصية المؤلفين ، حتى وإن بدت أقوالهم مناقضة للرأى السائد فى المدارس الدينية اليهودية . فقالوا عن عوبيدا النبي أنه هو نفسه عوبيدا الذى خبأ مائة نبي فى مغارة عند إبادة إيزابيل عبادة يهوه (سnehدين ٢: ٣٩) . وفى رأيهم أن يونا بن أمتى الذى تنبأ فى نينوى هو يونا بن أمتى من جت حافر المذكور فى سفر الملوك الثانى (١٤ : ٢٥) (بياموت ٢: ٩٨) ، وأن زكريا بن برخيا النبي هو نفسه زكريا بن يفرخيا هو المعاصر لإشعيا والمذكور فى سفره (إشعيا ٨: ٢) (ماكوت ٢: ٢٤) . ويحثوا فى سفر ناحوم ووجدوا أن العبارة الثانية من الإصحاح الأول لا تتناسب مع الفقرة الثالثة من نفس الإصحاح ، ولذلك أشاروا "بأنه يوجد تداخل فى الأقوال ، وأن من قال هذا لم يقل تلك" (توسفنا زوطه ٩) .

واختلفت الآراء بشأن مؤلف سفر ملاخى فهناك من يقول إنه مردخاى ، وهناك من يقول إنه عزرا (مجيلا ١٥: ١) . وقد أدرك العديد من باحثى العهد القديم التلموديين وأعرّبوا أكثر من مرة أن سفر المزامير مركب من مزامير مختلفة تعود إلى فترات متعددة ، وأنه لا يمكن أن يكون داود قائلها . وفى البرايتا المذكورة (بابا باترا ١٤: ٢) اختلفوا فقالوا : "كتب داود سفر المزامير بمساعدة عشرة شيوخ" ، وقالوا بعد ذلك فى شكل أكثر دقة "قال سفر المزامير عشرة شيوخ" (رابا نشيد الأناشيد ٤) . وعندما وصلوا لإعلان أسماء هؤلاء الرجال المتضمنة مزاميرهم فى سفر المزامير بدأوا بأنهم وانتهوا بعزرا (المصدر السابق ، رابا الجامعة ٢٩: ٧) . ومعنى هذا أنه قد اشترك فى تأليف المزامير عدة أجيال مختلفة ومتباعدة عن بعضها البعض ، أى من بداية أدب العهد القديم وحتى نهايته . ولم يكن لدى الباحثين أى صدى للماسورا أو وجهة نظر محددة بشأن إصحاحات محددة ، ولكن المشنا كانت تعرفها (بصاحيم ١١٧ : ٢) "أجاز ربى هليل ما قالوه ؟ قال ربى اليعازار يقول قاله موسى وردده بنو إسرائيل وقت وقوفهم على البحر ... ويقول الربى يهوشع" : (هكذا يقرأ نحمان كروكمل فى دليل حائرى العصر ، فصل ١١) قاله يشوع وردده بنو إسرائيل عندما انتصر عليهم ملوك كنعان ... ويقول الربى إلبعازار المودعى : قاله دبورا وبأراق وقت انتصار سيسرا عليهم ... ويقول الربى اليعازار بن عزريا : قاله عزرا وجماعته وقت انتصار سنحريب عليهما ... ويقول الربى عقيبا قاله الربى حننيا مشال وعزريا وقت انتصار نبوخذنصر عليهم ... ويقول الربى يوسى الجليلي : قاله مردخاى وأستير وقت انتصار هامان

عليهم ...، وعلى كل حال فإن داود لم يقله ، وسُمح لكل باحث بفحص النصوص ، وعلى هذا الأساس يتم تحديد مؤلفي المزامير وعصورهم سواء تم التأليف قبل عصر داود أو بعده.

٥ - مثبتو العهد القديم

اشتغل بعض علماء التلمود بقضية تدوين العهد القديم أو تثبيته ، وتعمقوا في هذه القضية وأعربوا عن آراء مدهشة في اكتشافها حتى الآن . وبالفعل فقد أشار الربى نحمان كروكمل (دليل حائري العصر ، في بداية الفصل ١١) إلى المقال المدهش في عمقه والمتسامي في بساطته والمذكور (في سفرى فصل المكافأة) : "ما أجمل الحدث في حينه ، قلولا أصغر شافان في عصره ، وعزرا في عصره ، وربى عقيبا في عصره لكانت التوراة قد نُسيت في إسرائيل . ويبدو كما لو أن هذه الأقوال قد قيلت في عصرنا نحن ، وذلك بعد أن حدد نقاد العهد القديم المحدثون نظرية القوانين الثلاثة : الأول في عصر يوشيا (كاتبه شافان) ، والثاني في عصر عزرا ، والثالث في نهاية القرن الأول . وعلى كل حال توجد في أقوال التلمود بعض الإشارات الذكية التي تنسب تثبيت (تدوين) العهد القديم إلى عزرا ومعاصريه . ففي التلمود الأورشليمي (مجىلا ٨١ : فصل ٥ فقرة ٩) يُقال : "من الجدير أن التوراة كانت سوف تعطى إلى عزرا لولا سبقه جيل موسى" . وفي فصل الآباء لربى ناتان (فصل ٢٤) عدل وورد "هكذا قال عزرا ، إذا جاء إلى إياهو وقال لى لأجل من كتبت ، أقول له سبقت ووضعت عليها التشكيل" .

٦ - الأسلوب

لم يكن الحديث عن الأسلوب مجهولا لدى بعض مفسرى العهد القديم التلموديين ، بل اعتنوا - أيضا - بالصور اللغوية للأسفار ، فقد توصلوا إلى معرفة القرابة الأدبية بين سفر التثنية وسفر يشوع ، فنقرأ في التكوين رابا (١٤:٦) "تم صياغة سفر التثنية بأسلوب يشوع" . وهذه القرابة بين السفرين تم الاعتراف بها كنظرية في البحث العلمى ، ورغم ذلك لم يكن رأيا فريدا . فنجد في نذاريم (٢:٢٢) أن الربى أدى بر حنينا يضم سفر يشوع لأسفار التوراة الخمسة (لولا أن أخطأ بنو إسرائيل ما منحوا سوى أسفار التوراة الخمسة وسفر يشوع فقط) ، وقالوا عن عاموس : لماذا سُمى عاموس ؟ لأنه كان ثقيلًا في لفته (اللاويين رابا ٢:١٠) ، وقالوا عن

نشيد الأناشيد أنه "الأروع في الأناشيد والأكثر شهرة وتنميكا فيها" (نشيد الأناشيد رابا ١) ونبهوا إلى أهمية درامية فاعلة في سفر ملاخي ، فقالوا " معاصرو ملاخي: إنه كان يتكلم وهم يجيبون " (مدراش تنحوما فصل المنح "تروما"). وقالوا عن سفر يونا إنه سفر روائي ووضعه ليس بين أسفار الأنبياء ، فقالوا : "باستثناء سفر يونا الذي هو سفر قائم بذاته" (مدراش رابا العدد ١٨). وبصورة عامة حددوا : "ازدهر أسلوب واحد لبعض الأنبياء ، ولكن لم يتبنأ نبيان بأسلوب واحد" (سندهرين ١:٨٩) .

وعلاوة على ذلك فقد كان منهم من أدرك بأنه دُمجت في مادة التوراة بعض الأساطير والأناشيد القديمة جدا ، والتي يسبق زمنها ، زمن أي سفر من أسفار الكتابات المقدسة ، وأنها كانت منتشرة بين بني إسرائيل قبل ذلك . ويُسمع صدى هذا الرأي أو تلك الماسورا القديمة في جدل الأمورائيم الأوائل في (جيطين ٢:٦٠) سواء مُنحت التوراة لفيفة لفيفة أو منحت كاملة . وترد في مدراش رابا (الخروج ٢٦:٥) الأسطورة التالية "هكذا قال موسى أمام يهوه سبحانه وتعالى ، تلقيت سفر التكوين وقرأت فيه ورأيت أعمال جيل الطوفان ... وأعمال جيل بليلة الألسن ... وسدوم " ، ويقال في موضع آخر ويتفصيل أكثر " يفهم من هذا أنه كان في أيديهم (إسرائيل في مصر) لفائف لفائف أعجبوا بها " (مدراش رابا الخروج ٢٢:٥) .

وخميا يتعلق بالأنشودة الشعبية القديمة " ارتحال التابوت " ، أدركوا بالفعل أنها تأليف قائم بذاته وموضوعة في موضع غير مناسب ، وقالوا عنها بالتفصيل ، ليس هذا موقعها (شبات ٢:١١٦) . ويقول الربى شمعون بن جمليل: "مستقبلا يحذف هذا القسم من هنا ويوضع في موضعه " . وقيل بشكل أكثر دقة في يوما (١:٧١) "يحذف كل هذا القسم : قيل باستثناء هذه العبارة "

٧ - التناقضات داخل التوراة

وجد النقد العلمي تناقضا بين حدثي الخلق الأول والثاني المذكورين في سفر التكوين وتمت نسبتهما إلى مصدرين مختلفين . وبالفعل فقد شرح باحثو العهد القديم من التلموديين هذا الغموض . ففي حجيجا (١:١٢) انقسم سبط شمعائ وسبط هليل ، يقول سبط شمعائ السماء خلقت أولا ، لأنه ورد في سفر التكوين (١:١) " في البدء خلق الله السماوات والأرض " ، وأما سبط هليل فيقول خلقت الأرض أولا حيث يرد النص "يوم عمل يهوه الإله الأرض والسماوات: (٤:٢). ويستفسر المجادل في التلمود الفلسطيني في براخوت (١ : فصل ٥ فقرة ٢٥) عن "وأكملت السماوات والأرض " ،

وعن كيفية النص في التوراة : "هذه مواليد السماوات والأرض" ، ويطابق الربى يهوذا النص في التكوين(٢٧:١) "فخلق الله الإنسان" والنص (٢:٥) "خلقهم ذكرا وأنثى" (كتوفوت ٨: ٢، عروفين ١٨: ١). وفي موضع آخر سألوا الربان جملئيل ، يقول نص التكوين (٢٠:١) "وقال الله لتفض المياه زحافات ذات نفس حية وليطر طير ... لولا خلقوا من الأرض . ويقول نص آخر (التكوين ١٩:٢) "وجبل الرب الإله من الأرض كل حيوانات البرية وكل طير السماء، لولا خلقوا من الأرض" (حولين ٢: ٢) .

وعلاوة على ذلك أدركوا التكرار والتناقض السائد بين مصدر سفر التثنية ومصادر التوراة الأخرى ، فبرد في سفر التثنية (٨:١٦) "سنة أيام تاكل فطيرا" ؛ وأما في سفر الخروج(١٥:٢٣) يرد "سبعة أيام تاكل فطيرا" ، فكيف يكون ذلك ؟ (سفرى فصل المقول: ١٢). ويوجد في سفر الخروج (٧:٣٤) "مفتقد إثم الآباء في الأبناء" ، وفي سفر التثنية (١٦:٢٤) يكون النص: "لا تموت الأبناء عن الآباء" ، ألا يعنى ذلك تبادلا (براخوت ٧: ٢). ويرد في سفر التثنية (٦:١٠) ما يلي "وينو إسرائيل ارتحلوا من أبار بنى يعقان إلى موسى . هناك مات هارون ، فكيف مات هناك ؟ وقد مات في جبل هور حيث يرد في سفر العدد (٣٨:٢٣) "فصعد هارون الكاهن إلى جبل هور حسب قول الرب ومات هناك" التلمود الأورشليمى يوما ١: الفصل ٥، الفقرة ٣١). ويرد في سفر الخروج (٢٠:١٩) النص التالى : "وهبط يهوه على جبل سيناء إلى قمة الجبل" ، أما في سفر التثنية(٣٦:٤) يكون النص: "من السماء أسمعك صوته" (سفرى اللاويين ١) .

وقد توصلت مدرسة فلهاوزن إلى هذه الاختلافات الموجودة في قوانين التوراة المرتبطة بقواعد العبادة ، والتي على أساسها قسمت التوراة إلى مصادر مختلفة . ولم تكن هذه التغييرات مجهولة عند بعض الأمورائيم ، بل أشاروا - أيضا - إلى عصور تدوينها : "مرة ثانية ، يقول الربى يشمعييل . قيلت عامة في سيناء ، وفصلت في خيمة الاجتماع ؛ ويقول الربى عقيبا قيلت شاملة ومفصلة في سيناء ، ومرة ثانية في خيمة الاجتماع ، وللمرة الثالثة في صحراء مؤاب" (حجيجا: ٢، ذباحيم ١٠: ٢)، ويفسر الربى شلومو يتسحاقى قائلا: "قيلت العديد من الأوامر غامضة في سيناء ... حيث لم تفصل هناك قواعد العبادة كلية باستثناء ما هو ضرورى : "مذبحا من تراب تصنع لى وتذبح عليه مُحرقاتك وذبائح سلامتك" (الخروج ٢١: ٢٠). وأما في سفر تورا الكهنة أى سفر اللاويين فقد فسرت كل قواعد القربان، ويشمل أوامر كثيرة" (حجيجا ٦: ٢). ثم يظهر ميخا يوسف برديتشفسكى الذى تعمق في نهاية حياته في بحث أصول نقد العهد القديم عند اليهود ، وأدرك أن ابن عزاي حدد في مقال له ، أن كل مصادر

التوراة لم تذكر اسم الرب بدرجة متشابهة . ومن خلال فحص ابن عزاي وجد أن كل القرايين المذكورة فى التوراة لم تذكر الله أو إلهك ، ولا شداى ولا رب الجيوش بل تذكر اسم يهوه (سفرى العدد ، فصل ١٤٢ ، وأنظر أيضا مناحوت ١٠٠:١) . ويضيف برديتشفسكى هذه الملاحظة لابن عزاي قائلا "هى الأولى والأساسية فى نقد العهد القديم" .

٨ - التناقضات بين أسفار الأنبياء الأوائل وأخبار الأيام

إن التناقضات العديدة التى بين سفرى أخبار الأيام وأسفار الأنبياء الأوائل لم تكن مجهولة فى رؤية مفسرى العهد القديم التلموديين .

وهكذا ، يسأل المجادل فى التسوفتا (زوطه ١٢) بهذا الأسلوب : "يقال فى سفر أخبار الأيام الثانى (١:١٦) فى السنة السادسة والثلاثين لملك أسا صعد بعشا ملك إسرائيل على يهوذا وبنى الرامة" ، فكيف يكون هذا القول هنا : "أو لم يكن أسا قد دفن بعشا فى السنة السادسة والعشرين ، حيث يرد فى سفر الملوك الأول (٨:١٦)" وفى السنة السادسة والعشرين لأسا ملك يهوذا ملك أيله بن بعشا على إسرائيل ؟" ، ثم يضيف متسانلا : "يقال فى سفر الملوك الثانى (١٧:٨) "كان ابن اثنين وثلاثين (يهورام) سنة حين مَلَكَ ، ومَلَكَ ثمانى سنين فى أورشليم" ، ويرد فى أخبار الأيام الثانى (٢:٢٢) "كان أخزيا (ابنه) ابن اثنين وأربعين سنة حين مَلَكَ ، ومَلَكَ سنة واحدة فى أورشليم" وهكذا ، فكيف يكون الابن أكبر من أبيه بسنتين (زوطه ١٢) ؟!

وفى موضع آخر يرد النص "فاشتري داود البيدر والبقر بخمسين شاقلا من الفضة" سفر صموئيل الثانى (٢٤:٢٤) ، أما فى أخبار الأيام الأول (٢٥:٢١) يرد النص التالى "ودفع داود لأرنان عن المكان ذهباً وزنه ست مائة شاقل" (سفرى ٤٢) ، ويقول النص فى الملوك الأول (٦:٥) "وكان لسليمان أربعون ألف منود خيل" ، وأما فى أخبار الأيام الثانى (٢٥:٩) يرد النص "وكان لسليمان أربعة آلاف منود خيل" (سنهدين ٣٩:٢) وكثير مثل ذلك .

٩ - وثيقة تاريخية أم تأليف أدبى ؟

إن هذه التناقضات التى قدمها بعض باحثى العهد القديم التلموديين تؤدى إلى رأى عام هو : أنه بقيت داخل الكتابات المقدسة روايات يجب أن تعالج بحذر ، لأنها

على أساس المنطق الصحيح من المستحيل أن تكون صريحة في كل تفاصيلها . ففي سفر التكوين (١٤:٢١) "وأعطاهما لهاجر واضعا إياهما على كتفها والولد وصرفها" ، ابن سبع وعشرين سنة وقلت وضع على كتفها" (التكوين رابا ١٧:٥٣) . وفي موضع آخر "كم كان إبراهيم أكبر من سارة ؟ عشر سنين . وكم كان أكبر من أبيها ؟ سنتين . نسي أن أنجبت سارة لهاران ، في الثامنة أنجبها" (سندرين ٢:٤٩) . أو وربط إسحاق - هل يمكن للإنسان أن يقيد ابن سبع وثلاثين سنة ؟" (التكوين رابا ٥٦ : ١١) . أو "ويستعبدون لهم . فيذلونهم أربع مائة سنة - وليس لدينا سوى اهبطوا" (نشيد الأناشيد رابا ١٩:١٠٠) . ليس هذا فحسب بل إن بعضهم افترض أن النسخة الموجودة لدينا بها أخطاء كثيرة ، وسمحوا لأنفسهم عند الضرورة بتعديل النصوص "فقال رئيس الميثية لا تقرأوا "سطحوا" (العدد ١١ : ٢٢) ولكن "وذبحوا" (يوما ٢:٧٥) ، وقال ربى يهوشع بن قرحه لا تقرأ "مساطح" بل "ذبيحة" (نفس المصدر) . وسمحوا لأنفسهم في بعض الأحيان بإلقاء الشك حول القيمة التاريخية في أى سفر من أسفار العهد القديم أو أى رواية تاريخية فيها . ففي سفر حزقيال قصة عن إعادة إحياء العظام" فيرد في سندرين(٢:٩٢) "الأموات التى أحيأها حزقيال كانت مثلا " . وقالوا عن سفر أيوب "يتكرر ذلك من المعلم بحضور الربى شموئيل بر نحمانى ، ويكرر ويقول إن أيوب لم يكن ولم يخلق بل إنه كان مثلا " . ويتضح الهدف أكثر في نهاية هذه المقالة بأنهم عرفوا التمييز بين الوثيقة التاريخية والنتاج الأدبى داخل روايات العهد القديم . وعندما سئل شموئيل بر نحمانى من المعلم ، قال عليك أن تقرأ أن رجل في أرض عوص اسمه أيوب أجابه: "فقط من الآن وللجاهل لا شئ لأن إذا شاة واحدة صغيرة ... ما هو إلا مثل بصورة عامة ؟ (بابا باترا ١:١٥) .

وهناك من اعتبر نشيد الأناشيد عملا دنيويا ، ولذلك فهناك من قرر أن نشيد الأناشيد لا ينجز الأيدى (مجله ١:٦) . وفيما يتعلق بمجلة أستير هناك من لا حظ أن مضمون هذه المجلة ليس مقدسا في أصله ، وعن ذلك "قال الربى يهوذا قال شموئيل أن أستير لا تنجز الأيدى" (المصدر نفسه) . وكما يبدو كان الرأى السائد أن مضمون هذه المجلة لم يكن مقدسا في الأصل ، ولكن بعد أن بحث العديد من التناثيم (اليعازار والربى عقيبا والربى منير والربى يوسى بن نور مسكيت وشموئيل) ثم بحثوا وكرروا البحث في كل ما يبرهن على أنها قيلت بروح القداسة . ولكن وجد من يدافع عن رأيه بأنها وثيقة تاريخية تحكى عن حدث مشهور بين الأمم (فقال الربى شموئيل بر يهوذا

أرسلت أستير للحكماء : ضعوا حدا للأجيال . فأرسلوا لها ، حقد كبير بيننا وبين الأمم : فأرسلت لهم : منذ زمن كتبت أنا أخبار الأيام للوك مدائ وفارس : (مجله ٦ : ١) ، ولم يرفض أحد غيري إلقاء الشك على الأساس التاريخي لهذه المجلة ، وقيل عنها "إنها منحت لموسى فى سيناء (التمود الأورشليمي مجله ١ فصل ٥ ، فقرة ٣١).

وعلاوة على ذلك فقد رفضوا أيضا القيمة التاريخية لمجلة روث وفسروها بأسلوب حرفي (إليماك - الذى قال يأتى إلى الملكوت، نعمى - التى كانت أعمالها جميلة ورقيقة، محلون - الذين مرضوا من العالم ، كليون - الذى أفنى من العالم ، عرفه - التى وجهت العنق روث التى رأت فى الأحداث سخريتها - بابا باترا ٩١ : ٢ ، روث ربا ٥)

١٠ - التفسير الرمزي

وقد حددوا قواعد عامة للتخلص من أى ارتباك للتناقض بين العديد من روايات العهد القديم وتعبيراتها وبين الفهم الصحيح أو الملاحظات التاريخية ، ومن هذه القواعد :

- أن أحداث التوراة لم تعط مرتبة (مداش المزامير ٣) .
- أنه لا يوجد هناك متقدم ومتأخر فى التوراة ، وأن التوراة تحدثت بلغة البشر (نباحيم ١٠٨ : ٢ ، نيدا ٤٢ : ٢ ، براخوت ٣١ : ٢ ، بابا مصيضا ٩٤ : ٢ ، سنهدرين ٦٤ : ٢ ، جيطين ٤١ : ٢ ، وما يشبه ذلك كثير) .
- وذهب آخرون أبعد من ذلك ، وقالوا : تحدثت التوراة بلغة المستقبل " (حولين ٩٠ : ٢) ، ولم يتورع الربى يوسى من تقرير " منذ الأزل لم يهبط الوحي الإلهى إلى أسفل ولم يصعد موسى وإلياهو إلى السماء ، لأن السماء سماء يهود ، والأرض منحت للبشر " (سوكه ٥ : ١) .

وقد تعمق هؤلاء الباحثون وسواء وجدوا أو لم يجدوا فى شكهم التبريرات التى قالها أصحاب الجمارا ، فما هى الآراء التى افترضوها لرأيهم ؟ وإذا ضمت هذه الآراء فى أسلوب محدد فى فهم العهد القديم ، فما طبيعة هذا الأسلوب ؟ . أو ربما لم يكن هناك أسلوب ، أو لم تتل الإجابات رضاهم ؟ . ولا يمكن الإجابة عن هذه التساؤلات على أساس المادة التى بقيت فى داخل أدب التمود . غير أن بحض الآراء

واستنباطها كان من أجل التأكيد الفعلى على أن كل الأفكار المسلم بها فى أقوال الماسورا لم تجد اطمئنانا فى عصر التلمود، وأن العديد من مفسرى التوراة التلموديين أصحاب منطق سليم وإحساس نقدى صحيح . وقد أدركوا وجود ثغرات عديدة داخل العهد القديم الموجود عندنا . وقد توصلوا إلى هذه الثغرات ، لكنهم كانوا يعملون على إخفائها ، وإيجاد مبرر لذلك .

١١ - تدهور النقد

غير أنه قد هدأت الأنفس بعد تدوين التلمود ؛ فتوقفت الأسئلة والأفكار حول نظرية النقد فى فلسطين . وتأسست سلطة الماسورا التى سادت فى أدب التلمود وألقى حجاب على الأقوال المتناثرة فيه . وقد زاد انتقال المركز التلمودى من فلسطين إلى بابل من قداسة الكتابات المقدسة التى هى ثمار نتاج بنى إسرائيل فى فلسطين ، كما هى معطاة وموجودة . وهدأت الرغبة فى النقد ، وظل النقد ضعيفا لعصور طويلة فى أدب اليهود .

أما فى أدب المدراس الذى استمر وتشعب آنذاك إلى جوانب عدة ، فقد وجدت الشكوك والأفكار حصنا لها ، ويحثوا لها عن مغزى فى تفسيرات الأجادا . وقد كشف أسلوب التفسير الرمزى لأقوال النصوص عن أفكار ورموز غامضة ، ولكن ليس بالنسبة للأعمال التاريخية الحقيقية . وانتقل هذا الأسلوب المجازى من فلسطين إلى الإسكندرية فى مصر ، ومنها توغل ودخل فى الأدب العبرى وامتد فى كل أدب المدراس . ومن المحتمل أن هذا الأسلوب المجازى هو الذى ترك رأى بعض الشكاكين فى ذلك العصر . غير أنه لم يتم الوصول إلى بناء علمى . وفى ثنايا هذه الصورة المبهمة التى صبغت أدب العهد القديم ، فإنه لا يزال يوجد هنا وهناك صدى للشكوك وتذبذب آراء المفسرين .

وبما أن الصلة بين النصوص والواقع قد قطعت ، ولم تصبح سوى أمثلة ورموز لأحداث عظيمة لا تمت للقانون بصلة ، فقد زالت منها الصعوبات وثبتت كل التناقضات ، وخفت حدة البحث النقدى ، والشوق إلى معرفة أسلوب العهد القديم فى حياة الشعب التى فقدت فى عصر العهد القديم .

القسم الأول

نقد الموروث

الفصل الثالث

المحافظون والمعارضون

١- ناشرو التلمود

استمرت عملية التطور التدريجي للاعتراف بالتلمود وشروحه وانتشاره بين شتات السبى مئات السنين ، فقد انهمك فيه رؤساء التوراة الموجودون فى بابل بكل قوتهم وسلطتهم ، وأصبح تفسير التلمود ونشره المهمة الرئيسية لزعماء المدارس الدينية اليهودية فى بابل . وقد اضطر مؤسسو الأدب التلمودى مرة أخرى - بهدف تدعيم عملهم - إلى التغاضى عن الصور المركبة للعهد القديم ، وفعل ذلك أيضا مروجو التلمود وناشروه ، فقد التزموا بالآثار التى أى سؤال أو بحث عن بناء العهد القديم الذى يمثل أساس عمل التلمود ، حتى أنهم قبلوا أقوال الماسورا السائدة كما هى وينون أى شك .

ولم يكن هذا عملا سهلا . وقبل أى شئ ، كانت المطالبة بحفظ المظهر الخارجى للتوراة وموضوع نصوصها . وعلى أساس من الأسفار الأربعة والعشرين سفرا تم إعداد أدب شامل ومتنوع ، وثقافة دينية مرتبطة فى حد ذاتها بمعجزة وأمانة نساخ مختلفين منتشرين فى كل جهات السبى . فإذا كان سفر الأسفار الذى هو أساس هذا البناء الضخم ذى القيمة الكبيرة ، لا يزال يتطور ويتشعب وينتشر ، ألم يكن من الأجدر أن يكون هو نفسه ثابتا ووثيقة سليمة فى كل حروفها وعلامات تجويدها . ولذلك فقد أصبح إرث الفترة الجديدة هو هذا العمل من التعديل وتثبيت الأساس ، وقد كان عملا عظيما متشعبا ووافر النتائج .

وكان وضع التشكيل بداية عمل أبناء هذا العصر . ولأجل هذا الهدف اضطروا إلى مراجعة نسخة النصوص تحت مجهر النقد والمقارنة ، بهدف تنقيتها وتثبيتها على أساسها الصحيح . ويعد وضع التشكيل هو الحدث الأكثر أهمية فى تاريخ نص العهد القديم ، وذلك بعد حدث انتقال الكتابة من الخط الأصىلى إلى الخط الآشورى .

٢- واضعو التشكيل

بدأ العمل فى وضع التشكيل فى النصف الثانى من القرن الثامن واستمر لمدة مائتى عام . وينسب وضع الأساس لهذا العمل الكبير لكل من فينحاس رئيس المدرسة الدينية اليهودية آنذاك ، وأشير الشيخ فى طبرية . وقد استغرق هذا العمل أجيالا من الباحثين والنساخ الذين منحوه جل اهتمامهم ، ونشأت حركات اختلفت فى نظامها ، ففى بابل كان النظام الشرقى ، وفى فلسطين كان النظام الغربى . وقد تم هذا العمل

على أساس الماسورا الباقية فى كلام التلاميذ والقارئ والموروثة من جيل إلى جيل ، وساعد كثيرا فى وضع التشكيل مقارنة المخطوطات المختلفة والنسخ التى وصلت إليهم، ولكن اضطروا أحيانا إلى الترجيح بناءً على راحة رأيهم وعمق تصورهم .

وقد رأوا فى أكثر من ألف وثلاث مائة عبارة من عبارات العهد القديم ضرورة تغيير النص المسلم به ، ووضعها إما فى المكتوب وغير المقروء أو فى المقروء وغير المكتوب . ووجدوا فى اثنتين وعشرين عبارة أشياء محذوفة لم يستطيعوا إكمالها فأشاروا إليها بـ: 'يسبقا فى منتصف الفقرة' . وإذا أمعنا النظر فى قائمة التغييرات الموجودة بين نص الماسورا وبين نسخة النصوص كما هى محفوظة فى الأدب التلمودى والترجوميم ، نجد أن عدد هذه التغييرات يزيد عن الآلاف . وحدثت هذه التغييرات فى إبدال الحروف والنبر والأسماء ، بل وإبدال عبارات كاملة تغير قصد النصوص، وهكذا يمكن إدراك كم كان كبيرا العمل الذى أدخل فى هذا البناء الشامل ، وما هو صدق الملاحظات النقدية للعديد منها .

وتبلور هذا العمل فقط فى نهاية القرن العاشر لياخذ شكل نتائج محددة فى بابل وفلسطين . وقد بدأ تثبيت الماسورا فى عصر ربى موسى بن نفتالى فى بابل ، وفى عصر ربى أهرون من سبط أشير فى طبرية ، والذى كان حاملا لقناع الماسورا فى فلسطين . وبالفعل فقد وضع هذا التشكيل الأساس الثابت لبحث اللغة العبرية ، وخاصة علم العهد القديم فى العصر الوسيط داخل فلسطين وخارج حدودها .

٣- تغييرات نسخ العهد القديم داخل التلمود

غير أنه إذا كان بجمع البيض تصبح الخرائب ، فإن التلمود على العكس من ذلك فقد جمع شتات اليهود تحت لوائه . فالماسورا التى حُفظت فى اتجاهات متنوعة فى الحياة قد رفضت الخضوع لسلطان النتائج الجديدة التى تحدت فى المدارس الدينية اليهودية الرسمية وجمعت فى أقوال التلمود . ولذلك فقد حدثت هنا وهناك تناقضات، وعبر عنها فى أشكال جماعات منظمة لم توافق على قبول سلطة التلمود ومروجيه ، وتشجع الزعماء المتحدثون منهم فى إثبات أن قواعد التلمود لا تناسب بدرجة ملائمة أقوال التوراة ، وأن تفسيرات النصوص المقروءة المسلم بها تنشد الحقيقة. وتلك المباحثات التى ثارت بسبب التلمود تسببت بصورة غير مباشرة فى تطور بحث العهد القديم. فبحث هؤلاء باسم العهد القديم للبرهنة على قداسة التلمود،

وياسم العهد القديم ظهر أيضا المعارضون لهذا الرأي. وساعد في توسيع هذه الحيرة الدينية الشاملة التي سادت الشرق انتصار أنصار دين محمد ﷺ بالإضافة إلى التشعبات الدينية والاجتماعية داخل الجماعة اليهودية المشتتة ، ولذلك بحث العديد من الضالين روحيا عن علاج لهم في سفر الأسفار

٤- انتشار التلمود

وكما حدث للتلمود الذي لم تخضع له كل طوائف اليهود دفعة واحدة ، كذلك حدث للماسورا التي هي نتاج أصحاب التشكيل ، فتزايد في المجالين المتمردون والمعارضون ، وفقدت كلية الغالبية العظمى من هذا الأدب ، وحافظت الأجيال التالية فقط على الأقوال التي تم الاعتراف بها وتقديسها ، أما أقوال المخالفين ، فمن يجمعها ومن يحفظها ؟

ورغم كل هذا فقد تسرب إلينا صدى لبعض هذه الأقوال ، وذلك إما عن طريق الذين عارضوهم أو عن طريق أولئك الذين حاربوهم في كتاباتهم ، وعلى هذا الأساس حافظوا عليها حتى لا يفقد ذكرها للأبد . غير أن هذه الآثار المتفرقة التي أنقذت بمعجزة داخل أدب غريب كانت كافية أيضا لتؤكد إلى أي مدى تزايد العديد من أبناء هذا الجيل الذين انهمكوا في دراسة أقوال العهد القديم ، وإلى أي مدى كان عمق النقد آنذاك .

٥- القراءون

ويقوة سلطان عنان بن داود - المعروف بصفته زعيما للقرائين - نجح آنذاك في تجميع العديد من بقايا الفرق الدينية الموجودة في فلسطين في ذلك العصر سويا ، وحشد حوله كل أولئك الذين التمسوا بحث العهد القديم على أساس "التقاليد الموروثة" (أي تراث الآباء والأجداد) ، المتوافر عندهم ، ولم يرغبوا أن يعملوا تحت سلطان التلمود . ولذلك حذر عنان تلاميذه وألزمهم "أن يفحصوا التفسير ببساطة" . ويكل تأكيد فإن تراث الآباء - أي الماسورا التي كانت سائدة عند جماعات مختلفة في فلسطين - لا تناسب الحقيقة التاريخية أكثر من أساليب البحث التي كانت سائدة عند حكماء التلمود فيكفي أن طرق البحث التي أظهرها عنان قد أفادت في تطور بحث العهد القديم .

غير أن الحرب التي اندلعت بين القرائين والريانيين والتي استمرت سنوات عديدة قد تسببت - كما ذكرنا أنفاً - في إثارة روح النقد . وخرج كتاب العهد القديم عن حيز الحكماء والمتعلمين ، ووضع في مركز الجدل العام . ويعنى ذلك أنه بمرور الزمن لم يعد ممكناً ألا تظهر مرة ثانية التناقضات العديدة من وراء قناع التفسيرات والتعليقات التي أراد علماء التوراة تثبيتها مئات السنين . وعرقلت هذه التناقضات وغيرها الحاذقين من باحثي العهد القديم من حكماء التلمود ، غير أنها خرجت مرة ثانية من مخابئها وتمت المطالبة بتعديلها .

٦- مشوى هعبرى

في النصف الثاني من القرن التاسع وجد مشوى هعبرى ، مؤسس طائفة دينية فريدة في فلسطين ، ثغرات في ماسورا أبناء طبرية ، فبرز لمحاربة الرأي المالكوف بشأن المقرء والمكتوب ، وليس هذا فحسب بل سمح لنفسه بالتعديل في نص العهد القديم ، وتغيير كلمة بأخرى ، وإضافة عبارات طبقاً لرأيه . وبقيت بأعجوبة بعض من آرائه المثيرة للاهتمام . ففي سفر التكوين (٨:٤) يرد : "وكل قايين هابيل أخاه وحدث أن كانا في الحقل" . وقد أدرك القدماء بالفعل فقدان الربط بين قسمي هذا النص ، كما توسع أصحاب الأجادا في تفسير ذلك . ويقترح مشوى هعبرى بدلا من التفسيرات المتباعدة تعديل النص ليصبح : "وقال قايين لهابيل قم تخرج للحقل وحدث أن كانا في الحقل" . لأنه كان وثاقاً أن هذا النص كان مكتوباً هكذا في التوراة فيما مضى . وفي الواقع ، يقال بوضوح في نسخة التوراة المحفوظة عند السامريين "نذهب إلى الحقل" . وهذا هو نفس الحكم في الترجمة السبعينية والترجمة السريانية للتوراة والترجمة الأثيوبية والفولجاتا (الترجمة اللاتينية للعهد القديم) . وفي نهاية قائمة أبناء يعقوب الذين هبطوا مصر ، يرد في سفر التكوين (١٥:٤٦) "جميع نفوس بنيه وبناته ثلاث وثلاثون" ويعدل مشوى "اثان وثلاثون" حيث نجد ارتفاع عدد الرجال المعدودين في القائمة . وفي الخروج (٣٥:١٦) يقال : "وأكل بنو إسرائيل المن أربعين سنة ... حتى جاءوا إلى طرف كنعان" ، ويقترح مشوى بدلا من ذلك أن يقرأ "ويأكل بنو إسرائيل المن ... وذلك لأن الماسورا جاءت بعد ذلك تتضمن الرأي بأن هذه العبارة كتبت بعد موت موسى .

تلك التعديلات وما شابهها قليل مما وصل إلينا وهي تشهد بأنه ، كان لمشوى وتلاميذه أسلوب في فهم تاريخ العهد القديم يختلف عن الأسلوب المالكوف . لكننا نسلم

رأيه هنا ، وهو أن النسخة المعترف بها ليست بالغة حد الكمال كما ينبغي أن تكون ، ومن المحتمل أن بعض النصوص قد شوهت أو بترت بمرور الزمن . لذلك فإن الحاجة للتعديل حقيقة لا مفر منها .

ولم يكن ذلك مقصودا فقط على مشوى . فقد اتبع هذا الأسلوب معاصره موسى الزعفراني المعروف بالاسم العربي ابن عمران التفليسي أو موسى بن عمران الفارسي ، الذي أسس طائفة دينية جديدة . وتابعهم يهوذا الفارسي وابن زوطه ، وقد ذكر أبراهام بن عزرا في تفسيره بعضا من تفسيراتهما المعارضة للماسورا (الخروج ١٢: ٢ ، ٢٠: ٢١ ، ٢٥: ٢٢ ، ٢٨: ٢٢) : اللاويين ٩: ١٥ ، العدد ٢٩: ٣ رسالة السبب (١) ، ولا شك أن عددهم تزايد آنذاك ، غير أن أسماهم وتعديلاتهم لم تصل إلينا .

٧- حيوى البلخى

ويعتبر حيوى البلخى الذى عاش فى النصف الثانى من القرن التاسع الميلادى واحدا من أكثرهم أهمية ، وعرفناه من خلال أقوال الذين عارضوه وقاموا بالإجابة على ادعاءاته وبخاصة أقوال الربى سعديا جاؤون .

وطبقا لأقوال الربى سعديا جاؤون المحفوظة فى أقوال الربى يهوذا بن برزيلي لسفر الخلق فإن حيوى البلخى ألف كتابا قائما بذاته يشمل "مانتى ادعاء" ضد الكتابات المقدسة . ولم يصل إلينا هذا الكتاب ، غير أن بعض ادعاءاته مبعثرة فى أدب ذلك الجيل وقام بجمعها مع بعضها البعض س. فورننسكى ، وبعد ذلك ي. دافيدسون ، ومع ذلك لم يكن حيوى البلخى باحثا للمقرا طبقا لمفهومنا ، فالعديد من آرائه التى وصلت إلينا تتصل أكثر بقضايا دينية ويجوهر الألوهية ومع ذلك فإن موضوع أبحاثه فى المقرا تشجع على أسلوب البحث الحر فى الانحراف عن أقوال الماسورا ، والتحرر من الآراء المسلم بها .

٨- سفر الأسئلة

ومن خلال آرائه القليلة التى وصلت إلينا تسرب الشك بأنه فى فترة متأخرة كان هناك من أدخلوا داخل التوراة أقوالا مختلفة غريبة عن روح التوراة فزيقوها . وبلا شك فمن الواضح أنه لا يقول مثل هذا وبعض الشكوك التى أمامنا مصاغة فقط بمثابة

أُسئلة فحسب . وقد توصل إلى بعضها باحثو العهد القديم من حكماء التلمود ، ومنها على سبيل المثال تساؤل حيوى بشأن ميلاد حيرام . ففى سفر الملوك الأول (١٤:٧) يرد النص : "هو ابن امرأة أرملة من سبط نفتالى" ، أما فى أخبار الأيام الثانى (١٣:٢) يشير النص أن حيرام كان "ابن امرأة من بنات دان" . وتفسر الجمارا (عروفين ٢:١٥) هذا الغموض بتخمين أن أبى حيرام كان من سبط نفتالى وأمه من بنات دان ، ولا نعرف ما هى النتائج المترتبة من تساؤل حيوى عن هذا التناقض.

وعلى ما يبدو فإن حيوى سعى لتقريب المعجزات إلى العقل وشرحها بأسلوب فطرى . وعلى هذا يقتبس ابن عزرا أقوال حيوى المرتبطة بشأن انشقاق البحر الأحمر (خروج ١٧:١٤) وهى : "أن موسى عرف زمن انحسار المياه بهبوطها وزمن تزايد المياه فى ارتفاعها واستمرارها ، وقام بالعبور بالشعب أثناء انحسار المياه طبقا لنظريته ، وأما فرعون فلم يكن عارفا بأسلوب المياه على طبيعتها" . ويوضح ابن عزرا فى موضع آخر رأى حيوى فيما يتعلق بهبوط المن (خروج ١٣:١٦) فيقول ، إن المن "هو المعروف بالاسم الفارسى ترنجفين" ، وفى اللغة العربية "من" واللغة الأجنبية "منا" وطريقة هبوطه حتى اليوم فى الصحراء . كما يوضح حيوى أيضا عبارة : "جلد وجهه صار يلمع" (الخروج ٢٤: ٢٩) قائلا : "بسبب أنه لم يأكل خبزا صار وجهه يبسا مثل الجلد" (تفسير ابن عزرا ، نفس المصدر).

٩- دفاع الربى سعديا جاؤون

لا تظهر آراء مشوى هعخبرى القليلة التى بقيت أهمية نقدية ، بل تظهر قيمته النقدية من خلال آراء الذين خالفوه . ومن المؤكد أن تأثيره كان كبيرا فى عصره ، لأن الربى سعديا جاؤون رأى أن من واجبه نشر كتاب خاص بالعبرية ضد شكوك حيوى ، وعلماء القرائين ، وكتب - أيضا - ضد ابن عمران التفليسى . وأسهب الربى سعديا جاؤون فى كتابه "الأمانات والاعتقادات" الحديث فى المقالة الثالثة فيما يتعلق بـ: "الاثنتا عشرة مسألة المحيرة لقلوب البشر والتى تفسد عقيدتهم" فى الكتابات المقدسة.

ولم يبتدع الربى سعديا المسائل من عنده بل استمدّها من داخل الحياة ، ومن بينها قضايا تناقضات بارزة بين الروايات الموجودة فى سفرى الملوك ، وتلك الموازية لها فى سفرى أخبار الأيام (فى الملوك الثانى ٢٦:٨ نجد أن أحزيا هو بن يورام ملك وهو ابن اثنتين وعشرين سنة ، أما فى أخبار الأيام الثانى ٢:٢٢ وهو ابن اثنتين

وأربعين سنة) . وكذلك التناقض بين روايات سفرى أخبار الأيام وروايات سفرى صموئيل (ففى سفر صموئيل الثانى ٩:٢٤ يرد النص "فكان إسرائيل ثمان مائة ألف ذى بأس مستلى سيف ، ورجال يهوذا خمس مائة ألف رجل" ؛ وأما فى أخبار الأيام الأول ٢١:٥ فإن النص يكون على النحو التالى: "فكان كل إسرائيل ألف ألف ومائة ألف رجل مستلى السيف ، ويهوذا أربع مائة وسبعين ألف رجل مستلى السيف" وما يشبه ذلك) .

وعلى ما يبدو فقد أثمرت تلك الثورة النقدية آنذاك عن حركة كبيرة أسست أدبا كاملا تسرب من أسوار المدارس . وهامو الربى أبراهام بن دافيد يذكر حيوى بقوله: "الذى ابتدع تورا من عنده" ، يؤكد "أن معلمى الأطفال كانوا يعلمونها فى الكتب والألواح إلى أن جاء الربى سعديا وحضضاها" . وأكد س. فوزنسكى أنه لم يقف على رأى تعلم الأطفال من كتاب الشكوك الذى ثار ضده الربى سعديا . جاؤون ، ليس هذا فحسب ، بل إن حيوى قد ألف "كتبا وألواح" أخرى خُصصت لعلمى الأطفال وفيها أفتى أن يدرس العهد القديم بناءً على منهجه .

وبما أن كتب حيوى كانت تدرس فى المدارس واستمرت ست مائة سنة بعد موته وخارج موطنه فقد كان تأثيره كبيرا على مجرى النقد الذى غمر آنذاك معسكر فلسطين .

والواقع ، لم يتوقف تتبع تأثير نقاد ذلك العصر طويلا ، حيث قام بعدهم تلاميذهم وتلاميذ تلاميذهم وواصلوا بقوة الرؤى التى استنبطها معلمهم فى مجالى البحث والنقد .

وقبل بضع سنوات وجد البروفيسور شاختر فى وثائق الجنيزا القاهرية اثنتى عشرة صفحة كتبت فى فلسطين فى القرن الحادى عشر طبقا لرأى فوزنسكى . وداخل هذه القطعة المكتوبة شعر بلغة عبرية سليمة ، لم يقدم المؤلف ليعلن آراءه الخاصة فحسب ، بل ليصدر باسم جماعة كاملة قوله : "سخطا سخطت لتقديس طائفتى" . وثار يتهم بسخرية حادة ومريرة كل حكماء العصر ويباحثى العهد القديم فى عصره لتقييدهم أنفسهم فى دائرة بحث النبر ووضع الماسورا ، وإحصاء الحروف وتحديد الاختصارات . وطبقا لتخمين د. كاهانا فإن اسم المؤلف اليعازار بن عزريا واسم زعيم جماعته - بن بروكه - التى ادعى باسمها . وثار بسخرية حادة ضد "زعماء المدارس الدينية اليهودية" ورؤساء السنهدين وتلاميذهم الذين اعتقدوا أن "العهد

القديم إرث لهم، وهم حراس التلمود والمشنا. أما باحثو التوراة القليلون الذين اكتفوا بقواعد النبر، والجدل حول التشكيل فالتفوا حول علامات التجويد، مرتبتها وطولها، كما شغفوا بالنبر وأسهبوا في الشعر، وخارت قوتهم مثل الأصم، وأطالوا حركاتها.

فيتوجه لكل هذه الأقوال قائلا: "نعرف العهد القديم بكل صورته، ولا يهمل أمر من البداية حتى النهاية"، ونادى "هل توجد إجابة". ثم يفصل تساؤلاته وشكوكه الواحدة تلو الأخرى بداية من أول أقسام سفر التكوين، ولا تتصل كل الأسئلة بموضوعنا: فالعديد منها يبحث سر الخلق وإرادة يهوه سبحانه وتعالى، وحساب السنين والتأكيد على الوصايا. غير أن العديد منها أسئلة متعثرة تؤكد صدق السائل في كتابه لأنه يقول "قرأت العهد القديم من بدايته حتى نهايته... حتى نهايته شقويا مرات أجريت فمي ليسرع عن الصمت".

ولم يتم التعرف فقط على صحيح العهد القديم، بل أيضا إدراك التناقضات والمواضع الصعبة التي تتطلب مزيدا من التوضيح، كما تم التعرف أيضا على أقوال الباحثين السابقين له، فنجد أيضا في استفساراته اقتباسات من أقوال حكماء التلمود في هذه القضية، وكذلك عبارات من تساؤلات حيوى. ولم يكن عبثا أن يسعى المستفسر أن يكون علم العهد القديم لتفسير العهد القديم. وأدرك أن سفرى أخبار الأيام تكرر للأحداث المعروفة بالفعل في بقية أسفار العهد القديم، لذلك يتعجب ويستفسر: "عملية إحصاء مزدوجة للمسبيين وبناء الهيكل، وصلاة كاتب الأمثال، ومحاربى داود، وإحصاء إسرائيل، وموت شاول، كل ذلك مزدوج، فماذا نتعلم ونستفيد منها؟. وليس هذا فحسب، بل أيضا موت يوشع وصموئيل، وقدم سنخريب ودمار الهيكل، "والعديد من الأحداث التي ليست مقدسة، فلماذا حدث الازدواج والتكرار في العهد القديم؟.

ولم يكشف فقط التكرار في سفرى أخبار الأيام، بل اكتشف أيضا روايات مفصلة عن الأحداث المعروفة لنا من الأسفار التاريخية الأخرى، فيتابع ويحصي التناقضات المتكررة المرتبطة بسنوات ملك آسا (الملوك الأول ١٦: ١٨ = أخبار الأيام الثانى ١٦: ١) وكذلك المتعلقة بعمر حزيا بن يورام (الملوك الثانى ٨: ٢٦ = أخبار الأيام الثانى ٢٢: ٢)، وأخبار أيام مملكة يهوياكين (الملوك الثانى ٢٤: ٨ = أخبار الأيام الثانى ٢٦: ٩). ولم يكن الخطأ في حساب السنين بين سفرى الملوك وسفرى أخبار الأيام،

بل كان أيضا في نصين في رواية واحدة . ففي سفر الملوك الثاني (١٥ : ٢٠) يقول النص "وملك هوشع بن أيله مكانه في السنة العاشرة ليوثام بن عزيا " ، ثم يعود في نهاية الفقرات الثلاث الأخيرة فيقول إن يوثام بن عزيا ملك ست عشرة سنة فقط (١٥:٢٣). كما أن يربعام بن يوأش صعد للملك "في السنة الخامسة عشرة لملك أمصيا ، وفي السنة السابعة والعشرين ليربعام ملك عزيا بن أمصيا وفي السنة الثالثة والعشرين ليوأش بن أحزيا وبعد ذلك ملك ابنه وهو في السابعة والثلاثين " .

وتوصل أيضا إلى وجود تناقض واضح بين بعض العبارات في نفس السفر " لم يرد في العهد القديم إشارة بأن أبشالوم كان له أبناء ، أى لم يكن له ابن ، لكن أقام نصبا لتذكيره ، فكيف يكون ذلك ، وقد ولد له ثلاثة أبناء وبنت اسمها ثامار (صموئيل الثاني ١٨: ١٨ ، ١٤: ٢٧). وفي موضع آخر "يبدو الأسلوب مباشرا حيث قال النبي لداود في الحوار: اذهب اصنع ليهو بيتا ، وبعد ذلك ندم يهو ، وأنت - أى داود - لا تبني لي بيتا بل ابنك هو الذى يبني لي بيتا (صموئيل الثاني ٧: ٣ ، ٧: ٥) .

وعلاوة على ذلك اكتشف العديد من الارتياك في التأريخ والتكرار والتناقض في أسفار التوراة كما في الرواية الخاصة بالطوفان وفي قصة الجواسيس وغيرها . وورد في سفر التكوين عن يهوذا أنه وقت بيع يوسف قد هبط آنذاك عند رجل عدلامى واتخذ له زوجة ، وولد له غير ، وبعد ذلك ولد أونان ، واتخذ غير ثامار زوجة له ، ثم مات غير ثم مات أونان وترملت زوجته "ومرت السنون " وانصاع يهوذا لثامار فتزوجها وولدت له فارص ، وولد فارص حصرون وحامول ، وحدث كل هذا في غضون "اثنين وعشرين سنة " منذ بيع يوسف وحتى هبوط يعقوب وبنيه مصر " (التكوين ٢٨ ، والتكوين ٤٦ : ١٢) .

كما تسرد التوراة تسع مرات عن الشعوب التى يطردها يهو من أمام إسرائيل في أرض كنعان "وفي ذلك اليوم (عهد الأشلاء) أقسم أن يعطيه عشرة أمم إرثا ، كيف ذلك ؟ ، وفي خمسة مواضع قال ست أمم ، وفي موضع قال خمس أمم ، وفي موضع آخر ثلاث ، وأضاف موسى سبع أمم " (التكوين ١٥ : ١٨ ، ٣ : ١٧ ، العدد ١٣ : ١٩ ، الخروج ٢٣ : ٢٨ ، التثنية ٧ : ٢) . ولم تكن أقوال الروايات هى التى تدحض بعضها البعض فقط ، بل أيضا نصوص الأحكام والقانون . "فعندما ذكر النبي كل الأعياد لم يحذر بنى إسرائيل من اللبن فى تلك الأقوال . ولم يذكر يوم هتاف البوق ويوم الغفران " (التثنية ١٦) كما لم ترد أحكام نظام القرابين فى سفر التثنية .

ونبه إلى أن كل القوانين المذكورة في التوراة لم تكن معروفة في عصر القضاة والملوك . لذلك يتعجب "عظيم أمره في توراته بالكلمة ، لا تاكلوا فريسة وجيفة ، وكيف أمر للغربان بالشحة غذاء يوميا لحملها ؟" . وعلاوة على كل هذا توصل إلى أن العديد من الفقرات والتعبيرات الموجودة في التوراة التي تمثل السفر النهائي للأجيال ، متأخرة وبعيدة عن طبائع الحياة المألوفة في عصر العهد القديم ، ونظم المجتمع المألوفة آنذاك " :فاشتريتها لنفسى بخمسة عشر شاقل فضة ويجومر ولك شعير " (هوشع ٣: ٢) فما مقدار لك ؟ وما الخاصية بين الفضة والجومر ؟ يتضح بجلاء في قول اصطلاحى " . وحقا " فإن اليد قصيرة وعاجزة عن التصريح بحكمة العهد القديم المدهشة " .

وكما يبدو لم يكتف هؤلاء المستفسرون بطرح الأسئلة فحسب ، بل تشجعوا إلى حد ما حتى يتمكنوا من فهم سبب "الفجوات" التي وجدوها في العهد القديم وعلاجها . ولولا ذلك ما لقيت أقوالهم غضبا في معسكر فلسطين ، وما ثار عليهم زعماء الماسورا بغضب شديد . وتكشف الصفحات الاثنتا عشرة التي وجدها البروفيسور شاختر عن كتاب للحرب القوية التي حاربها ضدهم "الجاؤون" "ومدرسته" ، والواقع برزت لتكون بمثابة هدم الهيكل . وتشمل هذه الصفحات بكل تأكيد أسئلة فقط . غير أن هذه الصفحات تمثل قطعة واحدة أى مقدمة الكتاب ، وربما جاء بعدها فصول أخرى توضح اتجاه ومنهج السائل أكثر "في علم العهد القديم" . ويحكى السائل في نهاية هذه القطعة المتوافرة لدينا ما يتعلق بالكتب الثلاثة التي ألفها وهى "فى إسرائيل علنا وليس سرا" وفيها اهتم "بشروح العهد القديم وأسلوبها" ، أى شروح الأسئلة ، فالأسئلة لم تأت للإخفاء فقط بل للفهم أيضا .

١٠ - تدهور النقد فى بابل وارتقاؤه فى الأندلس

ومع ذلك لم يستحق هذا الاتجاه النقدى لكى يكون فرعاً يبرز فى تسلسله الطبيعى . فالعصر كان عصر فوضى فى الآراء الدينية . حيث ظهرت فرق عديدة ومختلفة فى معسكرى الربانيين والقرائين فى فلسطين وكان الصراع محتدماً بينهما ، وكذلك بين الأحزاب الدينية فى كل منهما ، وأصبح من المتوقع حدوث فوضى دينية ووقوع خطر على أسس العقيدة المألوفة ، ولذلك رأى حراس الماسورا فى ذلك الجيل أن من واجبهم التغلب على الخطر وتهذبة الأنفس النائرة فى الوقت المناسب .

وأدى ذلك إلى ظهور أدب المناظرة وتطوره . ودافعت الماسورا عن وجودها بكل قوة . وقام الربى سعديا جاثون (الذى ألف كتابا ضد القرائين) بمناظرة حيوى البلخى دفاعا عن قداسة التوراة المكتوبة والتوراة الشفوية وكمالهما . كما ناضل أصحاب الماسورا اليهود المجددين والمحافظين سويا . وكان هذا الأسلوب فى المناظرة أحد عوامل ظهور النقد والذى كان من الممكن أن يختفى لولا ظهور علماء مخلصين للنقد وظهور مجالات جديدة للتأليف بالعبرية ساعدت على تطور النقد وعدم اختفائه فى خضم الأدب التفسيرى الذى سيطر على التأليف بالعبرية لفترة طويلة من الزمن . ومن هذه العوامل ظهور علم النحو الذى نشأ وازدهر فى جنوب أوروبا ، ومنها أيضا تطور العقلانية الأوروبية متأثرة بالعقلانية العربية خلال العصر الذهبى لليهود فى العصر الوسيط .

القسم الأول

نقد الموروث

الفصل الرابع

علم النحو والبحث الدينى

أولاً : ازدهار النقد فى الأندلس

١- اللغويون والعهد القديم

ارتبط علم النحو منذ نشأته وحتى الآن بنقد العهد القديم ، وأفاد كل منهما من الآخر . وكان الجوهر الأساسى للغة العبرية مظهرا من مظاهر نقد العهد القديم . وقد استمد النحاة الأوائل كل أسرار اللغة من الكتابات المقدسة ، وحددوا على أساسها أساليبهم عن تطور اللغة وقوانينها . وبما أن قوانين اللغة قد اتضحت وحددت ، فقد أصبحت أساسا ثابتا لفهم النصوص المقدسة وبحث مقاصدها . وواصل اللغويون والنحاة بعزيمة ونشاط ما بدأه أصحاب الماسورا ، وطوروا فى نقد العهد القديم طرقا لم يحققها الأوائل .

واستخدم البحث الدينى - أيضا - باعثا هاما لتعميق دراسة الكتابات المقدسة . إن تعاليم إله إسرائيل متضمنة فى أسفار العهد القديم ومنها يستمد البحث وعليها يكون التأسيس . فمع اتساع الأفق وزيادة الإيمان بالمذهب العقلى تشعب نقد العهد القديم ، وابتعد عن المجالات الضيقة المرتبطة بنقد الحروف والكلمات التى حددها علماء الماسورا وعلماء النحو . واتجه بخطى واسعة لمعرفة التطور التاريخى للعهد القديم ، ورسم للنقد العبرى الطريق المؤدى إلى بداية البحث الحديث .

٢- يهوذا بن قوريش

يعد الطبيب يهوذا بن قوريش (الذى عاش فى طليطلة فى شمال أفريقيا فى بداية القرن العاشر) الباحث الأول فى علم النحو واحدا من مفسرى العهد القديم الذين اهتموا بمعرفة ترجمات العهد القديم ومقارنتها بالأصل . وقد كان أول من سلك أسلوب المقارنة فى بحث لغة العهد القديم وشرح الكلمات العبرية معتمدا على نظائرها العربية والآرامية والبربرية . ولم يصل إلينا تفسيره لسفرى أخبار الأيام ، وقد عرفنا من خلال مفسر آخر مجهول الاسم ملاحظاته العميقة التى أثبتت التناقضات الموجودة فى أسماء الشخصيات المذكورة فى سفرى أخبار الأيام بون اللجوء إلى تفسيرات بعيدة . وقد اضطر إلى البحث لها عن تفسيرات تاريخية لم تأت أحيانا مطابقة لتفسيرات أصحاب الماسورا .

وكان يشبهه إلى حد كبير النحوى الإيطالى شبتى دونولو فى تفسيره للنصوص وإزالة غموضها . ووضح ذلك فى تفسيره لقصة الخلق ضمن تفسيره لسفر التكوين . ويمثل هذا البدايات الأولى للفترة الجديدة فى تاريخ النحو .

٣- مناحم بن سروق وتلاميذه

وفي منتصف القرن العاشر نهض لعلم اللغة العبرية مخلصون جدد في الأندلس: فتقدم علم اللغة العبرية بواسطة مناحم بن سروق ودوناش بن لبراط إلى مرتبة العلم ، ورغم اختلاف آرائهما واختلافهما فقد كانت الكتابات المقدسة أساس أبحاثهما . واعتمد مناحم على أسفار العهد القديم "لصقل اللغة اليهودية في أساسها وجذورها " (افتتاحية كتاب المذكرة) وكرس كل وقته للعهد القديم ، فشرح كل جذر من جذور لغته ؛ ولأنه كان حريصا على عدم الخروج على قواعد اللغة فقد ظل عاجزا عن دراسة تفاسير الأجادا . ولكنه تمكن من التمييز بين التفسير السائد لمعاصريه والمعنى البسيط للعهد القديم

أما دوناش بن لبراط فقد تعصب تعصبا شديدا لكل حرف وكل نقطة ، وفي إجاباته على سعديا جاؤون (ص٢) أشار غاضبا : "حاشا لله أن تفسر أمرا تفسيراً يؤدي إلى حذف نقطة واحدة " ومع ذلك فقد كان مضطرا أكثر من مرة لتعديل تشكيل الماسورا ، وتغيير أقوال الماسورا .

ومهد تلاميذ مناحم بن سروق - وبخاصة الربى يتسحاق غقطيه ، والربى يهودا حيوج - بأبحاثهم في علم اللغة سبلا جديدة في فهم العهد القديم ، كما أن يونا بن جناح تلميذ تلاميذ مناحم بن سروق ورائد باحثي اللغة العبرية في العصر الوسيط قد أقام لنفسه اسما أبديا في تاريخ التفاسير بكشفه طرقا جديدة في نقد العهد القديم . وإذا كان النحاة الذين سبقوه تعلموا العهد القديم من أجل معرفة قوانين اللغة ؛ فإن الربى يونا بن جناح قد تعمق في تفسير قوانين اللغة من أجل إظهار المقاصد النهائية للعهد القديم . وإذا كان السابقون قد بحثوا في الكلمات والجذور فقط ، فإن الربى يونا قد أسس علم الأسلوب وقوانين النبر . الأمر الذي ساعد على فهم العديد من فقرات التوراة وتبيان التناقضات المختلفة فيها .

٤ الربى يونا بن جناح

ويعد كتاب "النقد" الذي ألفه الربى يونا بالعربية ، والمتضمن كتابيه : "التراكيب" و "الأصول" من أهم الكتب التي كتبت عن العهد القديم في ذلك العصر . وقد جمع الربى يونا بين شمولية اللغة وعلامات بناء التراكيب في اللغة العبرية ما يلي : "الإيجاز" ، و"الناقص" ، و"تسمية الأشياء بنقيضها" و"الإبدال" ، وما يقال

عن الكلمة وحاجة غيرها لها . وقد اهتم بتوضيح مضمونها بجلاء وحدود كل منها ، وأسس رأيه في خضم الرؤى المستمدة من الكتابات المقدسة . وهكذا أوجد لنفسه فرصا شاملة لاستخدام قوانينه لتفسير مسهب ، واستنتاج نتائج هامة في نقد نص العهد القديم .

وقد كان للأساليب التي طورها الربى إلبعازار بار ربي يوسى الجليلي أهمية كبيرة ، وبخاصة الأسلوب المعروف باسم "مقرا مختصر" والذي أصبح عنده أساسا قويا لمنهج كامل في النقد . ففي شرح قوانين الحذف (أو كما سماها في ترجمته العبرية إخفاء الأمر) يشير إلى أنه في أسلوب لغة العهد القديم لم يتم فقط حذف حروف أو كلمات ، بل حذفت تعبيرات كاملة ، ووجب المفسر إتمامها بناءً على أسلوب فهم العهد القديم . ثم أحصى في قائمة طويلة تلك الاختصارات وتعديلاتها (إخفاء الأمر "و" مدلوله ") . وهكذا فإنه في سفر اللاويين (٢:٢٠) يفسر الفقرة "أعطى من زرع للملك " بدلا من "أعطى من زرع لمولك " ، وذلك على أساس ما ورد في (٢١:١٨) فيقول النص : "ولا تعط من زرعك للإجازة لمولك " وما إلى ذلك ، وبناء على ذلك فإنه يرى أن النص قد تغير تغيرا ملموسا . وعلى سبيل المثال يفسر سفر الخروج (٢٢:٥) "أو كل الذي في الحقل " بدلا من "إذا خرجت نار وأصابت شوكا فاحترقت أكداً أو زرع أو حقل " . وفي صموئيل الثاني (٨:١٨) يفسر "وزاد شجر الوعر " أو "حية الوعر " بدلا من "وزاد الذين أكلهم الوعر من الشعب " .

وعلاوة على ذلك فإنه اعتبر الكلمة "شلمان" في هوشع (١٤:١٠) بمثابة اختصار للاسم "شلمنصر" ، وكذلك الكلمة "المحاصرون" في إرميا (١٦:٤) اختصارا للاسم "نبوخذ نصر" ، كما شرح إبدال الحروف داخل كلمات فريدة مثل "في نصف " بدلا من "في نحو نصف" (صموئيل الأول ١٤:١٤) ، "من أين ؟ " بدلا من "ما أي هذا ؟" (صموئيل الثاني ٢:١٥) ، و "ما عدا " بدلا من "عدا من " (التكوين ٢٦:٤٦) ، والعدد ٢٨:٢٣) : الموازي الملوك الأول ٥: ٣ ، وما إلى ذلك . ويشير على هذا النمط للعديد من التغييرات في ترتيب الكلمات داخل الجملة مثل "من أجل ما صنع " بدلا من "لأجل هذا صنع " (الخروج ٨:١٣) ، و "فوق الجبال تقف المياه " بدلا من "فوق المياه تقف الجبال" (المزامير ٦:١٠٤) ، و "إذا ضربته البرص قد برئت منه الأبرص " بدلا من "الأبرص قد برئت من البرص" (اللاويين ١٤:٢ وما إلى ذلك) .

ومع ذلك فإن ملاحظات الربى يونا بن جناح النقدية واسعة وخاصة فيما يتعلق بالألفاظ التي لا يفسر معناها تفسيراً حرفياً ، أو حسب رأى الربى يونا "يتحدثون كلاماً ويقصدون غيره".

ومن خلال الأربعة عشرة قاعدة التي وضعها ، والتي يمكن على أساسها إيجاد المعنى الحقيقي للفظ المكتوب ، ظهر له حوالى مائتى تعديل داخل نص العهد القديم منها مثلاً ، تعديل " :أخذت خبزى ونببى " إلى "أخذ خبزى ومائى ؟ " (صموئيل الأول ١١:٢٥) ، وتعديل "وكانت يد يهوه عليكم وعلى ملككم " ، إلى "عليكم كما على أبائكم " (صموئيل الأول ١٥:١٢) ، وتعديل "وصمت كعبد يهوه " (إشعيا ١٩:٤٢) إلى "وأعمر كعبد يهوه وكذلك تعديل "واسم أخته معكة " إلى "واسم امرأته معكة " أخبار الأيام الأول (١٥:٧) (أنظر نفس المصدر ١٦:١٥) .

كما أن الأعداد مثل :اثنتان وثلاثة (التكوين ١٨:٢٦ ، الملوك الثانى ٩:٢٢ ، إشعيا ٦:١٧) ، والعدد سبعة (التكوين ٢٤:٤ ، اللاويين ١٨:٢٦ ، الجامعة ٢:١١) ، والعدد عشرة (صموئيل الأول ٨:١ ، ايوب ٣:١٩) ، العدد مائة (الجامعة ٣:٦) ، والعدد ألف ألف (صموئيل الثانى ٣:١٨ ، المزمير ١١:٨٤ ، ٧:٩١) لم يفسرها بمثابة أعداد محددة ، بل فسرهما بمثابة أعداد عامة .

كما قام بتعديل العديد من الأسماء والأعداد التي تبدلت بأخرى . فبدلاً من : "الثالث" فى (القضاة ١٥:١٤) قال "السابع" ، وبدلاً من "هارون" قال "يعقوب" فى إرميا (٢٦:٢٣) وبدلاً من "مرف" قال "ميكال" فى صموئيل الثانى (٨:٢١) ، وبدلاً من "سليمان" قال "إبشالوم" فى الملوك الأول (٢٨:٢) ، وبدلاً من "وعند خروجهم من الدار الداخلية" قال "من عند خروجهم للدار الخارجية" فى حزقيال (١٩:٤٤) .

وعلاوة على ذلك كشف عن حروف وكلمات كثيرة نسخت من مكانها الصحيح وتحركت إلى نصوص أخرى ، وكذلك أنصاف أسطر لم توجد فى مكانها الصحيح (مثل السطر فى صموئيل الأول ١:٤ الذى انتقل إلى صموئيل الأول ٣:٢٠) ، وما يشبه ذلك ، فقد أحصى العديد من الكلمات التي تبدلت بأخرى مشابهة لها فى الصوت .

وهكذا وصل ربى يونا بن جناح على أساس بحث الأسلوب العبرى وفهم قوانين تركيب الجملة إلى بحث متقدم فى نقد نص العهد القديم ، كما وصل العديد من العلماء المتأخرين إلى مثل هذا البحث على أساس من تلك القوانين ذاتها أو غيرها والاختلاف

الأساسي بينهم هو أن المتأخرين يتحدثون بشأن النص القديم الذي حُرّف بمرور الزمن من قبل الكتبة والنساخ العديدين ، أما هو فيرى أن ذلك نتاج تعديلات فى صورة الأسلوب العبرى فى العصر القديم . لكن من الخطأ الاعتقاد بأن ربى يونا استمر فى تعديلاته مقيدا بوجهة النظر الفيلولوجية فقط ، فالعديد من هذه التعديلات المحصاة - وبخاصة الأخيرة - لا يمكن إيجاد سبب آخر لها غير أخطاء النساخ .

ثانياً : المفسرون فى فرنسا

وقد كان تأثير أولئك النحاة على معاصريهم والأجيال المتأخرة تأثيرا كبيرا ، حيث أثرت روحهم على كبار المفسرين الذين نشأوا فى فلسطين . أما المفسرون الذين كانوا فى فرنسا فقد تأثروا كثيرا بعلماء النحو ولم يثقلوا أنفسهم بعبء البحث وعلم الباطن (السود) مثل زملائهم فى الأندلس ، بل كان جل اهتمامهم داخل الكتابات المقدسة فقط ، واستمدوا من داخلها شكوكهم وطرق تبديدها . والحقيقة أن اللغة العربية لم تكن منتشرة بينهم ، لذلك كان أمامهم مؤلفات النحاة الأوائل بصورة أساسية مثل دوناش بن لبراط ومناحم بن سروق وتلاميذهم الذين كتبوا باللغة العبرية .

١- شلومو يتسحاقى

وقد كانت نتائج استنباط هؤلاء وطرقهم واضحة لهم . وكان الربى شلومو يتسحاقى المفسر الأكثر إيمانا بمذهب القابالا من بين كل مفسرى العهد القديم اليهود ، وكان شلومو من أعظم مفسرى فرنسا وخطيب دائرة أصحاب الماسورا ، وقد أكثر من استخدام قوانين النحو ، واجتهد للوقوف على قصد النصوص بمعناها المباشر و " تثبيت النصوص على طابعها ونظامها " (الخروج ١٣:٢٣) ، ولم يفضل " التفاسير الحرفية المتجددة " على أساس أقوال الأجداد الراسخة لكنه استخدمها واقتبسها (المراثى ١:١ ، المقدمة لنشيد الأناشيد ، الخروج ٩:٦ ، الجامعة ١٢:٤) .

وقد سعى بلا شك فى تقاسيره إلى دعم جوهر آراء الماسورا المسلم بها ، ولم يكن هناك ما يمنعه من الإشارة إلى أن العهد القديم لم يكتب إلا " من أجل أن يتأمل المستمع " ما ورد مثلاً فى الخروج (١٨:١٩) وكان جبل سيناء كله يدخن من أجل أن الرب نزل عليه بالنار . وصعد دخانه كدخان الأتون وارتجف كل الجبل جدا . "

كما تنبه أيضا إلى عملية ربط الأحداث وتوصل إلى حقيقة اختلاف المؤلفين وترتيب النصوص ، فهو يرى أن بداية سفر يشوع "وكان بعد موت موسى "متصل بالتوراة التي تنتهى بموت موسى أى أن سفر يشوع متصل بالتوراة "، أو "وكان رجل من جبل أفرام " - وعلى الرغم من أن هذين القسمين كتباً فى نهاية سفر ميخا والسارية فى جبعة ، إلا أن ذلك كان فى بداية سفر القضاة (١٠:١٧). وعندما وصل إلى عبارة "واستراحت الأرض " (القضاة ٣١:٥) يحذر منها "ليس هذا من أقوال دبوراً بل من أقوال كاتب السفر "، ولا يوجد "سابق ومتأخر فى التوراة "والكل عظيم بالنسبة له "

٢- ربي يوسف قرا

وقد تفوق على الربى شلومو يتسحاقى فى هذا البحث معاصره الشاب ربي يوسف قرا ، والذي أعلن أن طرق التفسير التي كانت مألوفة فى فلسطين منذ عصر الأجداد التلمودية كاسلوب عام فى فهم العهد القديم ليست سوى تحسين وتجميل للتفسير ، وأن الجوهر يكمن فى التفسير الحرفى المنطقى للنصوص [البشاط]، وعندما وصل إلى فقرة "لأن النبی اليوم كان يدعى سابقا الرائي" (صموئيل الأول ٩ : ٩) فإنه لم يشك مطلقا فى استنتاج الحكم التالى "أن هذا السفر لم يكتب فى عصر صموئيل "، ولم يتجاهل كلية أنه بهذا يناقض أقوال أصحاب الماسورا ، بل يضيف التفسير قائلا : قال علمائنا طيب الله ثراهم أن صموئيل كتب سفره المضىء للأرض لكى يجعل من الظلمة نورا ومن الفساد إصلاحا "

وحاول فى تفسيره تحديد قوانين معروفة تبدو عامة فى التفاسير ومؤسسة كلها على قواعد التفسير الحرفى المنطقى للنصوص (البشاط) وفهم اللغة ، كما كشف أحيانا عن السمة الأدبية التي لم تكن متوافرة مطلقا عند مفسرى العصر . كما استنتج الجنس الشعرى من داخل النصوص ، وأحصى منها أنشودة الخلاص وأنشودة موسى ، وقصيدة البئر وأنشودة داود وما إلى ذلك (القضاة ٥). وأما ربي شلومو بن منير - حفيد الربى شلومو يتسحاقى - الذى اعتبر "رئيس المدققين "فإن أقواله لم تحظ شهرة . كما أن أخاه ربي شموئيل بن منير كان من المعجبين بالتفسير الحرفى (البشاط) ودافع عنه بقوة ، وتشجع أكثر من مرة لتوضيح بساطة العهد القديم فى مقابل أقوال الماسورا وتفسير شيخه . وكان رابينو تام الحفيد الثالث للربى شلومو يتسحاقى الأكثر اعتدالا والأكثر تلمودية من بين مفسرى ذلك العصر ، ولم يكن بعيدا

عن الملاحظات النقدية ، وتبدو آثار تفسيراته مبعثرة في مجموعات التوسفتا . وقد أشار إلى أن الإصحاح (٣٠) من سفر الأمثال سفر قائم بذاته واسم مؤلفه "علوقا" ، كما أظهر في مفكرته الإشارة إلى قواعد في النحو ليحسم الخلاف بين دوناش ومناحم .

٣- ربي يوسف بخور شور

ومن المفسرين الكبار في فرنسا نجد ربي يوسف بخور شور آخر تلاميذ ربي شلومو يتسحاقي ، والذي تميز بتعصبه الشديد للتفسير الحرفي (البشاط) و "تغلغل بروح فهمه في أعماق النصوص ورأى فيها تناقضات تنبه إليها نقاد العهد القديم الأكثر حداثة" . وأدرك أن قضية "السلوى" الموجودة في قسم "وأصعدتك" هي نفسها السلوى في سفر الخروج (١٦) ، "غير أن الذي تحدث على سبيل المثال بالמן تحدث عن السلوى" . وهكذا يقول في تفسيره للعدد (٨:٢٠) "خذ العصا" أنه يعني العمل لتقييده بالرسالة الذي أمر به موسى أن يضرب الحصن . وأدرك أن الاسم "بئر سبع" (التكوين ٢٦:٢٣) أعطى لهذه المدينة مرتين في التوراة ، مرة في عصر إبراهيم ومرة في عصر إسحاق ، كما أن الروايات تداخلت في رواية بيع يوسف ، فمرة ابتاعه الإسماعيليون ومرة المديانيون .

وحاول أيضا إنهاء محاولاته في بحث النصوص بصورة عامة ، وأشار أثناء ذلك إلى قاعدة وجود نصوص الحروف فيها تكون معكوسة (الخروج ٢٨:٤٠) كما أشار إلى وجود قراءات مختصرة (التكوين ١٠:٤٨) وقراءات محرفة (العدد ١٤:٢٨ ، التثنية ٢٥:٦) وما شابه ذلك .

ثالثًا : النحاة والمفسرون

١- العقلانية الفلسفية والعهد القديم

لم يؤثر علم النحو في الأندلس على مفسري فرنسا فحسب بل أثر أيضا في علماء الأندلس نفسها . وإذا كان مفسرو فرنسا قد عاشوا عالة على أعمال الجيل الأول من باحثي اللغة ؛ فقد بزغ في الأندلس نجم الربى يهودا حيوج والربى يونا بن جناح والربى موشيه بن غقطيله والربى يهودا بن بلعام ، وبسبب هؤلاء رجح أيضا الاستنباط

فى ذلك العصر، حتى أن موسى بن ميمون عرفهم بمثابة "حكماء المفسرين" وأسس أقواله على نتائج أبحاثهم .

وإذا كان علم النحو فى تطوره قد بعث الروح فى بحث الكتابات المقدسة وحقق نتائج واضحة فى بحث كل نص من النصوص ، وكل نص قائم بذاته ، فإن تطور الاستنباط العقلى أدى إلى بحث قضايا أكثر تجريدا ، وتجرات موضوعاته لاختراق أسلوب دراسة النصوص . وتسبب تطور النحو فى تطور نقد العهد القديم ، وأدى البحث الأدبى إلى بدايات النقد التاريخى . وبلا شك فقد كانت فرص البحث الفلسفى قليلة من بدايتها ؛ فقد برز البحث الدينى من البداية فى مجال دراسة العهد القديم فى فروع متصلة ، حتى إن الربى سعديا جاؤون الذى مهد الطريق للفلسفة عبر عن رأيه فى كتابه "الأمانات والاعتقادات" بقوله "إننا نحن الموحدين نؤمن بالأبعاد الثلاثة التالية: العلم وهو (معرفة الظاهر ، وعلم العقل وعلم الضرورة) ونضم إليها بعدا رابعا ... فيكون لنا مصدرا مهما وهو الهاجادا الثابتة " .

٢- ربى سعديا جاؤون

تعتبر الماسورا فى رأى سعديا جاؤون مصدرا للمعرفة ، بل يجعلها فى مرتبة واحدة مع العقل وأقوال النص المقدس . ويفهم من ذلك ، أنه طبقا لوجهة النظر تلك لا يمكن للإدراك العقلى أن يناقض الهاجادا الماسورتية الثابتة والراسخة ، وهكذا يقرر مصير النقد بشكل رجعي . وبالتأكيد فإن هذا لا يعنى أن كل الأقوال المالكوفة عند الشعب - دون أن يخرج منها العام - حقيقية وصحيحة كلية ، وأنه لا توجد سلطة لعقلنا لمعارضتها . بل على العكس من ذلك ، فإن الربى سعديا جاؤون فى كتابه ضد القرائين ومذهب عنان بشأن "الرجعية الموروثة" قد ثار على هذا الرأى ، ولذلك فإنه يتحدث عن الهاجادا الثابتة لدرجة أن بعضا من عقلانيته وجدت دعما وأساسا فى أقوال الماسورا المعروفة ، مثل الاعتراف ببعض التناقضات الأخرى فى أقوال الماسورا .

ووجد نقد العهد القديم فى هذا القسم عند الربى سعديا جاؤون مكانا متميزا . فرغم ثقته التامة - على سبيل المثال - فى الروايات الخاصة بالمعجزات ، ورؤيته لها بأنها برهان قاطع للألوهية التى تظهر وسط أحداث التاريخ اليهودى ، وأنها دليل واضح على صدق روايات العهد القديم فقد سمح لنفسه - عندما تدعو الضرورة - بتقريب المعجزات للعقل، فيفسرها مخالفا الماسورا . ويدلل على ذلك فى تفسيره لسفر التكوين بشأن

الحية التي تكلمت مع حواء، بأن الحية لم تتكلم بل الملك تكلم بدلا منها (التكوين ١: ٢)، ويفسر أتان بلعام، بأن الأتان لم يتحدث بل الملك (العدد ٢٢: ٢٨).

وقربته أبحاثه في علم اللغة العبرية كثيرا إلى جوهر أقوال العهد القديم، وترجمته العربية متحررة وبعيدة عن المدراس وأقوال الأجداد. وكان الربى سعديا وثقا أن كل كتابات العهد القديم مكتوبة من قبل الوحي، واستخدم هذه العقيدة أساسا لأسلوبه الفلسفي، ورغم ذلك فقد حدد قواعد تسمح بشرح أقوال النص على غير صورتها، ولم يرفض الموافقة أحيانا على وجود كلمات ناقصة في النصوص التي أمامنا، وأنها تحتاج إلى تعديلات، كما أن التشكيل أحيانا لم يكن كما ينبغي ومن الضروري تعديله. ويحتج ابن عزرا في تفسيره لعبارة "ملعون كنعان" (التكوين ٢٥: ٩) ويأتى بقول الربى سعديا "تنقص كلمة أبى، ويجب أن تكون أبى كنعان"، وفي عبارة "وأما باسمى يهوه فلم أعرف عندهم" (الخروج ٢: ٦) يأتى ابن عزرا ويقول "قال الربى سعديا جاؤون تنقص في النهاية كلمة وحده، كما لو قال وأما باسمى يهوه وحده فلم أعرف عندهم".

ويؤكد الربى شلومو فرحان اعتماداً على الربى سعديا أنه بدلاً من "عرقبا ثور" (التكوين ٦: ٤٩) ينسخ "سور"، يعنى سور شكيم؛ وترجم الربى سعديا جاؤون " (التكوين ٤١: ٣-٤) - : "والرقائق اللحم" أى نعومة اللحم، ومن إجابات دوناش بن لبراط على الربى سعديا جاؤون فإننا نعلم أن سعديا قد عدل في تشكيل أيوب (٣١ : ١٨)، والتكوين (٤٩ : ١٠) وغير ذلك. وأسلوب الربى سعديا جاؤون بشأن تثبيت العهد القديم يعد ذا أهمية كبيرة تتخطى حدود البرايتا المعروفة في (بابا باترا ٢) وتتقارب مع رؤية النقاد المحدثين. وفي تفسيره لسفر الخلق يقول "استمر بعض العهد القديم لسنوات عديدة معلناً ومُسلماً به وغير مكتوب (يعنى أن جزءاً من أسفار العهد القديم كان لسنوات عديدة معلناً ومُسلماً به شفوياً وليس كتابية)، مثل نشيد الأناشيد الذي استنسخه رجال حزقيا. إلى أن حان الوقت الذي جمعه فيه العلماء واهتموا به ونمقوه وحذبوه ووضعوا له الأسس.

٣- معارضة التشبيه للألوهية

غير أن أنماط الوصف التي صور بها اليهودي القديم المعاصر للمقرا الإله

ونشاطاته تمثل الصعوبة الأساسية التي صادفت الباحثين في العهد القديم وأجبرتهم على القيام بعملهم ضد الماسورا التقليدية وأن يسلكوا طرقاً جديدة ، منها طرق النقد الحر ، فهم الذين نشروا النظرية التجريدية للألوهية بمثابة فكرة روحانية الذات الذي ليس له جوهر وليس له شبه جوهر ، وارتعدوا عند قراءتهم في أسفار التوراة - الأساس المؤسس لكل الدين اليهودي - للروايات والتعبيرات التي تصف الإله وصفاته بصورة تجسدية مطلقة - وبسبب المعادة لتلك الصورة التجسدية [الأنثروبومورفية] نهض البحث الديني عند اليهود طوال ذلك العصر ، واستخدم هذا الصراع في إثارة النقد مراراً لتدمير النقد ، والمقال المذكور عن نقاد العهد القديم في عصر التلمود "تحدثت التوراة كلغة البشر" ، عاد للحياة ، وقدم ليصبح حجر الأساس لكل التفاسير الفلسفية ، وعلاوة على ذلك تشجع الربى سعديا جازون لتقريب روايات المعجزات إلى العقل ، وعند تصادمه مع الصورة التجسدية [الأنثروبومورفية] المألوفة في التوراة ؛ فقد أحصى عشرة أوصاف في التوراة على أساس مقارنتها بمواضع أخرى في العهد القديم واضطر ليقسرها ليس كما هي مكتوبة (التثنية ١١: ١٢ ؛ العدد ١١: ١٨ ؛ الخروج ١١: ١٧ ؛ المزامير الجامعة ٨٩: ٥ ؛ العدد ٦: ٢٥ ؛ الخروج ٩: ٣ ؛ التكوين ٨: ١١ ؛ إرميا ٣١: ٢٩ ؛ المزامير ٩٩: ٥ ؛ إشعيا ٥٩: ١٧) .

٤- سليمان بن جبيرول

وقد سار على منهج معارضة التشبيه كل باحثي العصر الوسيط في صراعهم مع الأوصاف والروايات المعارضة لفهمهم الفلسفي . وفي الواقع أن معظمهم لم يضع تفسيراً للمقرا غير أنهم أقحموا في كتبهم العديد من التفاسير المستحقة للانتباه والمعبرة عن وجهة النظر التي تصورها ، كما أن العديد منهم كُتِبَ تفاسير ولم تصل إلينا ، ويستحق أبراهام بن عزرا الثناء لأنه أقحم في تفسيره مراراً وتكراراً آراء المفسرين الآخرين ، سواء من كان يوافقهم ، أو من كان يعارضهم ، وعلى هذا الأساس فقد حافظ عليها حتى لا تختفى . فابن عزرا يأتي في تفسيره الأول لسفر التكوين (الذي لم يكتمل) بالتفسير الرمزي للربى سليمان بن جبيرول لجنة عدن ، حيث يعكس ابن عزرا كيف أدخل هذا الباحث الرائي معاني تجريدية لأقوال النص المقدس ، ليكشف عنها الغشاء السري "الذي يسمو عن أسلوب الطبيعة" ، ويجد دعماً لرأيه داخل الكتابات المقدسة ، فيقول : "إن جنة عدن هاهي العلوية والنهر بمثابة "الألفاظ" ، والأربعة رؤوس هي "الجنور" ، أما آدم وحواء والحية فهم صفات للنفس ، فأدَمَ "الحكمة

التي دعت الأسماء ، وحواء "إشارة للروح الحية" ، والحية "الاشتياق إلى ... الذي هو قسم الساحر المتكهن" و"أقمصة جلد مفسر أنه هو المادة ، وطرد من جنة عدن لأن هذا كل إنسان" .

ويذكر الربى أبراهام بن عزرا ما يتعلق بحلم يعقوب قائلاً : "والربى سليمان السفارادى قال : وإن السلم إشارة للروح العليا ، وملائكة الرب - أفكار الحكمة" . وعلى كل حال أدرك أنذاك الضرورة الملحة لإقحام أغراض جديدة فى بعض روايات العهد القديم والتي لا تنسب إليها مثل الحقائق التاريخية ، وفى نفس التفسير الأول لسفر التكوين يأتى الربى أبراهام بن عزرا بأقوال الربى سليمان بن جبيرول بشأن الحية ، الذى يقول : "إذا كانت الحية تتحدث ، لماذا لا تتحدث الآن ؟" و"أعلموا أنه لا يوجد ذكر فى النصوص أن تأملت كلامها" ، ولذلك فإنه يخرج القصة عن معناها البسيط ، وبلا شك فإن نقد العهد القديم لم يروج شيئاً من هذا ، وبدلاً من تفاسير الأجداد حلت تفاسير البحث . و لا تعكس كل روايات العهد القديم حقائق تاريخية حقيقية ، فهناك من يرى أن العديد منها مؤلفات أدبية فقط - رفض نفس النموذج الذى يقول إنه يطابق (بابا باترا ١٤ : ٢) وسفر أيوب على سبيل المثال منح بخصوص الشاة - وقد ازدهر وتأسس هذا الاتجاه من قبل أولئك الباحثين والمفسرين .

٥- بحايا بن فاقوده ، وموسى بن عزرا

يحذر ربينو بحايا بن فاقوده صاحب كتاب "هداية القلوب" ، قائلاً : "يسعى العاقل واسع الصدر إلى تبسيط الكلمات ومدلولاتها ، ويرفعه بفكره من رتبة إلى رتبة حتى يصل إلى حقيقة الموضوع ، ثم يواصل "والمجرد" و"المرتبة" لكل التعبيرات والروايات المتصلة بالظهور الإلهى فيبعدها عن التفسير المادى . كما يخصص الربى موسى بن عزرا فى كتابه "تقسيم العطور" - الذى وصل إلينا منه أجزاء - فصلاً خاصاً لـ : "إبعاد الماديات عن الخالق" ، ويشير فيه قائلاً : "والعاقل يجرد المفاهيم من غطائها المستعار المبتذل ويصبغها بغطاء عذب إلى أن يصل بها إلى المفهوم المنشود كما ينبغى أن تدركه قدرة الإنسان" .

٦- الربى أبراهام بن حيا

وأوضح أيضاً الربى أبراهام ابن داود فى كتابه "العقيدة المتسامية" أن

الصفات قيلت لأجل العامة فقط ، ولأجل الأمانة فإنهم مفتقرون للتكبير والتجريد تماماً . وكل من يتعمق في بحثه يحذر كثيراً من تجريد النصوص المقدسة . والربى أبراهام بن حيا - المحتمل أن يكون من برشلونه - يربط في مقدمة كتابه "منطق النفس" ، بين رواية الخلق في العهد القديم وبين علم نظرية الكون في عصره ، ويفسر خربة "بمثابة عنصر (عديم الصورة) و"مياه" ب"مثابة جمع لكلمة بمعنى "ماء" (مثل حملان من حمل أفواه من فم) ،، يعني أنها صور، وهاهو يحذر لا يمكن أن يفهم منه ماء حقيقى ، لأنه ليس من الضروري أن نعلو به عن الفهم ، طالما أننا نجد أسلوباً مباشراً في التفسير من النص الذى يسير على طريق الحكمة والعلم ولا يخرج عن أسلوب اللغة . وهاهو يضم قانونين جديدين ، وهما : أسلوب العلم ونمط اللغة . ومنذ ذلك العصر وعلى أساسهما ازدهر بحث العهد القديم بين اليهود ، والربى موسى بن ميمون أعظم باحثى عصره رفعهما إلى مرتبة أسلوب محدد .

٧- موسى بن ميمون

لم يترك لنا الربى موسى بن ميمون سफراً قائماً بذاته عن العهد القديم . ووصلت إلينا تفاسير بعض أسفار التوراة بواسطة ابنه الربى أبراهام بن موسى بن ميمون ، ولا تشمل فيما بينها أسلوب ربط . كما أن كتابه الأساسى "دلالة الحائرين" ليس سوى تفسير لأقوال النصوص المقدسة المناسبة "لأسلوب العلم" ، كما أنه أيضاً ليس سوى توضيح للتوراة والنبوة . غير أن هذا العلم لم يكن هو العلم التاريخى ونظرية تطور النفس . وفى عصر موسى بن ميمون وفى رأيه لم يكن العلم سوى علم الطبيعيات والميتافيزيقا لأرسطو وعلم الكونيات [الكوزمولوجيا] السائد فى عصره ، وإليها توجه موسى بن ميمون للتوفيق بينها وبين النصوص . وفى سبيل ذلك وضع تحت مجهر النقد نظرية الخلق فى العهد القديم ، وصفات الألوهية ، وأقوال الملائكة ، وقضية ظهور الإله للشعب ومختاربه ، ورؤى الأنبياء وروايات المعجزات ، وخصص لكل ذلك أفضل فصول "دلالة الحائرين" . وقد أحس إحساساً ذاتياً بأنه غير مرتبط كلية بالحروف المدونة . وسعى لكى يلائم أسلوبه مع النصوص ؛ فنسج شبكة كاملة "لغموض التوراة" وأسرار النص المقدس ، واستخدم فى سبيل ذلك كل معارفه الذاتية وحدة ذكاء الجاؤونية . وتفوق بذلك على كل الباحثين الذين سبقوه ، فلم يترك نصاً مقدساً واحداً يناقش الأمور المتصورة نون أن يمررها فى بوتقة تأويله ، ولم تفحص هذه الأمور كلية قيد التجسيد والفهم العام . غير أن هذا يتصل بتلك الفصول التى بدت له تخفى

حقيقتها العلمية. وطالما أنه يحافظ على ذلك ، فقد عاد مرة ثانية وفيأً لدائرة أصحاب الماسورا ، ونظر إلى كل أقوال التوراة على أنها معطاة. وبذلك خضع لقداسة الماسورا .

وعلاوة على ذلك فإن جوهر بحثه أضاف له قوة ، فقد كان نقد التوراة بمثابة نتاج أدبي للتواريخ الواردة فيها ، وبقي ذلك بين اليهود لعدة أجيال ، غير أن عمل هذا "النسر" بسط جناحيه على بحث المقرأ ، ولم يمر بدون انطباع إيجابى على النقد فى هذا المضمار . وقد استخدم موسى بن ميمون بقوة واسعة طرق بحث علماء اللغة ونتائجهم ، ورفعهم لمرتبة "الأذكاء" من بين المفسرين، ومن بين روايات المعجزات العديدة فى العهد القديم استنتج حقائق تاريخية ووجد لها مكانها الصحيح فى الحياة النفسية للرأى. ونصادف فى العديد من تفاسيره المحاولات الأولى لاستخدام علوم الحفريات بهدف توضيح العهد القديم بصورة نظرية.

رابعاً : الباحثون والمفسرون

١ - النقد التاريخى

والى جانب الربى موسى بن ميمون وفى عصره ظهر البحث العقلانى ، وازدهر فى مجال نقد العهد القديم ، كما ازدهر النقد التاريخى، وبهذا دفع إلى استنباط أسلوب جديد عظيم النتائج. فمرة أخرى تأمل يهوذا بن قوريش عبارات أخبار الأيام الأول (٣: ٢٠ - ٢٤) المتضمنة أسماء الأفراد الذين عاشوا بعد عصر عزرا مؤلف السفر ، وقرر أن هذه العبارات أقحمت داخل السفر فى نهاية عصر الهيكل الثانى، وذلك على أساس المعلومات التى وجدت آنذاك فى أسفار أعمال الملوك.

٢ - موسى بن غقطيله

أما الربى موسى الكاهن ابن غقطيله - الذى أسس تفسيره باللغة العربية على أساس قواعد بحث اللغة لابن جناح والربى يهوذا حيوج - ففى مقدمته للبحث بشأن الكتابات المقدسة كان الباحث الأول المهتم بشأن من ألف هذا السفر أو أى إصحاح آخر ؟ ومتى ؟ وأين ؟. ويشمل تفسير الربى أبراهام بن عزرا فى ثناياه اقتباسات عديدة من التفسيرات التاريخية للربى موسى بن غقطيله. ويقترح ربى موسى

ابن غقطيله اعتمادا على الإصحاح الثالث من سفر يوشل ما يلي "ربما كان هذا النبي في عصر القضاة". وهاهو يوضح من العبارة (١١) في الإصحاح (٤) من سفر يونا: "أن النبي" يتحدث عن الهيكل الثاني والحاكم كان زروبايل". ويأتى أبراهام بن عزرا برأين فيما يتعلق بالعبارة (١٧) من سفر عوبديا، الأول رأى الربى يشوعا الذى ينسبه إلى زمن الهيكل الثانى، والرأى الثانى رأى الربى موسى بن غقطيله الذى يرجعه إلى عصر حزقيا، وليس كالرأى السائد بأن عوبديا كان يعيش فى عصر إلياهو. وبذل ابن غقطيله جهداً فى تحديد زمن تأليف كل إصحاح من إصحاحات سفر المزامير، ويتشجع بصورة عامة ليقرر فى تفسيره بشأن المزمور (٤٢)، (لإمام المغنين قصيدة لبنى قورح) "أنه ألف فى بابل"، كما يقرر ذلك أيضاً بشأن المزمور (٤٧). وأدرك ابن غقطيله من خلال الإصحاحات الموجودة فى سفر إشعيا من الإصحاح (٤٠) وما بعده أنها تعكس لنا فترة تاريخية مختلفة ومتأخرة كلية عن الإصحاحات السابقة لها (تفسير الربى أبراهام بن عزرا لإشعيا الإصحاح ٤٠) ونسبها ابن غقطيله إلى عصر الهيكل الثانى.

٢- الربى يشوعا

ولم يكتف الربى يشوعا - الذى اختلف مرارا مع الربى موسى الكاهن - بتوضيح زمن تأليف أقسام النبوءات، بل أدخل إلى دائرة بحثه ما يتعلق بالتوراة. واعترف الربى يشوعا بأن موسى هو الذى كتب التوراة، وليس فقط أنه كتب ما حدث فى عصره بل أيضاً الأحداث السابقة عليه. وعلاوة على ذلك، فإن الإصحاحات التى تبحث ما يرتبط بالعصور السابقة لموسى فإن موسى لم يؤلفها من وجهة نظر تلك العصور، بل من وجهة نظره. وليس لدينا تفاسير الربى يشوعا، كما أن معارفنا عنه قليلة، وما لدينا عنه تفسير واحد اقتبسه الربى أبراهام بن عزرا، وجعلنا نقف على رأيه السابق. فيقال فى الخروج (٢:٦) "وأنا ظهرت لإبراهيم وإسحاق ويعقوب بأنى الإله القادر... وأما باسمى يهوه فلم أعرف عندهم"، فيفسر وفقاً لـ: "لقد وجدنا نصاً فى قصة إبراهيم - أنا يهوه الذى أخرجك من أور الكلدانيين، وفى قصة يعقوب "أنا يهوه إله أبك إبراهيم"، وقال الربى يشوعا: لأن إبراهيم ويعقوب لم يعرفا هذا الاسم، فقط موسى كتب كذلك". هذا يعنى عندما وصل موسى ليكتب ما يتعلق بإبراهيم وما يتعلق بـيعقوب لم يعلن الحدث بلسانهم، بل بلسانه هو، ويكنى الرب بنفس اللقب الذى عرفت به الألوهى عنده. وطالما افترض الاحتمال، بأن موسى عدل بأسلوبه

ولغته هذه الإصحاحات أو اللفائف التي وصلت إلينا ، فمرة ثانية سنحت الفرصة للاعتقاد أنه حدث مثل هذا وتم التعديل بعد ذلك للإصحاحات التي كتبها . وتوصل لهذا الرأي النحوي والباحث يتسحاقى (الربى يتسحاق بن يشيش من طليطلة) صاحب كتاب "الإضافات" فى علم النحو وكتاب "يتسحاقى" فى تفسير العهد القديم .

٤- الربى يتسحاق بن يشيش

وعندما وصل الناقد الربى يتسحاق بن يشيش إلى فقرة "وهؤلاء هم الملوك الذين ملكوا فى أرض أنوم قبلما ملك ملكُ لبني إسرائيل" (التكوين ٣٦: ٣١) ، لم يبحث ليثبت النص قسراً ، لكنه لم يمتنع عن الإشارة (مثل رأى الباحثين المتأخرين) إلى أن هذه الأقوال كتبت بعد أن ملك ملوك لبني إسرائيل . وعلاوة على ذلك ، فقد سعى الربى يتسحاق بن يشيش لأن يحدد بالضبط متى كتبت ؟ ووجد على أساس فحص الأسماء المذكورة فى هذا القسم أنهم جميعاً حكموا فى عصر يهوشافاط . ويقول أبراهام بن عزرا فى تفسيره "وقال يتسحاقى فى كتابه إن هذا القسم كتب فى عصر يهوشافاط وفسر الأجيال طبقاً لإرادته ، ألم يدع اسمه يتسحاق كل من يسمع يضحك له ، لأنه قال إن هدد (المذكور فى هذا الإصحاح عبارة ٣٥) هو هدد الأنومى (الملوك الأول ١٤: ١١) ، وقال إن "مهيطبئيل" (المذكور فى نفس الإصحاح عبارة ٣٩) هى أخت تحفناس (الملوك الأول ١٩: ١١) . وهكذا يدخل الربى يتسحاق (الذى توجد الآثار النقدية لتفسيراته الأخرى المذكورة عند الربى أبراهام بن عزرا) انظر هوشع ١: ١ ؛ دانيال ١: ١ ؛ أيوب ٤٢: ١٦) داخل البحث العبرى للعهد القديم الرأى : أن سفر التوراة يشمل فى ثناياه إضافات متأخرة كتبت بعد موت موسى بزمان كبير .

٥- أبراهام بن عزرا

غير أن قمة بحث العهد القديم عند اليهود فى العصر الوسيط تمثلت فى العمل التفسيرى لأبراهام بن عزرا .

وقد استخدم الربى أبراهام بن عزرا بصفته واحداً من أفضل النحاة فى ذلك العصر - ويصفته أيضاً الباحث البارغ فى لغة العهد القديم - نتائج علم اللغة فى تلك الفترة فى تفاسيره ، ويصفته خبيراً بالمذهب العقلى ، وفيلسوفاً لا يعرف الخوف تشرب فى أعماقه كل نتائج البحث الدينى السابقة عليه والسائدة فى عصره . وعلاوة على

ذلك، فقد كان حراً من كل قيود الماسورا الفلسفية المحددة، ولم يكن في حاجة مثل معظم أقرانه لأن يجد في أقوال النصوص دعماً ومساعدة لأي منهج أيّاً كان. وكان الربى أبراهام بن عزرا حراً كلية عن أى رأى سابق، وكان مجهزاً بوسائل بحث العصر، وممهداً فى عصره لاتجاهات جديدة. ولأنه مقتبس بارع فقد جمع فى كتبه كل ما يتطلب الحفظ؛ ووجد أحياناً رأياً مخالفاً له فى البداية بسبب "تشدده"، لكنه فى النهاية لم يكن هناك مانع من قبوله والإضافة عليه.

وعلى سبيل المثال فقد تجاهل مرة وباستهزاء شديد الرأى المتشدد للربى يتسحاق والذي يتعارض تعارضاً مطلقاً مع الماسورا، وأضاف بعد ذلك بغضب قائلاً: "إن كتابه يستحق الحرق". ومع ذلك فربما كان هو أول من سلم بهذا الرأى فى بقية تفاسيره. وإن لم يرض الربى أبراهام بن عزرا بفضل أقوال الربى "يتسحاق الغامضة"، وفسر العبارة "وهؤلاء هم الملوك... قبلما ملك ملك لبني إسرائيل" (التكوين ٣٦: ٣١) بأن "ملك" هنا تعنى موسى، وقد كشف بنفسه فى مواضع أخرى عديدة رأيه - رغم أنه غامض ورمزى - بأنه تداخلت أيد فى التوراة، وأحصى عدداً محدداً من الإضافات المتأخرة، التى لا يمكن أن تكون قد كتبت فى عصر موسى. وفى تفسيره لفقرة "والكتعاني آنذاك فى الأرض" (التكوين ١٢: ٦) تجرأ ابن عزرا ليؤكد الغرابة فى هذه الإضافة للراوى بقوله: "من المحتمل أن أرض كنعان هنا اكتسبت هذا المعنى عن طريق شخص آخر"، غير أن هذا التوضيح لا يرضيه، فيضيف: "وإن لم يكن كذلك، فإن له سرا، والنكى يعرف". رغم أنه أراد أن تحرز آراؤه العديدة وتفسيره الدقيقة والثرية شهرة علانية بين المتعلمين؛ فلم يتجرأ الربى أبراهام بن عزرا أن ينشر علانية رأيه بوجود أجزاء متأخرة فى ثنايا التوراة، حتى لا يتعرض هو وآراؤه للهلاك.

وكما يبدو فقد قرر التخلّى عن ذلك لأجل أبحاثه الأخرى التى اعتبرها أكثر أهمية وأكثر ضرورة. غير أنه لم يستطع أن يصمت صمتاً مطلقاً على مثل هذه الحيرة، واكتفى بتلك الرموز، لأنه كان واثقاً أن المفكر يفهم تلك الإشارات الرمزية ويصل إلى الحقيقة. ولم تكن هذه هى الإضافة المتأخرة الوحيدة التى وجدها الربى أبراهام بن عزرا فى ثنايا التوراة. وأعلن فى سفر التثنية الإصحاح (٣) بشأن عوج ملك باشان أن "بقي من بقية الرفائين"، ويوضح الكاتب روايته بشأن عوج "هو ذا سريره سرير من حديد. أليس هو فى ربة بنى عمون. طوله تسع أذرع..." (١١: ٣)،

فيدعى ابن عزرا أن الكاتب كما لو كان يتحدث عن شخص قد عاش قبل عدة سنوات ، ولكي يؤكد روايته اعتمد على بقايا قديمة لتلك الأزمنة البعيدة التي حفظت حتى عصر الكاتب . وبعد ثلاث فقرات يواصل الكاتب قائلاً : "يا ثير بن منسى أخذ كل كورة أرجوب ... ودعاها على اسمه باشان حووث يائير إلى هذا اليوم " (١٤:٣) . فيفهم من ذلك أيضا أن الكاتب نفسه مصدر ، ويسرد أحداث زمن بعيد ، بعد الزمن الذي حدث فيه نفس الحدث ، يعنى بعد زمن طويل من موت موسى . ومرة ثانية وجد النص "وكتب موسى هذه التوراة وأعطاهم للكهنة" (التثنية ٣١:٩) ، وفى نهاية سفر التثنية يتكرر قسم كامل لاثنتى عشرة فقرة تسرد بالتفصيل كيف صعد موسى إلى جبل نبو ومات هناك ودفن فى جيا ونديه بنو إسرائيل ، وغير ذلك حتى نهاية السفر . هذه العبارات لا يمكن بأى حال أن يكون موسى قد كتبها . وعلاوة على ذلك يقال فى التثنية (١:١) إن "فى عبر الأردن" تحدث موسى بأقواله ، وهو ما يؤكد أن الكاتب قد عبر فعلاً الأردن وأقام فى عبر الأردن من هناك ، وبناءً على ذلك اعتبر صحراء مؤاب هى "عبر الأردن" وهو ما لم يفعله موسى ، لأنه لم ينجح فى الصعود إلى فلسطين ، ولذلك فلا يمكن أن تكون قد أطلقت فى عصره "عبر الأردن" على صحراء مؤاب . وكذلك فيما يتعلق بجبل الموريا فيكون النص فى سفر التكوين (١٤:٢٢) "حتى إنه يقال اليوم فى جبل الرب يرى" ، ويمكن أن يكون "ويقال" فقط آنذاك ، عندما أنشأ فعلاً بيت الرب فى موضعه فى جبل الموريا . فكل هذه النصوص ألزمت الربى أبراهام بن عزرا الاعتراف بفضل صدق الربى يتسحاق بن يشيش فى جوهر الأمر ، وأنه بالفعل أقامت بعد موت موسى بفترة طويلة إضافات متأخرة داخل أقوال التوراة . غير أنه كما قيل من قبل لم يرغب ولم يستطع الربى أبراهام بن عزرا أن يعلن ذلك بوضوح .

ولم يكتب عن هذه النصوص المحصاة هنا فى تفسيره للتوراة فى مواضعها أى شئ ، غير أنه لم يسمح لنفسه أن يمر عليها بصمت تام ، وإن لم يجد ضرورة لنشر مثل تلك الآراء بين عامة القراء ، فقصد من ذلك أن يقف مفكرو الشعب على هذه الإضافات ، ولذلك جمعها كلها سوياً ويقول فى تفسيره للتثنية (١:١) "فى عبر الأردن" وإذا فهمت سر الأثنى عشر ، أيضاً وكتب موسى ، والكتعانى آنذاك فى الأرض فى جبل يهوه يرى ، وأيضاً "وهاهو سريره سرير حديد" ، سوف تعرف الحقيقة ، فقد اختار لنفسه لغة تعليمية ، وصبغ آراءه النقدية بصبغة الرموز والألغاز .

ومع أن هذه النصوص تشهد بذاتها على زمنها المتأخر ، فقد كان واضحاً رغم كل ذلك للرّبي أبراهام بن عزرا أن موسى ألف جوهر التوراة. كما أنه ألف الإصحاحات التي تبحث العصور السابقة له، وكما يبدو فقد ألفها على أساس لفائف قديمة غير أنه أضاف عليها نصوصاً من عنده ليزيد توضيحه لمادة الرواية. ويكشف الرّبي أبراهام بن عزرا عن رأيه هذا في تفاسيره المختلفة، ففي سفر التكوين (٢٠:٢٢): "لأنه قد استعطف وجهه بالهدية السائرة أمامه". يشرح الرّبي أبراهام بن عزرا قائلاً: "إن يعقوب قال في نفسه تلك أقوال موسى"، أريد أن أقول، كاتب الرواية - موسى - يوضح لسامعيه لماذا أرسل يعقوب على قائمة الهدية لأخيه عيسو ، بسبب أنه قال في نفسه استعطف وجهه .. الخ.

وفي موضع آخر يقول النص: واضطجع في هذا الموضع - وأقوال موسى كشف سرمدية (في هذا الموضع) والتأكيد على هذا الموضع المعروف حالياً " (التكوين ٢٨:١١). ويفسر في موضع آخر "في هذا اليوم يهوه إلهك يأمرك أن تفعل الأحكام ... وتحفظها وتعملها" (التثنية ٢٦:١٦)، في هذا اليوم - تلك أقوال موسى، وتحفظها - في قلبك، وتعملها - في الأرض". وعلاوة على ذلك ، فإنه يعرف ما هو السفر الكامل الذي صدر عن موسى، ففي الخروج (٤:٢٤) وجد النص: "وكتب موسى" فيوضح: "بعد أن سرد لهم أقوال الرب كتب الوصايا والأحكام، وهذا هو سفر العهد"، وأيضاً فإن زمن تأليف السفر كان معروفاً له، واعتمدت معرفته على ما ورد في التثنية (٣:١): "ففي السنة الأربعين في الشهر الحادي عشر في الأول من الشهر كلم موسى"، وغير ذلك.

وعلى ذلك فإنه عندما وجد في سفر الخروج (١٧:١٤) بشأن حرب العماليق النص: "أكتب هذا في الكتاب تذكراً"، فإنه يوضح: "قيل هذا القسم في السنة أربعين، واستشهد بأنه قيل في السفر المعروف ، وهو سفر التوراة". غير أنه أدرك أن هذا التوضيح غير مقبول، لأن حرب العماليق كانت قريية في وقتها من زمن الخروج من مصر. ويعبر هنا عن شرح آخر يظهر لنا فيه ذكاء الحاد والمدّش: "أو كان لهم كتاب آخر وعرف باسم سفر حروب يهوه وليس عندنا ؟ وذلك كما لا يوجد عندنا سفر المستقيم ، ومدراش عدو ، وأخبار الأيام ملوك إسرائيل ، وأسفار سليمان". وهكذا لم يمتنع الرّبي أبراهام بن عزرا أحياناً ، عندما لم يجد خطراً بشأن أسس الماسورا ، أن يعلن بوضوح ويدون تردد الآراء النقدية التي لم تكن مرغوبة بلا شك لدى العديد من

معاصريه ، حتى إن الربى موسى بن مناحم الذى جاء بعده اشتكى من ذلك ، وقال !
"قال الربى أبراهام بن عزرا إنه سفر معروف وهو سفر حروب الرب .. وليس فى أقواله
تلك أى حجة".

واستمر الربى أبراهام بن عزرا فى أبحاثه هذه فيما يتعلق بقضية مؤلفى بقية
الأسفار المقدسة . وإن لم يعلن ذلك بالتفصيل ، فإنه كان يوافق رأى الربى موشيه
الكاهن بخصوص إشعيا الثانى، فى الإصحاح (٢٧) أظهر رأيه بوجود اثنين اسمهما
إشعيا . واعتمد فى تفسيره للفقرة الأولى من سفر إشعيا على عبارة "التي رآها على
يهوذا وأورشليم" . وبنه على ذلك بأن إشعيا بن أموص قال معظم نبوءاته على مدن
يهوذا التي استولى عليها ملك آشور وعلى أورشليم التي أنقذت من سلطانه "، وهكذا
فإن نصف السفر عن سبى يهوذا ، لأنه لم يذكر بقية الأسباط ".

ووجد الربى أبراهام بن عزرا مجالاً مترامياً الأطراف لاتجاهه النقدى فى مجال
نقد النص، ولكونه واحداً من أفضل النحاة فى العصر الوسيط ففى تصويره أن معرفة
اللغة العبرية ونحوها هما حجر الأساس لعلم العهد القديم . لذلك أكثر فى تفاسيره من
البحث الفيلولوجى الضرورى الذى ألقى الضوء على التفاسير العبرية وفى مقدمة
تفسيره الصغير فى حجمه العظيم فى قيمته يلقى الضوء على أساليب التفاسير
الأربعة للعهد القديم منذ عصر التلمود وحتى عصره . وهذه الأساليب هى : أسلوب
جاوونى بابل ، وأسلوب القرائن ، والأسلوب الرمزي لأصحاب الرمز (المجازيين)
النصارى ، وأسلوب الدراش لأصحاب الأجادا العبريين . ويعد وصفه لهذه المناهج
الأربعة السابقة عليه ينتقل إلى منهجه ويوضح : "والأسلوب الخامس المؤسس عليه
تفسيرى فى أساسى ... فأبحث جيداً قواعد كل كلمة فى كل موضوع ، وبعد ذلك
أوضحها حينما أتوصل إلى ... ولا أشير إلى نبر أصحاب الماسورا لماذا هذه تامة وتلك
ناقصة ؟ .. لأن كل نبراتهم كمنهج الدراش ... ومترجم التوراة للأرامية ترجم لنا
الحقيقة ، وشرح لنا كل ما غمض ... " . وفى تفسيره "عزوا شعبي"
(إشعيا ١:٤٠) يظهر رأيه قائلاً : "إن هذه الفقرة متعلقة بالإصحاح (٣٩) بصورة
متكلفة "، لأنه ذكر سابقاً ، أو كل خزائن الملك وسبى أبناؤه أيضاً إلى بابل ، لذلك
تكون هذه المواساة بعد ذلك الحدث " . وهو يختلف عن الربى موسى الكاهن الذى يرى
فى إصحاحات التعزية "من منتصف السفر" أقوالاً رمزية عن الهيكل الثانى، ويقول
"وطبقاً لرأىي فالكل عن سبينا" (يعنى سبى بابل)، ثم يقول بالتفصيل "إن نصوص

الأحداث تذكر قورش "، ويضيف "واعلم أن ناسخى الوصايا طيب ثراهم قالوا : إن سفرى صموئيل كتبهما صموئيل ، وهى حقيقة حتى "ومات صموئيل" (صموئيل الأول ١:٢) ، ويعنى ذلك أنه أقصمت أنذاك أحداث ليست من عمل المؤلف، ويصدق نفس الشيء على سفر إشعيا. ويعد أن حاول الاستناد إلى دليل من سفرى أخبار الأيام ، يقرر كعادته "وإن لم يكن ، فيفهم العاقل".

وفى مقدمته للإصحاحات الشعرية الخاصة بـ "عبد يهو" فإنه يشك فى مادتها، ويبدل قصارى جهده فى تفسيرها ، ويناقش آراء الربى سعديا جاؤون لتفسير إرميا ويناسب أقوال السابقين المتأخرين(١٧): "وإذا تتبع الأثر وراء المدراشيم فى المواضع عرفنا أنه عرف الأسس أكثر من ذلك". وبلا شك فإن ابن عزرا نفسه "لم يقتف أثر المدراشيم" كلية، غير أنه برجاجة فكره وعمق منطقته يتوغل إلى داخل المعنى البسيط للكلمة التى تقرأ، مسلحاً بكل وسائل البحث التى كانت فى عصره. وعرف أنه ليس هناك "متقدم ومتأخر فى التوراة" (تفسيره للتثنية ١٥:٣١) ومواضع أخرى عديدة) ، وماهو يكثر من تنظيم نصوص متباعدة سوياً فيؤخر المتقدم ويقدم المتأخر ، ويقرر: الفقرة الغلانية ترتبط مع الفقرة الغلانية ، ولو كانت أقسام كاملة تفصل بينهما (التثنية ٦:٣، ١٦:٢ وغيره).

ومن يقرأ تفاسيره بإمعان يجد فيها إجابات عديدة تقصد الإجابة عن الأسئلة التى أثارها نقاد العهد القديم فى عصر التلمود ، أو التى كانت سائدة فى عصر الجدل الدينى ، وعصر القرائين فى بابل ، أو بين دوائر النقد فى الأندلس قبل عصره، واجتهد إلى حد بعيد ، واستطاع إزالة صعوباتها دون أن يذكر أسئلتهم مطلقاً. ويحتمل جداً أن تلك الحرب التى خاضها ابن عزرا مع النقد فى كل العصور ، وسعى إلى تفنيد العديد من "ادعاءاتهم" هى التى دعمت موقفه حتى لا يشعر معاصروه بالنقد الحر الموجود فى أقواله، ولذلك استحق تفسيره الكبير حجماً - وأكثر من ذلك فى قيمته - القبول بود كبير عند جمهور المتعلمين ، واعتبر واحداً من المفسرين الماسوريين الرئيسيين، وذلك سوياً إلى جانب الربى شموئيل وإسرائيل والربى موسى بن نحمان. وتسببت هذه الشهرة المتزايدة لابن عزرا فى خسارة معروفة فقد تنازل مراراً عن اعترافاته الموجودة فى آرائه النقدية، وذلك بأن تغاضى عن فقرات "محيرة" للغاية، وشن حرباً على شخصيات قريبة له فى الهدف ، وأغضض فى الصلاة (وشاح الصلاة : الطاليس) عن الأسرار والرموز لكل رأى متشدد كشفه. غير أن هذه الشهرة

التي استحقها كتابه أدت إلى كسب متزايد في تاريخ تطور نقد العهد القديم. والرأى بأن التوراة تشمل في ثناياها إضافات متأخرة مختلفة ، برز لأول مرة على يد الربى يتسحاق بن يشيش ، لكنه اختفى من عند العامة. لكن عاد ابن عزرا وقاله وأدخله داخل تاريخ العلم . ووجد باروخ سبينوزا أَلغاز الربى أبراهام بن عزرا وفسرها واستمر فيها أبعد من ذلك ، وعن طريق سبينوزا قبلت عند باحثى العالم كقانون ثابت .

ولم يحتل نقد الربى أبراهام بن عزرا مكانة هامة خارجياً فحسب ، أى تجاه تطور العالم الأوروبى، بل كان له أيضاً قيمة كبيرة داخلها إلى حد بعيد. وبلا شك وجد حوله تلاميذ "مفكرون" تعلموا منه ، وفهموا إشارات الرمزى ، وتنوروا لإدراك وجود النص فى التوراة بمعناه البسيط. وإن كانت أقوال هؤلاء التلاميذ قد فقدت ، فإن ذلك يعود إلى أنه لم يوجد من يحل محل ابن عزرا مرة ثانية ليجمعها ويضعها فى تفسير له ليحفظها إلى الأبد ، ولذلك اختفت أقوالهم ، كما كانت ستفقد بلا شك أقوال الربى يشوعا والربى يتسحاق بن يشيش ، لولا أن جاء ابن عزرا وأنقذها. غير أنه أدرك أن المناخ قد تهيأ واتجاه جديد وقوى بدأ داخل التفاسير العبرية التى تتابعت آنذاك وتزايدت وانتشرت فى كل البلدان التى كان اليهود يعيشون فيها ، فى إفريقيا وبابل والاندلس وفرنسا وألمانيا وإيطاليا، وتضمنت فى داخلها كل طاقات نتاج الأمة. وبكل تأكيد استمر زيادة سلطان الأجادا وأسلوب المدراس وضُم إليها آنذاك أيضاً "القابالا" و"علم الغيبىات" [السود]. وظهر العديد من المفسرين فى أعقاب "الزohار" وفسروا بأساليب التفسير التقليدية الأربعة - البشاط (التفسير الحرقى) ، والرمز (التفسير المجازى أو الرمزى) ، والدراس (التفسير الوعظى) والسود (التفسير الصوفى) - غير أنه يكفى الإشارة إلى ذكر أسماء سبط قمحى وسبط تنحوم والربى تنحوم الأورشليمي، وربي اليعازار إشكنازى البغدادي، والربى شموئيل بن نسيم والربى ليفى ابن أبراهام والربى إسحاق البلج والربى شم طوف بن بلقيرا والربى يشعيا مطرانى الصغير والربى زرحيا بن شاكتئيل وعمونئيل الرومى والربى يهودا مسير-ليون ، وذلك لفهم ومعرفة إلى أى حد تزايد البحث العقلى من جانب ، والاتجاه النقدى من جانب آخر ، وتأثيرهما على التفاسير العبرية وطبعها بطابعهما .

٦- ربي ليفى بن جرشم

ونحصى من حشد النقاد المتأخرين : ربي ليفى بن جرشم ودون يتسحاق إيرنثيل ، وبهما ينتهى تأليف التفاسير فى الأندلس. فربي ليفى بن جرشم يعد واحداً من أعظم المفسرين الفلاسفة ، وقد اقتفى أثر الربى موسى بن ميمون فى تفاسيره، وبذل جهداً فى إيجاد مادة بحثية مجردة لأسفار العهد القديم علاوة على تفسيرها بالمعنى البسيط (فأورشليم "التي فى نشيد الأناشيد هى "الإنسان" ، "وبنات أورشليم" هن صفات النفس، و"سليمان" ، هو العقل الكامل والمسيطر على الكل ، وما يشابه ذلك).

وعلاوة على ذلك بحث عن إيجاد دعم فى التوراة لبقية آرائه العلمية بوسائل مختلفة. غير أن قيمته التاريخية فى تطور نقد العهد القديم ، ظهرت فى أسلوب معالجته لروايات المعجزات فى العهد القديم. وقد كان واضحاً للربى ليفى بن جرشم أن قوانين الحديد سائدة فى الطبيعة، وهى قوانين لا يمكن تغييرها، غير أنه توجد ظواهر عديدة لتلك القوانين ، والتي تبدو أمامنا بسبب ضالة فكرنا وقصر عمرنا، كما لو كانت منبثقة من المجموع، على الرغم من حقيقة أنها محددة وخاضعة أيضاً لوسائل الطبيعة، ولأجلها تُرتنن بقية الظواهر الموجودة . فبدلاً من أن يقترب للمعجزة ، يعالجها من وجهة نظره هذه ، ويوضح معالجته بقوانين الطبيعة. وقد أثر نقد المعجزات وفقاً لأساليب البحث الفلسفى فى عصره تأثيراً كبيراً على الباحثين التوراتيين ، والفلاسفة الذين جاؤا بعده ، ومنه استفاد عليه اعتمد باروخ سبينوزا فى دراسته "المعجزات" فى كتابه "رسالة فى اللاهوت والسياسة".

٧- دون إسحاق أبرنثيل

وأما دون إسحاق فكان متأثراً بالفلسفة التجريدية البعيدة عن الواقع والحياة وهى الفلسفة المدرسية : فقد تنبه فعلاً بمخطط سقوط اليهود فى الأندلس، وتشرب فى داخله كل اتجاهات التفاسير السابقة عليه ، وإن لم يستوعبها كلها بنفس الدرجة. غير أن قيمته الفريدة كانت فى موضوع رؤيته التاريخية والاجتماعية. وقد ساعده عمله الشعبى والرسمى فى كشف طبقات المجتمع وأساليب الدولة كما هى معكوسة داخل أقوال العهد القديم، وسعى فى تفاسيره العديدة لوصف أساليب القيادة السياسية فى عصرى القضاة والملوك ، وذلك بملاحظة الآثار القديمة فى العهد القديم ، وشرح

المقياس والوزن والمسكوكات ، حتى الملابس التي كانت متبعة في عصر العهد القديم ، وبذلك تجاوز عن تفسير كل فقرة ، ووضع الأساس للوصف التاريخي لحياة المجتمع العبري في عصر العهد القديم على أساس شواهد الكتابات المقدسة ، واستمد الباحثون الذين جاؤا بعده كثيراً من أقواله وواصلوا أبحاثه.

خامساً : البحث العبري والبحث النصراني

١- إيلياهو لويتا

مع تدهور وضع اليهود في الأندلس تدهورت أيضاً مكانة البحث النقدي عند اليهود، وانتشر مفكرو الجيل في كل اتجاه ، والغصن الذهبي في تاريخ الابتكار العبري ابتعد عن البحث الحر وسلم للعلم الغيبي وعلم القابالا الذي ظهر آنذاك ليسيطر على العقول، واضطر سفر الأسفار أن يخلى تدريجياً مكانته الرئيسية للكتب الأخرى، سواء علانية أو سراً. ومرة ثانية - وكما حدث في عصر التدهور في الشرق - فقد كان المجال الوحيد الذي تأسس عليه علم العهد القديم مجال بحث النص وتحديد الماسورا. وما كان يفعله آنذاك ابن أشير لبحث العهد القديم أصبح يفعله الآن إيلياهو بن أشير لويتا. فكان أول من اتجه لإلقاء الضوء على تاريخ تكوين ماسورا العهد القديم ورسم لها خطأ نقدياً. وعلاوة على مؤلفاته العديدة والرئيسية التي كتبها في علم اللغة العبرية ("كتاب المختار" "كتاب التركيب")، "عودتي"، "مترجم"، "أسماء الأشياء" "حسن الفهم" وغيرها، كتب أيضاً "ماسورا الماسورا"، وهو كناقد ذكي ولغوي خبير اتجه ليوضح كل "المقروء" و"المكتوب"، "الكامل" و"الناقص"، وكان أول من نسب لعلماء التشكيل وضع الحروف اللينة في التوراة وبذلك فتح مجالاً جديداً في نقد النص. ويمجهد مميز حدد بنفسه أفكاره عن تثبيت العهد القديم. فكان أول من أصر على متابعة تثبيت العهد القديم ورأى في ذلك عملاً عظيماً لجماعة كاملة، وأدرك فيها إشارات لتأثير عصر الهيكل الثاني. وقرر في مقدمته لـ: "ماسورا الماسورا" (١٥٣٨) قاعدة: أن عزرا ورجال الكنيسة الكبرى جمعوا سوياً الأسفار الأربعة وعشرين المتفرقة الموجودة لدينا وقسموها لثلاث مجموعات مميزة، وقاموا بترتيب أسفار الأنبياء والكتابات". وعمل سوياً مع عمله الأساسي هذا ، على نشر معرفة اللغة العبرية من منبعها ، وعمل كذلك على نشر نتائج البحث العبري الخارجية، وترجمت العديد من كتبه وانتشرت ، كما أخذ برأيه بشأن تثبيت العهد القديم "بوخستورف" "وسادت في دوائر

معروفة عند الباحثين النصارى واستمرت مئات السنين . ومع ذلك فقد كان فريداً في عصره داخل الجماعة اليهودية .

٢- انتشار القابالا

وقد استولى أدب القابالا وعلم الغيب على زمام السيطرة على روح التفكير لدى اليهود ، وأهملاً أيضاً دراسة مصدر النصوص، غير أنه تم البحث في الأسرار الكامنة وراء النصوص، ويحث كذلك الواقع الفعلي لحياة بنى إسرائيل في عصر العهد القديم ، وأما تطور النصوص داخل العهد القديم نفسه ، فقد نسبت كلية من قلب أصحاب الحكمة الخفية، ليس هذا فحسب بل حقيقة نسبة أسفار الزهر إلى عصر التنايم ، انتقلت بمعرفتهم إلى الباحثين وأجبروهم على التمسك بال تكرار من أجل التكرار . ومع ظهور الطباعة كان الزهر من أوائل الكتب التي تم نشرها .

٣- عزريا بن هاأدوميم

ومع أن الربى عزريا بن هاأدوميم - ذلك الناقد الحر المميز في عصره - قد نال جزاءه من رباني ذلك الجيل بسبب آرائه النقدية، فقد نقد الياهو لويتا وأسلوبه في وضع التشكيل، وكان رأيّه بوضوح أن التشكيل كان قائماً قبل تأليف المشنا طالما أنها ذكرت في "تجيلات" الربى شمعون بر يوحاي وطائفته. وقد وجد أيضاً أنذاك من لم يمتنع عن رؤية التناقضات داخل الكتابات المقدسة، ولكنهم وجدوا في هياكل القابالا راحة لأنفسهم المحيرة . والمثال على ذلك "كتاب المقرر" للربى منشى بن يسرنيل الذي أحصى أربع مائة وسبعين تناقضاً في الكتابات المقدسة، وعلى الرغم من ذلك لم يؤد كشف هذه التناقضات به إلى الاقتراب من البحث العلمي.

٤- الربى منشى بن إسرائيل

مهّد السبيل للربى منشى بن إسرائيل الترجيح بين النصوص المقدسة على أساس أسلوب القابالا وعلم الغيب، وتشهد الصعوبات الدائمة في أدب المفسرين أحياناً، بأن كبار الأتقياء لم يستطيعوا إدراك أن الغموض والتناقض ازداد في الكتابات المقدسة زيادة متعددة وأصلية، غير أن الماسورا الدينية وهياكل التفسير التي شيدت وازدهرت على أسس الأجادا وقفت حصناً منيعاً أمام تلك "النفوس الغاضبة" التي لم تأت بكل قوتها إلا لإثراء تلك الهياكل وزيادة تطويرها وإظهار حدودها .

وينفس القدر الذى اختفى فيه وتدهور بحث العهد القديم عند اليهود، بدأ استخدام نقد العهد القديم يزدهر خارج حدود بنى إسرائيل ، واختفى إرثهم وانتقل إلى مجالات العلم الأوروبي. حتى أنه عندما يأتى بعد ذلك جاؤون مبتكر من بنى إسرائيل ويمس فى نهاية بحثه سفر الأسفار ويكشف آفاقاً جديدة فى النقد، فإن أقواله كانت تكتب باللاتينية وموجهة إلى الخارج.

وقبل أن ننتقل إلى نظرية سبينوزا وبحث العهد القديم فى أوروبا فى عصر مذهب الإنسانية، وعصر تدهور فكرة الإنسانية داخل الحدود اليهودية نعرف بشكل موجز وضع البحث داخل دوائر الكنيسة النصرانية.

القسم الأول

نقد الموروث

الفصل الخامس

التفاسير النصرانية

١ - بداية التفاسير داخل الكنيسة

أ- آباء الكنيسة

إذا كانت الأوضاع العامة لا تزال غير ملائمة لباحث النقد اليهودي ، فقد كانت صعبة وسيئة داخل دوائر الكنيسة النصرانية . فالماسورا التي قدست بواسطة الكنيسة قيدت الفكر ولم تسمح بالنقد والبحث الحر . وباستثناء هذه المشكلة التي كانت سمة مشتركة لوجهة نظر سائدة سواء عند اليهود أو النصارى ، فإن الباحثين النصارى كانوا لا يزالون بعيدين عن اللغة العبرية ، وأسفار العهد القديم في مصدرها كانت بالنسبة للعديد منهم بمثابة السفر المبهم . وكان غرض النصارى الأوائل إيجاد دعم لعقيدتهم داخل أسفار العهد القديم ، لذلك اضطروا إلى التمسك بطرق الرمز والمجاز . وعلى ذلك التحرفسروا النصوص داخل العهد الجديد (انظر على سبيل المثال متى ٢٢: ٤٤ في تفسيره للمزامير ١٠٩: ١) ، واستمر آباء الكنيسة في متابعة هذا الأسلوب الذي رسمه يديديا الإسكندري وتلاميذه . كما كان يفسر بولس الرسول النصوص المقدسة بأسلوب الدراش والرمز .

ب- الوعظ النصراني

وشجب الغنوصيون والنسطوريون أسلوب الوعظ [الدراش] المسلم به لدى الكنيسة ، ولم يفعلوا ذلك من خلال وجهة نظر نقدية ، بل لأسباب دينية وأخلاقية فحسب . وعرفنا من أقوال أورجين تجاه الفيلسوف الوثني تسلازوس ، أن تسلازوس وجد تناقضات عديدة في سفر التكوين ، واعتقد أنه من المتعذر أن يكون السفر كله قد كتبه مؤلف واحد . ولم يكن كتاب أورجين معتمداً كلية على المصدر العبري للعهد القديم بل على الترجمة اليونانية ، وبصورة عامة لم تكن هناك جدوى لإظهار المواضع الغامضة في العهد القديم . لكن بدت قوة أورجين بتقديره لمواضع الكنيسة وكشفه أسراراً ورموزاً أخلاقية في قصص التوراة ، فأصبح كتابه واضحاً وبريئاً لدى الكنيسة ، وبخاصة الكنيسة الشرقية ، لمئات السنين . وأضاف أورجين بعمله هذا إبعاد النصوص المقدسة عن جنورها الواقعية وأما الوعاظ في إنطاكية فقد قاموا أحياناً بتفسير العهد القديم طبقاً لمعناه البسيط ، وكان أوجوستينوس يقول : إنه مع المضمون الخفي الذي يوجد في كل نص من النصوص فإن "العهد القديم لا يخرج عن معناه البسيط" ، وأعظم من هذا كان عمل هيرونيμος مترجم التوراة إلى اللاتينية (الفولجاتا) لتعلمه العبرية عند معلمين يهود . فقد كان الأخير من بين وعاظ الكنيسة ويعرف العبرية واستخدم أقوال التوراة

من مصدرها . وكل من جاء بعده من الوعاظ النصارى طوال العصر الوسيط تعلموا التوراة على أساس ترجمته ، وكتبوا أبحاثهم وتفسيراتهم ليس على نص التوراة الأصل بل على نص الفولجاتا . ونسيت اللغة اليونانية داخل الدوائر الكنسية وسيطروا بدون الماسورا .

وقرر فينسنطيوس أن أى بحث فى العهد القديم لا يلائم فى كل تفاصيله رأى الكنيسة يعتبر فى حكم الهرطقة ، ولذلك فإن البحث التأملى للكتابات المقدسة لم يخط خطوة واحدة للأمام فى دوائر الكنيسة طوال ألف سنة وما يزيد ؛ ولم يتحسن بحث العهد القديم حسب منهج أصحاب الفلسفة المدرسية ، كما لم يتسبب عصر الصوفية فى تطوره . واستخدم العهد القديم فى رأى هؤلاء فقط كشماعة ليعلقوا عليها أفكارهم وشروحيهم التى ليس لها أى علاقة أو صلة بمضمون العهد القديم . وبدأ نيقوليوس ، الذى عاش فى بداية القرن الرابع عشر ، مرة أخرى يبحث وراء بساطة العهد القديم ، وسلك طريقاً جديدة فى علم المواعظ النصرانية . وأحدثت كتبه ثورة فى حينها ، وأثرت كثيراً ليس فقط على معاصريها ، بل أيضاً على الأجيال المتأخرة ، بما فى ذلك لوتر . وقد تعلم نيقوليوس العبرية عند أحد ربانى فرنسا ، واستخدم فى مؤلفه الكبير تفاسير مفسرى العهد القديم اليهود الذين كانوا فى فرنسا وإسبانيا ، وبخاصة تفسير الربى شلومو يتسحاقى الذى تأثر به بدرجة كبيرة جداً ، ونسخ العديد من أقواله داخل كتابه .

وفى هذه العصور زال الحاجز الذى فصل بين بحث العهد القديم عند اليهود والشعوب الأخرى . وبالفعل رأينا الربى أبراهام بن عزرا يكتب فى مقدمة تفسيره ما يرتبط بطرق التفسير المسلم بها فى العالم النصرانى ، وتوسع الربى دافيد قمحى فى تفسيره فى النقاش مع مفسرى الكنيسة . وينفس الدرجة التى أقترب بها المفكرون اليهود فى إسبانيا من ثقافة معاصريهم ، تزايد تأثيرهم على العالم الخارجى بطرق التفسير الحرفى (الدراس) المعترف بها عندهم ، وكذلك تقبلوا التأثير منهم . فيفسر الربى يهودا مسير - ليوان سفر الأمثال بنفس الأساليب التى سلكها فى عصره التفسير البلاغى . واقتبس دون يتسحاق ابرنيل فى تفاسيره مرات عديدة أقوال آباء الكنيسة وبذل جهداً لاستنباطها ومناقشتها مناقشة تأملية .

٢ - الإنسانية والعهد القديم ، اليهود بمثابة وسطاء

وحدث تقارب بين البحث العبرى والبحث النصرانى نتيجة سبيين رئيسيين ، فقد

سقطت في نهاية القرن الخامس عشر كنيسة اليهود في إسبانيا مركز الفكر العبري آنذاك ، وتششت المفكرون اليهود في الخارج ، وبدأ الاتجاه الإنساني يعطى ثماره ، كما كان انتشار معرفة اللغات القديمة مثمراً لبحث العهد القديم . كما أفادت معرفة اللغة اليونانية في تطور بحث العهد الجديد ، وظهرت آثارها أيضاً في مجال بحث العهد القديم ، وفي عصر ريخلين تزايد بحث أسفار العهد القديم بين الدوائر النصرانية ، وكان من بينهم من أراد الوقوف على جوهر الأقوال في مصدرها ، فاضطر إلى اللجوء إلى الباحثين العبريين . وكان دون يستحاق ابرنيل نفسه الذي يقتبس في كتبه من أقوال هيرونيموس وأجوستينوس ، وها هي أقواله تأتي بعد ذلك على يد بوخستروف وكرفسوف وآخرين من علماء أمم العالم . وبين البحث العبري والبحث النصراني ظهرت شخصيات بارزة لوقوفها وتوسطها بين عالمي الفكر اليهودي والنصراني ، من تلك الشخصيات شخصية إلباهو لويتا ، الذي أسس بحث العهد القديم ونقد الماسورا من ناحية ، ومن ناحية أخرى نشر معرفة اللغة العبرية خارج دائرة اليهود وبواسطة عمله التعليمي هذا أسس جيلاً من علماء أمم العالم الذين صاروا خبراء باللغة العبرية . ومن بين تلاميذه الذين تعلموا التوراة على يديه بعض الباحثين النصراني المشهورين مثل سفسطين مينوسترو باول بجيوس وغيرهما . وعلاوة على ذلك كان هناك بعض اليهود الذين علموا اللغة العبرية وأساليب بحث العهد القديم للباحثين النصراني ، ومن بينهم (يعقوب يحليل لوئنس ، والرّب عويديا سغرتوا معلما ريخلين ، متتيا الأسباني ، معلم فليكان ، وآخرون) .

٣- عصر الإصلاح

أ- لوثر وتلاميذه

دفعت حركة الإصلاح بحث العهد القديم دفعة جديدة ، فمؤسسها وتلاميذه وضعوا بحث العهد القديم مرة ثانية في مركز فكرهم ، وعادوا مرة ثانية ليستملوا الغذاء الروحي لحياة العقيدة من هذا المصدر القديم . وقد نشرت ترجمة لوثر الجديدة والمناقشات العديدة التي حدثت في أعقابها أقوال العهد القديم بين جمهور عريض ، كما أثارت مرة ثانية حنين مفكري العصر إلى سفر الأسفار . غير أن البحث العلمي والابتكار النقدي كان لم يخط بعد خطوة إلى الأمام . فالأساليب الدينية الجديدة التي بنيت على أساس النصوص الدينية ، والاختلافات الدينية التي حدثت في العالم أبعدت

العهد القديم كشرعية عن مجال الفكر التأملي، وبدلاً من علم العهد القديم حل لاهوت العهد القديم. وتعد الحركة التي قامت حول المجادلات والمباحثات هامة جداً بالنسبة لموضوعنا في مجال البحث الخارجى للعهد القديم ، أى بحث النص .

وأظهر لوثر وزفنجلى وكالفن رأيهم بأن تشكيل الكتابات المقدسة من عمل أبراهام بن عزرا ونيقوليوس مليرا والياهو لويتا، ولذلك سيطرت الحيرة حول الحقائق المقررة. ومن ناحية ثانية خرج فلقبيوس أحد عظماء المفسرين الإصلاحيين وأكد أن هذا التشكيل قديم وسليم . غير أن هذا الخلاف الذى استمر عشرات السنين لم يأت بثمار مفيدة للبحث العلمى ، لكونه خلافاً دينياً وعقائدياً ، فالكنيسة الكاثوليكية شنت حرباً ضد نص الماسورا ، ورغبت فى وضع حد لأقوال الإصلاحيين القائمة على النصوص. وقد قصد يوهان مورين إلى الكشف عن أن النص العبرى للتوراة ملئ بالأخطاء ومشوه، وبناءً على ذلك فالقولجاتا أيضاً غير موثوق فيها لاعتمادها على النص العبرى، ويفوقها نص التوراة السامرية والترجمة السبعينية التى يمكن استخدام أقوالهما؛ وظهر مناقضاً له جرهرد ، فقرر أن النص العبرى قديم ودقيق وليس به خطأ مقصود، ولم يكتف بوحسستورف بذلك بل أصدر قانوناً معارضاً لأقوال لوثر وتلاميذه الأوائل أنفسهم، وهو الثقة بقدّم النسخة العبرية للتوراة، بما فى ذلك التشكيل والاختصارات وأنها واحدة من أسس الدين الجديد .

ويقهم من ذلك أنه كان من المستحيل فى ظل هذه الأوضاع أن يتقدم بحث العهد القديم فى إطار الكنيسة اللوثرية، واستمر هذا الطلب مرفوضاً استجابة للمفسرين الكاثوليك .

ب - النقاش حول تشكيل أندرياس مزيوس وزملائه

بدأ المثقفون اليسوعيون فى كشف الطابع المتعدد للعهد القديم وأعربوا عن الرأى أنه داخل العهد القديم أقحمت بعض الإضافات المتأخرة ووجدوا دعماً لهم فى أقوال أندرياس مزيوس (دتى - مس) أحد المثقفين الهولنديين الذى تمكن من تحديد الزمن الذى رتبت فيه التوراة ، وللإجابة عن سؤاله توجه إلى المصادر التى حفظت فى الأدب العبرى القريب إلى تلك الفترة، وبدأ أبحاثه بالبراييتا المعروفة فى (بابا باترا ١٤:٢) بشأن ترتيب الكتابات المقدسة وزمن تأليفها ، ونفس هذه البراييتا ساهمت فى بحث العديد من الباحثين فى العصر الوسيط من اليهود أو من الأمم ، ويقال فيها - من بين ما قيل - "كتب عزرا سفره ، ونسب أخبار الأيام له " ويفسر أبرينيل أن عزرا لم يخرج من تلقاء نفسه لينسب أخبار الأيام لنفسه بل كانت أمامه قوائم عديدة كتبت

بواسطة الكتبة أبناء ذلك العصر، في غضون العصور السابقة له ومن بين هؤلاء الكتبة القدماء أنبياء المملكة وحكامها ووزرائها . وهذا التفسير الذي يبدو بمثابة شهادة كان قريباً من تفسير صاحب البرايتا في تخمين زمن إقرار العهد القديم، وقد افترض مزيوس رأيه عن تاريخ بناء أسفار التوراة الخمسة فكما أن عزرا كتب الأسفار التاريخية الموجودة في العهد القديم على أساس قوائم قديمة، كذلك كتب موسى أسفار التوراة على أساس لقائف قديمة كانت منتشرة بين الشعب وأعلنت من جيل إلى جيل.

ج - سيكستوس مسينا

ووجد زملاء مزيوس هذا الرأي صواباً ، وانطلقوا بقوته لتفسير التوراة . وكان تأثيره في حينه كبيراً على الباحث سقسطوس مسينا الذي كان يهودياً إيطالياً ثم تنصر ، وأصبح لومينيكيا ، وأدت به يهوديته إلى معرفة عميقة بعلم اللغة العبرية ، فألف مقدمة هامة ومفصلة للفولجاتا .

غير أنه حان الوقت لأن يخرج علم العهد القديم من هذه الدائرة - لإعادة بنائه من جديد - ويعد باروخ سبينوزا رائد المنهج الاستنباطي ، والذي بدد بشجاعته العملاقة الغيوم، ومهد طريقاً جديدة لعلم العهد القديم وبلا شك فإن طرق بحثه وخصائصها النقدية ليست كلها جديدة كلية، بل إن معظمها مستمد من أرشيف الباحثين السابقين له، غير أن النتائج التي استنتجها في عصره قوضت أي قلعة تفسيرية، وبقوتها ووضوحها أجازت البحث والتأمل وكانت النتائج متسقة مع الحقائق العلمية للعصر .

القسم الأول

نقد الموروث

الفصل السادس

باروخ سبينوزا وآراؤه في العهد القديم

١ - رأى أصحاب الماسورا حول مؤلفى العهد القديم

يقول سبينوزا فى "رسالة فى اللاهوت والسياسة" : كما أنه لا يمكننا فهم قوانين الطبيعة قبل أن نوضح لأنفسنا أحداث الطبيعة ، فكذلك لا يمكننا أن نصل إلى رأى النهائى لأقوال العهد القديم قبل أن نكشف لأنفسنا أحداث تطوره . وبدأ هو نفسه يكشف أمامنا تاريخ العهد القديم إلى أقصى درجة عقلية . واستهل بحثه بالسؤال : بواسطة من ألقت أسفار الكتابات المقدسة؟ ومتى ألقت؟ وما هى صحة رأى الماسورا التى تنسب كتابة كل سفر من الأسفار إلى البطل الرئيسى الذى يتحدث عنه السفر؟.

وقد عرف سبينوزا إلى أى مدى أن معرفة مثل هذه الموضوعات غير مرغوبة ، وأنها فى نظر العديد تعنى الهرطقة ، وعرف أيضاً بأنه لم يكن أول من ألقى شكوكاً حول أقوال الماسورا ، بل سبقه العديد من المفسرين القدماء . وأخذ سبينوزا هذا الباعث الأصيل للبحث من ابن عزرا . فطبقاً لرأى سبينوزا أن أبراهام بن عزرا كان أول من ثار ضد الماسورا ، غير أنه لم يجرأ على التعبير عن آرائه بوضوح ، وقصد إلى استخدام لغة نظرية ورمزية لم تكن مفهومة للعديد من أبناء عصره ، أو الأجيال التى جاءت بعده ، إلى أن جاء هو - سبينوزا - وفسرها ، وهاهو سبينوزا يتابع ويوضح أقوال ابن عزرا المذكورة فى تفسيره لسفر التثنية (١:١) ، حيث يكشف سر "الأشاة عشر" وكتب موسى و "الكنعانى آنذاك فى الأرض" و "فى جبل يهوه يرى" و "ها هو ذا عرشه عرش حديد" ثم يفسر قصد ابن عزرا من قوله "عندئذ تفهم الحقيقة" ، وقد ناقش هذه الصعوبات بتأمل ليظهر بأن موسى لم يؤلف أسفار التوراة الخمسة وأنها لا تعود إلى عصره .

٢ - تفسير سبينوزا لرموز ابن عزرا

ومن أجل تدعيم رأى ابن عزرا وتعزيزه أكثر ، استمر سبينوزا وأحصى أدلة جديدة من ثنايا أقوال العهد القديم التى يمكن أن تستخدم كحجر أساس وشهادة معززة له . فالتوراة لم تتحدث بشأن موسى فى أى موضع بلسان المخاطب ، بل تتحدث عنه كثيراً بضمير الغائب ، كما تسرد أحداث من المستبعد أن يقولها مؤلف عن نفسه "وكلم يهوه موسى" ، "وكلم يهوه موسى وجهاً لوجه" (الخروج ٣٣: ١١) ، وأما الرجل موسى فكان حليماً جداً أكثر من جميع الناس الذين على وجه الأرض " (العدد ١٢: ٢) ، "فسخط موسى على وكلاء الجيش" (٤: ٣١) ، موسى رجل الله " (التثنية ١: ٣١) ، "ومات هناك موسى عبد الرب" (٢٥: ٣٤) .

وعلى العكس من ذلك ورد فى بداية سفر التثنية عند حديث النص المقدس عن أقوال الشريعة التى شرع موسى فى توضيحها لبني إسرائيل ، تحدث الجميع بلسان المخاطب مؤيدين إياه "وكلمتكم ... فأجبتهمونى... فأخذت ... وجعلت ... وأمرت ... فتقدمتم إلى ... فحسن الكلام إلى ... وعصيتم قول الرب ... وقال يهوه إلى ... وتوسلت إلى الرب" (التثنية الإصحاح الأول والإصحاح الثانى وغيرهما) ، إلى أن أتم موسى تفسير كل الشريعة ، عندئذ بدأ النص المقدس يتحدث بشأن موسى مرة ثانية بضمير الغائب . والأكثر تمييزاً من هذا ذلك القسم الأخير الذى يسرد كيف مات وكيف دفن وكيف نذب من قبل بني إسرائيل . وعلاوة على ذلك فإن النص يشبه موسى ببقية بني إسرائيل وليس بينهم من هو أفضل منه ، ولم يقم كما يشهد النص المقدس "بنى بعد فى إسرائيل مثل موسى الذى عرقه يهوه وجهاً لوجه (التثنية ٢٤ : ١٠) وأنه "حتى هذا اليوم" لم يعرف رجل قبره .

ويضيف سببنوزا أن "شهادات كهذه لا يمكن أن تشهد بأن قائلها واحد من تلاميذ موسى الذين جاؤا بعده ، بل إنه شخص عاش بعده بمئات السنين " ، وهو قصد بذلك - كما يبدو - حجب الرأي التلمودى الذى يرى أن يشوع هو الذى كتب القسم الأخير من التوراة . وعلاوة على ذلك ، وجد سببنوزا فى ثنايا التوراة أسماء متأخرة لم تكن موجودة زمن موسى ، وكذلك روايات تناقش عصوراً متأخرة . فيقال فى قصة إبراهيم "وتبعهم إلى دان" (التكوين ١٤: ١٤) وكما نعرف من القضاة (٢٩: ١٨) أن اسم هذه المدينة لم يكن معروفاً من قبل ، بل عرف فقط بعد أن استولى عليها بنو دان وبنوها من جديد فأطلقوا عليها اسم دان . ويقال فى قسم المن "وأكل بنو إسرائيل المن... حتى قدومهم إلى أرض مسكونة أكلوا المن حتى قدومهم إلى نهاية أرض كنعان" ، وأصر على ذلك فعلاً المفسرون العبريون فى العصر الوسيط ، كما أصروا أيضاً على برهان آخر أبرزه كثيراً سببنوزا وذلك بشأن عبارة : "هؤلاء هم الملوك الذين ملكوا فى أرض أنوم قبل أن يملك ملك لبني إسرائيل (التكوين ٢٢٦: ٣١) ، ويتضح من كل هذا وضوح الشمس - كما يقرر سببنوزا - أن موسى لم يكتب التوراة ، لكن كتبها شخص آخر عاش مئات السنين بعد موسى ."

٣ - موسى مؤلفاً

غير أن سببنوزا لم يبتكر أن موسى لم يكتب الأسفار بصورة عامة . ولذلك يبحث فى ثنايا التوراة ويجد فى قسم العماليق "أكتب هذا تذكراً فى الكتاب" (الخروج ١٧: ١٤) ، لذلك يسأل سببنوزا مع ابن عزرا ، فى أى الأسفار كتب موسى قسم

الحرب؟ فيجيب "فى سفر حروب يهوه" الذى يسرد عنه فى سفر العدد (١٤:٢١) "كما لو كان سفراً قديماً ومعروفاً" على ذلك يقول فى سفر حروب يهوه وأهـب فى سوفه وأودية أرنون"، وعلى ما يبدو كتب فيه موسى تنظيم حملات بنى إسرائيل الخارجين من أرض مصر (العدد ٢:٢٢) ويتحدث سفر الخروج (٤:٢٤-٧) عن "سفر العهد" الذى قرأه موسى على مسامع الشعب وعلى ما يبدو كتب فيه موسى "كل أقوال يهوه وكل الأحكام" التى ترد فى سفر الخروج (٢٠-٢٣).

وبما أن موسى كتب كل هذه الأقوال المتضمنة فيه فى يوم (ويكر فى صباح الغد من هذا اليوم وبنى المذبح ، وغير ذلك ، وقرأها كلها مرة واحدة ، وسمع الشعب كل الأقوال وقالوا نعمل ونسمع ، يبدو أن سفرًا كهذا لم يتضمن فى وسطه سوى هذه الأحكام التى ذكرت هنا ولا أكثر من ذلك .

ومرة ثانية نعرف من سفر التثنية أن موسى أراد أن يفسر الشريعة فى غير الأردن (التثنية ٥:١) وقطع هنا عهداً أيضاً "بل مع الذى هو هاهنا معنا واقف اليوم... ومع الذى ليس هنا معنا اليوم (١٤:٢٩) ؛ وبعد ذلك كتب موسى كل هذه الشريعة التى فسرهما على مسامع الشعب ومنحها الكهنة وكتب فيها أيضاً الأنشودة ليعلم بنى إسرائيل، ووضع "سفر تورا الرب" فى التابوت، واستقر بعد ذلك يشوع يكتب فيه أقوال العهد الذى قطعه لشعب إسرائيل (يشوع ٢٤:٢٥ وغير ذلك) . وبما أننا لا نعرف سفرًا مثل هذا السفر الذى يتضمن فى داخله تلك العهود ، نجم عن ذلك أن هذا السفر فقد من عندنا كما فقدت العديد من الأسفار الأخرى فى عصر العهد القديم.

ويقول سبينوزا فى "رسالة فى اللاهوت والسياسة" ، الفصل الثامن: "وبما أننا لا نعرف ما يتعلق بالأسفار الأخرى التى كتبها موسى ، وبما أن موسى أراد فقط أن يضع سفر العهد مع الأنشودة التى أضافها فى تابوت العهد لتعلن إلى الأبد ، وبما أن العديد من المواضع فى التوراة لا يمكن أن تكون كتبت بواسطة موسى ، يفهم بدون تردد افتراض أن موسى ألف كل أسفار التوراة ينقصه الدليل ومناقض للعقل."

٤ - أسفار الأنبياء مصدرًا تاريخيًا

وهكذا وضع سبينوزا أن سفر يشوع لا يمكن أن يكون قد كتب بواسطة يشوع حيث توجد فيه فقرات مشابهة لتلك الموجودة فى التوراة : وكان الرب مع يشوع وكان خبره مع جميع الأرض (يشوع ٦: ٢٧) ، "لم يهمل - يشوع - شيئاً من كل ما أمر به موسى" (١٥: ١١) . وعلاوة على ذلك مكتوب فى السفر بالتفصيل "ومات يشوع بن

نون عبد يهوه ... ودفنوه فى حدود إرثه " ، "وعبدت إسرائيل يهوه كل أيام يشوع وكل أيام الشيوخ الذين طالت أيامهم بعد يشوع " (٢٤: ٢٩ وما بعدها) .

و فيما يتعلق بنظام تقسيم الأرض يعلن السفر أن بنى إفرام لم يرثوا الكنعانى ويضيف الكاتب "وسكن الكنعانى فى وسط إفرام حتى هذا اليوم " (يشوع ١٦: ١٠) ، وفى الرواية المكتوبة بشأن الشمس فى جبعون ها هو يوضح : "ولم يكن مثل هذا اليوم قبله ويعدده " (يشوع ١: ١٤) . كل هذا يظهر لسبينوزا بوضوح أن السفر لم يكتب بواسطة يشوع ولا فى عصره .

وكما يتضح أيضاً فإن سفر القضاة لم يكتب بواسطة القضاة ، بل إنه ألف كله بواسطة مؤلف واحد ، وهو ما استنتجه بوضوح من أقوال السفر "فى تلك الأيام لم يكن هناك ملك فى إسرائيل . كل واحد عمل ما حسن فى عينيه " (القضاة ٢١: ٢٨) وانظر أيضاً ١٨: ١ : ١٩: ١)

ووجد ما يشابه ذلك فى أسفار صموئيل والملوك التى تشمل فى داخلها روايات عديدة تتعلق بشاؤول ودود حدثت بعد موت صموئيل بزمان طويل ، ويظهر من النص "سابقاً فى إسرائيل هكذا كان يقول الرجل عند ذهابه ليسأل الله . هلم نذهب إلى الرائي . لأن النبى اليوم كان يدعى سابقاً (فى عصر صموئيل) الرائي " (صموئيل الأول ٩: ٩) إلى أى مدى كان مؤلف هذا السفر بعيداً عن عصر صموئيل ؟ وسفرا الملوك طبقاً لشهادة السفرين ذاتهما هما أجزاء واختصارات لأقوال مأخوذة من أسفار أخرى مثل "سفر أخبار الأيام للملك إسرائيل" (الملوك الأول ١٤: ١٩) ، و "سفر أخبار الأيام للملك يهوذا " (٢٩: ١٤) . ويستنتج سبينوزا من خلال كل هذه الأقوال الافتراض التالى : أنها كلها كتبت فى عصر متأخر وأن كل الأحداث المروية فيها بمثابة أحداث حدثت من قبل فى إسرائيل .

٥ - سر الإقرار

وبعد أن تعمق سبينوزا فى تتبع تسلسل الروايات وترتيب أسفار الكتابات المقدسة اكتشف سر الشريعة . وقرر سبينوزا أن الأسفار المتفرقة والفريدة لم تجمع فى مجموع واحد ، غير أن يداً واحدة تظهر فى كل الأسفار ، من أولها إلى آخرها ، وهذه اليد الواحدة هى التى رتبت ودمجت ، وجعلت تلك الأسفار الفريدة مترابطة فى سلسلة واحدة ، وحدث ذلك بعد أن تم فعلاً كتابة كل الأسفار المقدسة . وتظهر الأقوال أن الجامع أراد أن يعلن للأبد تاريخاً كاملاً وشاملاً منذ تكون بنو إسرائيل كشعب

وحتى السبى البابلي ، وفى سفر واحد ينهى إحصاء الروايات المتعلقة بموسى ، وأثناء انتقاله إلى يشوع يضيف المقدمة الرابطة "وكان بعد موت موسى عبد يهوه فقال يهوه إلى يشوع ، وينهى يشوع ويبدأ سفر القضاة ويضيف "وكان بعد موت يشوع وطلب بنو إسرائيل من يهوه قائلين : من يصعد علينا ؟ "وبعد ذلك يضم إلى هذا السفر سفر روث الذى يبدأ بالحديث "وكان فى أيام حكم القضاة ، فكان جوع فى الأرض: ويشبه ذلك بداية سفر صموئيل الذى ينتهى بموت شاؤول ،ولذلك يبدأ الحديث فى صموئيل الثانى فيقول : وكان بعد موت شاؤول وعاد داود من ضرب العماليق " وينتهى سفر صموئيل الثانى بآيام داود الأخيرة ، وبها يبدأ أيضاً سفر الملوك الأول ، وينتهى سفر الملوك الأول بأحزيا ، ويبدأ به سفر الملوك الثانى .

والمظهر الخارجى لهذه الأسفار لم يكن دليلاً على تميزها فحسب ، بل يدل على ذلك - أيضاً - الفكرة العامة والمميزة السائدة فيها ، والهدف العام الشامل المشترك فيها . وكتب المؤلف الأحداث حسب ترتيبها ، كيف ومتى وأين عرض موسى التوراة على بنى إسرائيل ، وأظهر للجماعة الطريق الذى تسلكه والأحداث التى تحدث لها ؟ وقد تحققت وعود موسى وورث بنو إسرائيل أرض كنعان ، غير أنه فى أعقاب عدم حفظهم الأحكام والقوانين التى أمر بها يهوه موسى ، أخفى يهوه وجهه عنهم .وبعد ذلك طلب بنو إسرائيل أن يكون لهم ملك، ويضيف ليصف عصر الملوك وحكمهم سواء سلباً أو إيجاباً ، مقارنة بأعمالهم سواء حفظ الملوك توراة موسى أو عملوا الشر أمام يهوه ، أو أخطأ الشعب أمام يهوه ونكث عهده، ولذلك تركهم يهوه فسبب لهم ضوائق عديدة وسينة إلى أن سبوا من أرضهم، وقد حذر موسى بنى إسرائيل من كل هذا. وكان المؤلف يهمل بقية الأحداث التى ليس لها صلة أو علاقة بهذا المخطط العام ، لأنها غير مهمة بالنسبة له .ثم يعرض متتبعا مصترا آخر، وكان الهدف العام لرؤية المؤلف الذى أثاره لهذا العمل الكبير هو جمع هذه المادة، ودمجها وربطها سوياً من أجل إظهار إلى أى مدى كانت قوانين موسى هامة وصحيحة، وإلى أى مدى تتأكد بواسطة الحياة نفسها.

٦ - عزرا مؤلفا

غير أنه على يد من وكيف ومتى عمل هذا العمل الأدبى الضخم؟ أو على حد تعبير سبينوزا " : من هو مؤلف كل هذه الأسفار ؟ " . لم يستطع سبينوزا الإجابة عن سؤاله بالضبط وبالتأكيد، لقد عرض آراءه فقط .وندهش لقوة حدسه العبقري الذى تجاوز كل العصور والأجيال، وكشف أسرار المستقبل ، لتظهر فقط بعد مئات السنين

من البحث والشرح، من خلال وسائل البحث وأساليب النقد الأخرى التي لم تكن معروفة في عصره كلية .

وبما أن الرواية الأخيرة في هذه الأسفار - يشوع حتى الملوك الثاني - تبحث ما يتعلق بيهوياكين في بابل، في عصر حماقة مروخ بن نبوخذنصر ملك بابل ، وفيها يسرد "وظيفته وظيفه دائمة تعطى له من عند الملك أو كل يوم بيومه كل أيام حياته " (الفقرة الأخيرة من سفر الملوك الثاني) - يستنتج من هذا أن المؤلف الذي كتب هذه الأقوال، من الواضح أنه هو أيضاً مؤلف كل الأسفار التي سبق ذكرها ، ولا يمكن أن يكون في عصر سابق لعصر عزرا .

ونحن لا نعرف من ذلك الجيل اسما آخر يناسب هذه الشهادة سوى عزرا نفسه، وبما أنه يروى عن عزرا بالتفصيل أنه "هياً قلبه لطلب شريعة الرب والعمل بها وليلعلم إسرائيل فريضة وقضاء " (عزرا ٧ : ١٠)، ويقال في نحميا : " وقرأوا في السفر في شريعة الله ببيان وفسروا المعنى ... " (نحميا ٨ : ٨) ، يقول سبينوزا لذلك "قَابَنِي أَفترض أن عزرا هو مؤلف كل هذه الأسفار " (رسالة في اللاهوت والسياسة ، الفصل الثامن) .

٧ - قَدَم سفر التثنية

غير أنه كيف كان ترتيب أسفار العهد القديم المكتوبة بواسطة عزرا ؟ لم يجب سبينوزا على هذا السؤال إجابة أكيدة ، بل واصل أبحاثه التي بدأها، فيجد تعديلات وتفسيرات إضافية عديدة للغاية في سفر التثنية . فعلاوة على الإضافات التي كشفها من قبل ابن عزرا ، يجد سبينوزا إضافات وشروحا أخرى محدودة العدد . ففي التثنية (١٢:٢) يسرد النص بشأن الحوريين الذين قطنوا من قبل في سعير ما يلي : "وبنو عيسو طردوهم وأبادوهم من أمامهم وسكنوا مكانهم " ، ويضيف الكاتب بهدف التوضيح والمقارنة ، ما يلي "كما صنع إسرائيل بأرض ميراثهم التي منحها يهوه إياهم" . وبهذه المقابلة يمكن أن تظهر بمثابة دليل للقول بأن كنعان هي أرض ميراث إسرائيل، على الرغم من أن الأرض كانت مسكونة بواسطة شعوب أخرى قبل قدوم العبريين، ألم يكن حقاً سكن الحوريين أيضاً في سعير وورثهم بنو عيسو "لأنى لعيسو قد أعطيت جبل سعير ميراثاً " (٢٧:٢) . ولذلك يقول سبينوزا : "إننى أخمن أن سفر التثنية هو نفسه "سفر تورا الرب" ، الذي قرأه ووضحه وفسره وعدله عزرا (نفس المصدر السابق) .

ويما أن سفر التثنية يشمل فى داخله القوانين الدنيوية الضرورية جداً للشعب، ويما أنه يعبر بصورة متضائلة عن كل قرار تاريخى للأسفار التى تم إقرارها ، ويما أن هذا السفر لم يعتمد على أى سفر آخر ولا يعتبر استمراراً لأى سفر ، بل إنه قائم بذاته، حيث يبدأ بـ: "هذا هو الكلام الذى كلم به موسى جميع إسرائيل ... كأنما الكل من البداية، ولذلك يقول : "إنى أعتقد - ينهى سبينوزا استنتاجاته - أن هذا هو السفر الأول الذى كتبه عزرا"، ويعد أن أنهى عزرا كتابه هذا ، وعلم الشعب تورا شريعة الرب ، اتجه إلى تأليف تاريخ كامل وشامل لحياة بنى إسرائيل من خلق العالم حتى خراب أورشليم، وأدخل داخل هذا الكتاب الكبير كتابه الأول - أى سفر التثنية - فى مكانه المناسب.

وعندما وصل عزرا بعد ذلك لتسمية الأجزاء المختلفة لكتابه الأساسى اختار أسماء على أساس الأبطال الرئيسيين وأباء بنى إسرائيل ، ومنذ ذلك الحين سميت الأجزاء الخمسة الأولى التى تعالج الفترة المتعلقة بعصر موسى باسم "تورا موسى"، والسفر السادس الذى يحكى بشأن يشوع ، عرف باسم "سفر يشوع"، والسابع "القضاة" وهكذا .

٨ - زمن تأليف الأسفار المختلفة

وينفس الطريقة تأمل سبينوزا أقوال الماسورا عن مؤلفى الأسفار وزمن كتابتها، وهكذا واصل أبحاثه بشأن بقية الأسفار المتضمنة داخل الكتابات المقدسة، وتوصل إلى رأى عام ، وهو أن المزامير جمعت سوياً فى سفر المزامير زمن الهيكل الثانى، وطبقاً لشهادة فيلون السكندرى بأن الإصحاح (٨٨) قيل بعد أن وضع يهوياكين فى السجن وأُجلب إلى بابل، وقيل الإصحاح (٨٩) بعد أن أُعتق هذا الملك . كذلك ينسب سبينوزا لنفس الفترة تأليف سفر الأمثال .

وكما يبدو فإن سبينوزا بعد أن تفحص أسفار الأنبياء وجد أن النبوءات التى وردت فى هذه الأسفار مستمدة من أسفار أخرى، لأن كل النبوءات لم تصل إلينا، وأن تلك التى وصلت إلينا لم تصل كلها بنفس الترتيب الذى قيلت به . وطبقاً للحقيقة، فإن أسفار الأنبياء الموجودة عندنا ليست سوى بقايا أسفار الأنبياء . ففى سفر أخبار الأيام الثانى (٢٢:٢٦) يرد أن "بقية أقوال عزياهو ... كتب إشعيا بن أموص"، ولم يبق عندنا حقاً من هذه أى شئ مطلقاً . وطبقاً لرأى سبينوزا فإن المادة التاريخية المتنوعة والموجودة فى سفر إرميا مأخوذة من مصادر تاريخية مختلفة وأن الجزء النبوى فيه مستمد من نفس لفيفة السفر التى كتب عليها باروخ بن نيرى من فيه إرميا كل نبوءات

إرميا (أنظر إرميا ٢٦: ٤) ويرى يوسف قلافيوس (الآثار ، الكتاب ١٠ ، الفصل ٩) عن نبوءات حزقيال، بأن الملك صدقياهو لم ير بابل، وفي سفر حزقيال الموجود عندنا لا نجد نبوءة مثل هذه. ويوافق سبينوزا تخمين ابن عزرا فيما يتعلق بأيوب بأن السفر مترجم من لغة أخرى، غير أنه لم يكن مديناً له في رأيه بأن السفر ألفه وثنى.

٩ - تثبيت العهد القديم في عصر التلمود

وهكذا نجد سبينوزا يوضح أن الأجزاء العبرية في سفر دانيال نسخت من لغة أخرى أى الآرامية، وكان سفر دانيال وسفر عزرا في البداية سفرًا واحدًا، وأن الكاتب الذى ألف سفرى عزرا ودانيال هو نفسه الذى ألف سفرى أستير ونحميا وكما يبدو فقد ألقت هذه الأسفار الأربعة على أساس "أخبار الأيام" التى كتبها الكتبة زمن الهيكل الثانى (انظر نحميا ١٢ : ٢٢، والحشمونيين الأول ١٥: ٢٤) كما أن أسفار الملوك وصموئيل قد ألقت على أساس من "أخبار الأيام" التى كانت مكتوبة بواسطة كتبة الملوك زمن الهيكل الأول، ولم يكن مؤلف هذه الأسفار عزرا أو نحميا بل كان المؤلف معاصرا ليهودا المكابي ويستنتج سبينوزا على أساس هذه الأبحاث النتيجة التالية : "حتى عصر المكابيين لم تكن الأسفار المقدسة قد أقرت"، وأن حكماء التلمود (الفريسيين) قد اختاروا هذه الأسفار من بين بقية الأسفار، وذلك زمن الهيكل الثانى ، ثم رتبوها ورفعوها لمرتبة الكتابات المقدسة " (رسالة فى اللاهوت والسياسة، الفصل الحادى عشر) .

هذا هو رأى سبينوزا باختصار بشأن تاريخ تكوين أسفار العهد القديم وجمعها داخل الكتابات المقدسة، وسوف نرى فيما بعد أن بعض استنتاجاته استمرت بعينها بعد مئات السنين من التطور العلمى، غير أنه بنفس الطريقة التى تفوق بها سبينوزا على معاصريه بفضل آرائه لم تترك أقواله الانطباع الملموس فى زمنها، ولم يكن جيله مؤهلاً لتقبل آرائه بسبب ملاحظاته وتجديداته فى نقد العهد القديم، ولم يكن صوت سبينوزا مسموعاً وسط الجمهور العبرى، وفى داخل الدوائر الكنسية لم يكن الموضوع مؤهلاً لمثل هذا البحث، وبقي سبينوزا وحيداً ومنعزلاً، وأقواله ذهبت أدراج الرياح .

١٠ - معاصرو سبينوزا

وحاول القليل من معاصريه أن يقتفوا أثره، غير أنهم استمروا منعزلين فى مكانهم، ولم يقدر العديد من معاصريه، وكذلك أبناء الجيل الذى جاء بعده ، على أن

يسيروا فى أعقابها، ومرة ثانية توجد شواهد لتدهور بحث العهد القديم حتى عند الباحثين الأكثر تقدماً فى تلك العصور.

وقد اهتم الفيلسوف الإنجليزى هوبز واللاهوتى الفرنسى دى - برير، المعاصران لسبينوزا بالبحث فى علم العهد القديم مصادفة، وكانت أبحاثهما قليلة بسبب أبحاثهما فى المجالات الأخرى . ووجد هوبز أن التوراة لم تكتب بواسطة موسى، وأن سفر يشوع لم يصدر من قلم يشوع ، وأن قسماً كبيراً من الكتابات المقدسة ، كتب زمن السبى البابلى أو بعد العودة إلى فلسطين (على سبيل المثال مثل الإصحاح (٧٩) الذى كتب زمن انطيوخوس)، وأما دى . ل برير فقد نقد التوراة من وجهة النظر الأدبية ، وتوصل إلى رأى عام وهو : أن التوراة لم تكن عملاً واحداً وكاملاً ، بل إنها عمل مركب ومؤلف من أجزاء مختلفة .

وقد ألف الباحث الفرنسى سيمون كتاباً مهماً فى تاريخ بحث العهد القديم، وقد جاء سيمون بعد سبينوزا، وقرأ أقواله، وعرف تاريخ التفاسير منذ العصور القديمة كما عرف أيضاً أقوال المفسرين العبريين . وعلى أساس البحث الفيلولوجى المسهب نحض التهمة الكاذبة التى تدعى أن اليهود "عدلوا" عمداً نسخة التوراة فى العصر الوسيط ، وبذل جهداً ليوضح أن نص الماسورا الموجود لدى اليهود أكثر صحة من النص السامرى أو الترجمة السبعينية ويعد ذلك نقد الترجوميم الكثيرة المتوافرة عندنا، واستعرض تاريخ التفاسير العبرية والنصرانية ، وأعلن للعالم النصرانى الكثير من تفاسير المفسرين العبريين ، غير أن سيمون فى فهمه العام لتاريخ الكتابات المقدسة وتكوينها لم يصل إلى نفس المستوى الذى وصل إليه سبينوزا بالفعل من قبل . كما يعترف بأن الصورة التى وصلت بها الكتابات المقدسة إلينا هى الصورة التى أعطاه لها عزرا والكتبة ويرى أن الأنبياء الذين بواسطتهم كتبت هذه الأقوال بصورة أساسية ، هم أنفسهم كتبة المملكة الرسميون ، الذين كان عملهم جمع قوائم المملكة ، سواء التى كتبت بواسطتهم أو التى كتبت بواسطة غيرهم . وطبقاً لرأيه فإن عزرا والكتبة أقاموا بناءهم الأدبى على أساس تلك المادة التى كتبت بواسطة رجال عديدين وتم جمعها بواسطة الأنبياء .

غير أن هؤلاء الباحثين القليلين والمتفرقين ، لم يبلغوا كلية درجة فهم سبينوزا، ولم يستطيعوا الاستمرار فى بحث العهد القديم بعيداً عن الطريق المرسوم . وبعد فترة طويلة من البحث الشاق حول أدق التفاصيل وحول التشكيل وشروح أجيال كاملة، أصبح من المحتمل الوصول رويداً رويداً إلى العديد من النتائج .

القسم الثاني

النقد العلمي

الفصل السابع

نظرية المصادر

ويضم المصدر الثاني (ب) ما يلي :

الإصحاحات ٢: ٤-٢٤ : ٣ : ٤ : ٦ : ٨ : ١٧ : ١ = ١١-١٨ ، ٢١ ، ٢٤ :
٢٠-٢٢ : ١١٩ : ١٣-١٨ ، ٢٧ (٢٨ ، ٢٩) : ١٠ : ١١-١٩ : ٩ ، ٢٧ : ٣٢ : ١٢ :
١٣ : ١٥ : ١٦ : ١٧ : ٢ = ١٨ : ١٩-٢٨ : ٣٠ : ٢١ : ٣٣ : ٣٤ : ٢٢-١١ : ١٩ : ٢٤ :
٢٥ : ١٩ : ٣٤ : ٢٦ : ١-٢٦ : ٣٣ : ٢٧ : ٢٨-١ : ٥ ، ١٠ : ٢٢ : ٢٩ : ٣٠ : ٢٤ : ٤٣ : ٣١ : ١-٣ :
٤٨-٥٠ : ٣٢ : ٤-٢٤ : ٣٣ : ١٧ : ٢٠ : ٣٨ : ٢٩ : ٤٩ : ١-٢٨ ، من سفر التكوين .

وبالإضافة إلى ذلك توجد بعض الأجزاء التي لا تدخل في نطاق أحد هذين المصدرين ، وتستخدم هذه الأجزاء أسفاراً صغيرة قائمة بذاتها (مثل قصة لوط وبناته ، قصة شكيم ودينا ، قصة نساء عيسو وغير ذلك) ، وتعالج معظم هذه الأجزاء تاريخ شعوب أخرى ، وطبقاً لرأى أستروك فقد كانت لهذه الأجزاء مصادر صغيرة وعديدة أحصاها في عشرة وهي : ج ٧ : ٢٠ : ٢٣ : ٢٤ : ٣٥ : ٢٨-٢٩ : هـ ١٤ : و ١٩ : ٢٩-٣٧ : ز ٢٢ : ٢٠-٢٤ : ح ١٨-١٢ : ط ٢٤ : ي ٢٦ : ٣٤-٣٥ : ل ٣٦ : ١-٢١ : ٣١-٤٣ : ل ٢٥-٣٠ وتلقاها موسى بلغة غير العبرية ، من الشعوب الأخرى التي تجول بينها . وقد حاول أستروك أن يحدد مؤلف كل مصدر من المصادر ، وعلى سبيل المثال يقترح التصور بأن عيرام أبى موسى مؤلف للمصدر (أ) ، غير أنه لم يحدد أساساً لهذا التصور . ومن حيث الأساس كان أستروك واثقاً أنه بتجديده هذا قد نجح في تفسير التناقضات واستئصال الأسباب التي أدت إلى التصور بأن موسى لم يؤلف التوراة ، منذ ذلك الحين وما بعده لن يكون هناك إنسان ذو عقل يشك في حقيقة الماسورا . ولم يعلم أنه بكتابه هذا الذي هدف من خلاله إلى أن ينكر نقد العهد القديم لأجل الرب ، قد أضاف لنقد العهد القديم جرأة وقوة وأن مستقبل النقد دار في هذه الدائرة ، ووصل بها للمجال العلمى . وبعد كتاب أستروك من الكتب النادرة في الأدب العالمى والتي أدت إلى ظهور العديد من الآراء والكتب التي لا تزال تظهر منذ ذلك الوقت وحتى الآن .

٣ - أسلوب أيشهورن

وبالتأكيد لم يتم الترحيب بهذه الآراء . فقد أعلن ميخائيليس أعظم المتحدثين من بين عارفى العهد القديم فى ذلك العصر مصادرة كتاب أستروك ، واستهزأ به الساخرون فى ذلك العصر ، ولولا أن أيشهورن قد جاء بعد أستروك وأثنى عليه وسأنده ، لبقيت تصورات أستروك مجهولة . وقد كان أيشهورن واثقاً - أيضاً - أن موسى ألف التوراة فى صورتها الحالية ، وإن لم تكن لديه القدرة لإظهار صدق دفاعه بوضوح ، فلا

يعود ذلك إلى أن الفترة التي تفصل بيننا وبين موسى كبيرة فقط ، بل لأنه لم يبق عندنا من ذلك الجيل أى شئ باستثناء أسفار التوراة . ويدين أيشهورن بالفضل لأستروك أيضاً بشأن المصادر القديمة الرئيسية "الألوهيمي" و "اليهوي" اللذين منهما أُلّف سفر التكوين، واختلف معه اختلافات بسيطة بشأن بعض العبارات التي ينسبها أستروك إلى مصدر وينسبها هو لمصدر آخر ومرة أخرى استعرض سفر التكوين وقسمه قسمين : الأول يستخدم اسم الألوهية "ألوهيم" والثاني يستخدم اسم "الألوهية" "يهوه" ، ووضح بإسهاب الاختلافات اللغوية ، والصورة والخاصية الأدبية لهذين المصدرين الرئيسيين في سفر التكوين ، ولم يكتف بذلك ، بل واصل أبحاثه على بقية أسفار العهد القديم . وطبقاً لرأى أيشهورن فإن موسى تعامل بتقديس كبير مع أقوال المصادر القديمة ولم يغير أقوالها إلا عند الضرورة . وكما هو مألوف فإن موسى كان يختار ويدخل في كتابه أجزاء من نفس المصدر ويلغة المصدر بدون أن ينمقها أو يغيرها مطلقاً . وبسبب عدم الوضوح كان يعرض من المصدرين قصة واحدة مرتين في صياغتين . وأما أسفار التوراة الثلاثة الأخرى (الخروج ، اللاويين ، والعدد) فهي ليست سوى تجميع لمصادر صغيرة وعديدة جاءت بنفس ترتيبها ، بدأ موسى كتابتها سوياً على جبل سيناء ، وانتهى منها في صحراء مؤاب في عبر الأردن . وأما سفر التثنية فقد كتبه موسى في نهاية أيامه ، ولخص فيه كل عمله وعمل عصره .

٤ - ملاحظات هيردر الأدبية

وهكذا بدأ سفر الأسفار يتحرر خطوة تلو خطوة من قيود الماسورا ، ويعصف بسحابة غيوم العصر الوسيط التي نسجت حوله ، وكتب الباحث الانجليزي "لوت" "Lowth" كتاباً بشأن شعر العهد القديم ، وكشف لأول مرة عن طبيعة هذا الشعر بمطابقة الأجزاء التي تكون صورة شعرية (بيوطية) مألوفة . كما أن الشاعر والمفكر الألماني (الإشكينازي) هيردر تفحص في ثنايا الكتابات المقدسة من خلال وجهة النظر الأدبية ، ونظر إليها على أنها نتاج فنى لبنى إسرائيل لا يضاهيه شئ في سحره وحيويته . وتعمقت رؤيته من خلال بلاغة المواظ والرموز الواردة في سفر نشيد الأناشيد ، وقرر معالجتها على أنها مجموعة مختارة من صفوة أناشيد الحب في الأدب الإنساني كله . وتلخص هذه المجموعة روح جماعة بنى إسرائيل في عهد الصبا الزاخرة بنور سرى . وقد أدرك أن الأدب العبري القديم ، هو "الشعر الإنسانى في ميلاده" و "تغلغل فيه روح الطبيعة والحرية والكمال والبراءة" ، ولذلك يُسمع فيه

"صوت الرب السائر خلال الكتابات المقدسة". فأنزال هيردر بهذا قناع القداسة الذي غطى الكتابات المقدسة منذ القدم وأدخلها إلى العالم الدنيوي، ومع هذا لم تفسد ولم تتدهور عظمتها، بل على العكس برز السحر السرمدي لسفر الأسفار في ضوء جديد.

وظهر جوته في أعقاب هيردر وواصل جهوده وتشجع للوقوف على سر تأليف أقسام كاملة في العهد القديم، فقد قدم الوصايا العشر في سفر الخروج (٢٤: ١٤-٢٥) على القسم التقليدي لجبل سيناء في سفر الخروج (١٧: ١-٢٠) ورأى أن الأولى هي "الوصايا العشر" الأولى والمقدسة.

وبالنظرية التي ألفها أستروك مع تلك الرؤى الأدبية تقدم وتطور أيضاً أسلوب بحث العهد القديم وبالفعل قد رأينا من قبل أن أستروك ومن بعده أشهرون قد قسما التوراة إلى مصدرين أساسيين وعدد من المصادر الصغيرة المرتبطة بها وفي رأيهما كانت معالم الاختلاف بين المصدرين تعود إلى سببين: الأول خارجي يتمثل في ألقاب الألوهية المختلفة، والثاني داخلي، يتمثل في ازدواج الروايات، وعندما وجد النقاد رواية مكررة للمرة الثالثة في التوراة، نسبوا هذه الرواية لمجموعة جديدة الثالثة في رقمها من المصادر الصغيرة والكاملة بذاتها، وبما أن السلطة أعطت للباحث أن يقسم المصادر، فمرة ثانية لم يكتف بهذا التقسيم الأولي وواصل باحثو العهد القديم المتأخرون عمل الأوائل وكشفوا بنفس القوة مصادر جديدة لم تكن معروفة لأستروك وزملائه.

٥ - إجن والمصادر: اليهودى والألوهيمى الأول والألوهيمى الثانى

يعد ك. د. إجن الأول من بين الباحثين الكبار والأساسيين الذين ظهرُوا في أعقاب أستروك، وتوصل إجن إلى رأى عام وشامل أثناء نقده للمصدرين الأولين اللذين عزلهما أستروك من بين الكتابات المقدسة أى "الوثيقة الألوهيمية" و "الوثيقة اليهودية". ويتمثل هذا الرأى في أن أسماء الألوهية ليست هي التي تميز هذين المصدرين المتوازيين فقط، بل تختلف أيضاً خصائصهما الأدبية وعالمهما الدينى هذا عن ذاك، لذلك أصبح من الضروري ترسيخ نظرية المصدرين لتكون بمثابة قاعدة، ويصبح من المستحيل الشك فيها. قام إجن بفحص كل واحد من المصدرين على حدة، وفي الواقع، وجد أن "الوثيقة اليهودية" مجموعة أدبية واحدة وكاملة طبقاً لاتجاهها وصورتها، غير أن "الوثيقة الألوهيمية" (التي اعتبرها أستروك وزملاؤه سفرًا واحدًا بسبب عدم الازدواجية فيها، ولأنها تلقب بالألوهيمية باسم إلهيم)، ليست "وثيقة واحدة" بل تتضمن داخلها مصدرين مختلفين ومتميزين، ليس بينهما تطابق إلا في

اسم الألوهية فقط، ويوجد بينهما فى الواقع اختلاف دينى وأدبى يميز بينهما . ووصف إلجن بمهارة فائقة وخبرة خبير الصور الأدبية لكل مصدر من المصادر الثلاثة التى وجدها، وأطلق على الأول منها اسم "الوثيقة اليهودية"، وهذا يعنى السفر الذى يلقب الألوهية باللقب "يهوه"، والمصدران الآخران "الألوهيمى الأول" و "الألوهيمى الثانى"، حيث يستخدمان الاسم "إلوهيم" للدلالة على الألوهية.

٦ - مستوى المصادر

فى الوقت الذى يبتعد فيه "الألوهيمى الأول" عن "اليهوى" فى مضمونه وصورته، فإن "الألوهيمى الثانى" قريب فى اتجاهه جداً من "اليهوى" على الرغم من اختلاف أسماء الألوهية . وكانت نتائج تلك الملاحظات لإلجن مؤسسة على نماذج أولية رائعة . وقد أخذ إلجن من المصدر الألوهيمى عند أستروك الإصحاح الخامس "هذا سفر مواليد آدم" وقابله بقطعة موازية له فى المصدر اليهوى سفر التكوين (٤) "وعرف آدم حواء . ولم تكن فقط أسماء الألوهية التى تميز هاتين القصتين ، بل هناك بلا شك اختلاف داخلى قوى ثابت بينهما . فطبقاً لأقوال المصدر اليهوى (الإصحاح الرابع) توجد ثمانية أجيال من آدم وحتى نوح، ودعى اسم أبى حنوك قايين، وبشأن علاقة حنوك بإله لم يقص أى شئ مطلقاً ، واسم ابن حنوك عيراد، وكان أبو لامك متوشيل، ووفقاً لأقوال المصدر الألوهيمى (الإصحاح الخامس) فقد كانت الأجيال من آدم وحتى نوح عشرة أجيال، وأن حنوك ولد يارد، وسار حنوك فى طرق الرب وأخذه الرب ، ودعى اسم ابن حنوك متوشالغ وولد متوشالغ لامك . ليس هذا فقط فحسب ، بل إن كل أسلوب الاحصاء مختلف . فالمصدر اليهوى يروى عن رجال أحياء أصحاب طبائع وأفعال، وأعمالهم مذكورة : فقايين قتل هابيل وخرج هائماً على وجه الأرض، وابنه حنوك مشيد مدينة، وكان للامك امرأتان ، وكان ابنه يابال أبى ساكنى الخيام، ويويال ابنه كان أبى كل عازف كمان، وتويال - قايين كان مصقل النحاس . وتعكس هذه الروايات ثمار نقاج جيل زاهر بالحياة ونشاط فى وجوده . أما فى المصدر الألوهيمى توجد قائمة جافة تتكون من عشر مواد، كل واحدة تشبه الأخرى فى كل شئ ومعدة على أساس نظام عمل واحد : وعاش فلان كذا وكذا سنة وولد فلان، وعاش فلان بعد ميلاد فلان كذا وكذا سنة وولد بنين وبنات، وكانت كل أيام حياة فلان كذا وكذا سنة . يتكرر هذا الترتيب فى صيغة واحدة مرة تلو الأخرى دون أى تغيير . وحقاً توجد هوة أدبية شاسعة بين هذه القطعة فى المصدر الألوهيمى وبين تلك القطعة الموازية لها فى المصدر اليهوى .

ونختار لأنفسنا نموذجاً آخر للموازنة. نختار على سبيل المثال من "المصدر
 الألوهيمي" لأستروك الرواية الخاصة بإبراهيم وأبيمالك في جرار (التكوين ٢٠)
 والقطعة الموازية لها في "السفر اليهودي" بشأن إسحاق وأبيمالك في جرار (التكوين
 ٢٦). فيها هي تلك بعض أسماء الأبطال مختلفة. فأبيمالك هو نفسه، وكذلك جرار، غير
 أن هناك ذكر إبراهيم، وهنا ذكر إسحاق (ولا يوجد أى تطابق فى التفاصيل (فهناك
 تحدث الرب لأبيمالك فى الحلم، وهنا "وأشرف أبيمالك...من الكوة"، وهناك أجاب
 إبراهيم أبيمالك على أقواله، أما هنا فلم يجب إسحاق مطلقاً). ومع ذلك لا يوجد
 بينهما أى اختلاف أدبى جوهرى وداخلى آخر، باستثناء اختلاف اسم الألوهية. لذلك
 يقول إلجن: إن "المصدر الألوهيمي" قريب فى روحه للمصدر اليهودي، وأن المصدر
 الألوهيمي عند أستروك ليس مصدراً واحداً وتاماً ومستقلاً بذاته بل يتضمن داخله
 مصدرين: أحدهما يعرف عند إلجن باسم "الألوهيمي الأول" وهو بعيد فى روحه عن
 المصدر "اليهودي"، والثانى يعرف باسم "الألوهيمي الثانى" وهو قريب لليهودى فى
 اتجاهه.

وبهذا احتل بحث العهد القديم موقفاً جديداً بعد النجاح الأول الذى تحقق فى
 عصر أستروك. ومنذ ذلك الحين لم يعد الحديث بالفعل عن مصدرين بل عن ثلاثة
 مصادر أى المصدر اليهودي والمصدر الألوهيمي الأول (أو المصدر القديم) والمصدر
 الألوهيمي الثانى (أو المصدر الأحدث).

وباتجاه إلجن إلى تقسيم سفر التكوين حسب مصادره وتحديد الدقيق لمضمون
 كل مصدر من المصادر، وجد أن المصدر الألوهيمي القديم بقى بكامله إلى حد بعيد،
 وحُفظ بدرجة أقل منه المصدر الألوهيمي الأحدث، وأقل منهما المصدر اليهودي. وهكذا
 قسم إلجن سفر التكوين إلى سبع عشرة قطعة مختلفة، عشر قطع منها تدخل فى
 نطاق المصدر الألوهيمي الأول، وخمس قطع فى نطاق المصدر الألوهيمي الثانى،
 وجزءان للمصدر اليهودي. وعند تركيب السفر وضع المصدر الألوهيمي الأول، وعلى
 أساسه نشأت بعد ذلك ويمثابة طبقات مميزة بقية أجزاء المصدرين، واقتصر عمل
 مؤلف سفر التكوين على تبويب تلك الأجزاء وضمها سوياً.

ولا يزال إلجن داخل نظرية المصادر وتوصل إلى أن السبع عشرة قطعة التى
 أحصاها لم ينظر إليها على أنها سبعة عشر مصدراً مختلفاً، بل بمثابة أجزاء لثلاث
 مجموعات استخدمت بكاملها كمصادر لمؤلف التوراة. وطالما أنه كان من الضرورى -
 قبل أى شئ - تقسيم السفر إلى أجزاء من أجل الوقوف على ارتباطها بتلك المجموعة

أو بأخرى ، فمرة ثانية اختفت وصارت غامضة نظرية الصورة الذاتية للمصادر الثلاثة الرئيسية لمجموعة الأجزاء . وبما أن علامات التمييز بين تلك القطع لم تكن واحدة بصورة أكيدة عند إلجن ، بل ميز بينهم على أساس الحجم وقوة ترجيح رأيه فحسب ، لذلك كان من السهل التنبأ بأن البحث فى تطوره سوف يضيف إلى عدد الأجزاء ، أضعافاً مضاعفاً ، وأن نظرية المصادر الرئيسية تذهب بلا رجعة وتضعف أمام نظرية الأجزاء التى تولد فى أحضانها وبالتأكيد فقد أضاف أصحاب نظرية الأجزاء فكرة تفتيت المصادر .

٧ - جديس وفيتير

كان ألكسندر جديس الأسكتلندى باحثاً ومفكراً شجاعاً ، كما كان كاهناً كاثوليكياً ، ووجد فى نفسه الشجاعة على إعلان أن موسى لم يكتب التوراة ، وأن العهد القديم المتوافر حالياً ليس سوى مجموع أقسام وأجزاء غير مرتبطة مع بعضها البعض ، وأنه نتاج أجيال وأنواع مختلفة جمعت ونظمت سوياً من قبل محرر متأخر . فأعلنت الكنيسة الكاثوليكية مقاطعة ذلك الكاهن "الكافر" ونفته من وظيفته ، كما قاطعت الكنيسة البروتستانتية كتابه . غير أن نظريته - نظرية الأجزاء - اكتسبت تشجيعاً من كل صوب ، وقام أصحاب تلك المدرسة وقسموا وفتتوا المصادر إلى درجة كبيرة جداً . وبالفعل رأينا من قبل أن أسترون قد وجد فى سفر التكوين اثني عشر قسماً ، وجاء إلجن وأوصلها إلى سبعة عشر . ثم جاء فيتير تلميذ جديس وأوصلها إلى تسعة وثلاثين قسماً . وعلاوة على ذلك ، لم يكتف فيتير بسفر التكوين فحسب ، بل انتقل ليفتت بقية أسفار التوراة الأربعة ، ومن يستطيع أن يحصى عدد الأجزاء التى يجدها فيها ؟ يستنتج من بحث أصحاب "نظرية الأجزاء" : أن التوراة التى أمامنا ليست سوى مجموع أجزاء منعزلة وعديدة منها "الأجزاء الطويلة ومنها القصيرة ومنها الضئيل جداً" ، بدون أن يكون هذا المجموع منسجماً ، أو يكون مرتباً تاريخياً . وطبقاً لرأى جديس وفيتير وهيرتمان فإن الجامع المتأخر الذى عاش زمن السبى البابلى قد خاف أن يضيع من جماعة بنى إسرائيل أى جزء قديم من بقايا النتاج القديم ، لذلك جمعها كلها كما هى وأدخلها بصورتها داخل مؤلفه .

فروايات العهد القديم التى سحرت القلوب بجمالها ، ولم تتوقف طوال آلاف السنين عن إخضاع الأنفس بجمالها ويساطتها ، تحولت إلى كومة أقسام ، وأجزاء مختلفة ومتنوعة جمعت سوياً من مصادر عديدة ، وعصور مختلفة ، وتلك الأقسام كل جزء منها قسم مميز قائم بذاته ، بدون قرابة داخلية أو علاقة جوهريّة لجزء مع الآخر .

هل كان من الممكن لمثل هذه النظرية، التي فتحت التوراة تفتيتاً، أن تصمد وتثمر عن نتائج؟ فقد كان من الواضح أن هناك تعثراً في أسلوب النقد لا يؤدي إلى ضمان صحة النتائج، وأن تقسيم الأجزاء على أساس الحجم فقط وبدون قاعدة تاريخية ثابتة، ونسبته لأي مصدر من المصادر لا يمكن أن يقود إلى "النجاح العلمي".

٨ - دي - فته

حاول دي - فته الخروج من تلك الأزمة، وعلى الرغم من أنه كان في بداية حياته تلميذاً لفيتز ووفياً لنظرية الأجزاء، فقد بدأ أبحاثه من جديد ولم يؤسسها على أساس سفر التكوين الذي عمل عليه النقاد منذ أستروك. وادى ذلك إلى نظرية تعدد الأجزاء في بحث العهد القديم. وبدلاً من البحث عن الاختلافات والتناقضات بين أحداث التوراة؛ فقد سعى دي - فته لإيجاد مصدر ما كامل وثابت في العهد القديم، لا يترك مجالاً للشك في وحدته الداخلية. فظهر له سفر التثنية كوحدة واحدة كبيرة متميزة، تتشابه أقسامه وتتناسب كل قسم مع الآخر، كما أن الطابع الأدبي للسفر يختلف عن بقية أسفار التوراة الخمسة، ويميزه ليكون بمثابة عالم قائم بذاته. فلفغة السفر متميزة، وأساليب التعبير فيه مختلفة عن تلك المقابلة لها في الأسفار الأربعة الأولى، كما أن المناخ الفكري في أقواله مختلف بصورة مطلقة. فالاختلاف الجوهرى بين المصادر الثلاثة الأولى في الأسفار الأربعة قد زال واختفى وفقد في سفر التثنية، باستثناء الإصحاحات الأخيرة التي تتحدث عن موت موسى وبالفعل أدرك القدماء وحدة سفر التثنية وتميزه، وكفى أن نذكر من ذلك ملاحظات وافتراضات أيشهورن وسببنوزا، كما نجد إشارات إلى مثل هذه الملاحظات في التلمود. علاوة على ذلك فإن الماسورا ذاتها تميز "تثنية التوراة" عن الأسفار الأربعة الأولى، كما أن التوراة حددت إعطاه في موضع خاص، وزمن متأخر، أى في صحراء مؤاب، وبالقرب من عصر موت موسى.

٩ - مصدر التثنية : خصائصه وزمنه

ولكى نوضح لأنفسنا مدى صحة الرأي الذي يُخرج سفر التثنية من داخل حدود العهد القديم، ويجعله مصدراً خاصاً قائماً بذاته - هذا الرأي الذي ظهر عند باحثين سابقين لـ دي - فته ثم ظهر في صورة قوية في عصره وعلى يديه، حتى صار إرثاً ثابتاً داخل نتائج علم العهد القديم. فيجب أن نشير إلى مضمون هذا السفر باختصار، فالسفر يبدأ بمقدمة موجزة بتحديد المكان والزمان (١:١-٥) أين ومتى

ابتدأ موسى يشرح هذه الشريعة قائلاً ، "وفي أعقاب ذلك يأتى خطاب موسى" (٦:١) - ٤ : ٤٠) ويصف موسى باختصار شديد أمام سامعيه كل الذى حدث لهذا الشعب منذ أن تحدث يهوه "فى حوريب" حتى قدومهم إلى عبر الأردن "فى الجواء مقابل بيت فغور" ، وتوجه بدعوته إلى الشعب ليسمع "الفرائض والأحكام" "لكى تحيوا وتدخلوا وتمتلكوا الأرض" وليعملوا "فرائضه ووصاياه التى أنا أوصيك بها اليوم. وتحدث وقفة قصيرة عبارة عن ثمان عبارات " (٤ : ٤١-٤٩) ، تتحدث عن المدن الثلاث التى عزلها موسى ويعد مقدمة قصيرة لشريعة موسى "التي وضعها... أمام بنى إسرائيل" "فى عبر الأردن فى الجواء مقابل بيت فغور" ، يبدأ الخطاب الثانى لموسى والذى يتضمن كل الفرائض والأحكام "التي أتكلّم بها فى مسامعكم اليوم" (الإصحاحات ٥-٢٦) ، وذلك بعد ذكر أحداث تاريخية قصيرة وقد لاحظ القدماء فعلاً الاختلاف بين (٦:١٠-٩) وبقية أقوال الشريعة ، فهذه الفقرات تؤدى إلى خلل فى اكتمال الأقوال تدرّكه عيننا الناقد، وبدونها تسير الرواية هنا بدون ازدواج أو تناقض ، فالفقرة مرتبطة بالفقرة . وتمس القوانين نفسها بعض أسس الحياة والحاجات المختلفة لشعب استقر على أرضه ، وعلى أساسها كلها ترفرف الروح ، لأن إسرائيل "شعب مختار" . وتتركز الحياة ذاتها حول الموضوع الذى يختار يهوه إلهك ليسكن اسمه هناك وبعد أن أنهى موسى خطابه الطويل أعلن قائلاً : "قد واعدت الرب اليوم أن يكون لك إلهاً ... وواعدك الرب اليوم أن تكون له شعباً خاصاً" .

ثم يقصّ السفر ما يتعلق بوظيفة موسى ، وهى أن يكتب : كل أقوال الشريعة هذه على حجارة كبيرة وأن ينصب هذه الحجارة فى جبل عيبال (٢٧:١-٥) ويبنى هناك مذبحاً ليهوه وأن يقيم بعد ذلك ستة أسباط من إسرائيل على جبل عيبال ، وستة على جبل جرزيم ، ليبارك الشعب إذا سمع لقول يهوه ، ولعنه إن لم يسمع لقول يهوه " احفظوا جميع الوصايا التى أنا أوصيكم بها اليوم " ، وينهى قائلاً : " تلك أقوال العهد التى أمر يهوه موسى أن يقطعه لبنى إسرائيل فى أرض مؤاب، غير العهد الذى قطعه معهم فى حوريب" .

وبذلك ينتهى التيار الأدبى المتواصل والطبيعى والمتواصل من بداية السفر . أما الإصحاحات (٢٩، ٣٠) فتعود إلى أقوال الخطاب الثانى، والإصحاحات (٢١-٣٣) تحكى عن وفاة موسى وإعلان القيادة ليوشع وأنشودة موسى ويركته قبل موته . وفى هذه الإصحاحات الأخيرة نجد مرة ثانية ازدواجيات كثيرة وأصداء تناقضات . فالرواية الخاصة بموت موسى تكررت مرة ثانية وثالثة فى تلك الإصحاحات . هذا يجعلنا نلاحظ مرة ثانية فكر وطابع المصادر الثلاثة الأولى التى وجدت فى أسفار العهد القديم . يفهم

من ذلك بصورة مباشرة ، بأنه لم يستطع أى مصدر من المصادر تجاهل حدث كبير مثل حدث موت موسى.

هذا السفر لم يكتمل ويثبت على أساس مضمونه فقط ، بل مستقل - أيضا - على مستوى بينته التاريخية عن بقية الأسفار الأربعة . فالقوانين الكثيرة الخاصة بالقرابين والكهنة وخدمة اللاويين وعمل الهيكل ، والتي يزخر بها سفر اللاويين لا وجود لها فى سفر التثنية . والأقوال المتناثرة عن "الكهنة واللاويين" فى السفر ليست ذات قيمة بالنسبة للمضمون الأساسى للسفر . فالقوانين فى سفر التثنية ليست موجهة للكهنة أو أبناء هارون ، كما يوجد فى بقية الأسفار ، بل موجهة للشعب نفسه ، ومرتبطة بصورة واضحة وقطعية كأمر رسمي . ولذلك يقول دى - فته أن سفر "تثنية التوراة" مصدر كامل ومتميز فى حد ذاته باستثناء الإصحاحات الأخيرة وبعض الفقرات فى مادة السفر.

وهكذا نجح دى - فته فى أن يجد داخل تعدد الأجزاء فى التوراة مصدراً واحداً كاملاً متميزاً فى حجمه ، ومهما فى مضمونه مستخدماً بيئة قائمة بذاتها - وعلى إثر ذلك تحرر دى - فته من تعقيدات الأجزاء فاتحاً بذلك طريقاً جديداً فى تطور مستقبل علم العهد القديم.

١٠ - إصلاح يوشياهو ، واكتشاف "سفر العهد"

متى إذن ، وبواسطة من ألف هذا المصدر الكامل ؟ . ربما لنجح فى إيجاد أساس راسخ فى تاريخ إسرائيل عن زمن تأليف هذا السفر ، وعلى هذا الأساس الثابت ، ربما تصبح هناك إمكانية لاستمرار عمل هذا العلم إلى أبعد من ذلك ، وذلك بمقارنة بقية الأجزاء بهذا المصدر ، لتحديد أيها أقدم ولعرفة علاقتها الداخلية المشتركة التى تربط بينها وبينه ؟ . ووجد دى - فته لهذا السؤال إجابة وإقية بعد سلسلة من المحاولات العلمية المختلفة التى حددت أساساً ثابتاً لتوضيح ترتيب زمن كتابة مصادر العهد القديم.

ففى سفر الملوك الثانى (٢٢-٢٣) وصف تفصيلي عن عصر يوشياهو ملك إسرائيل . فى السنة الثامنة عشرة من حكمه ، جاء حلقياهو الكاهن إلى داخل هيكل يهوه لتقوية دعائم الهيكل وجد هناك "سفر الشريعة" "فمزق ملابسه" "لأن عظيم غضب يهوه ... أنه لم يسمع أبائنا أقوال هذا السفر ويعملوا كما هو مكتوب علينا" . وذهبوا ليسألوا خلدة النبية فقالت : "هكذا قال يهوه ها أنا جالب شر على هذا المكان وعلى سكانه كل أقوال السفر الذى قرأه ملك يهوذا" . فخاف الملك وخضع أمام يهوه

وأرسل وجمع : "كل شيوخ يهوذا وأورشليم" ، "وقرأ على مسامعهم أقوال العهد المكتوب في هذا السفر ودخل كل الشعب في العهد" ، "قطع عهداً أمام يهوه ليذهبوا وراء يهوه ويحفظوا وصاياه وشهادته وقوانينه ... لإقامة أقوال هذا العهد المكتوبة في هذا السفر ودخل كل الشعب في هذا العهد وأبعد عن الهيكل" ، "كل الأدوات المعمولة للبعل والسارية" ، "وحرقها خارج أورشليم" ، وجعلها غباراً وهدم بيوت المايونيين التي عند بيت يهوه ونجس المرتفعات، وهدم مرتفعات الأبواب وكسر التماثيل وقطع السراري ، ونجس المذابح ، وأباد السحرة والعرافين والترافيم والأصنام وجميع الرجاسات التي ظهرت في البلاد، وأمر بعمل الفصح في أورشليم ليقيم كلام الشريعة المكتوب في السفر الذي وجدته حلقياً الكاهن في بيت يهوه" .

إذن ما هذا السفر المبهم المعروف بـ "سفر الشريعة" الذي وجدته حلقياً هو في هيكل يهوه والذي على أساسه نظم الملك تلك الثورة الجوهريّة في الحياة الدينيّة والعقدية للشعب ؟.

من البديهي أن النص هنا لا يتحدث عن أسفار التوراة الخمسة . لأنه من المستحيل أن كل أسفار التوراة المشتملة على قرابة ستة آلاف فقرة تقرأ من أولها وحتى نهايتها "كل أقوال سفر العهد" مرتين في يوم واحد - مرة بواسطة شافان أمام الملك ، ومرة من قبل الملك على مسامع الشعب . لكن من المستحيل أيضاً تصور أن سفر العهد هذا سفر آخر وجد آنذاك مصادفة ، وفقد مرة ثانية ولم يصل إلينا . ألم يدعى "سفر العهد" وعلى أساسه قطع الشعب عهداً أمام يهوه ، وقرأه كل الشعب من الصغير وحتى الكبير" ، لذلك من المستحيل أن الأمر الذي تتمسك به جماعة إسرائيل تتناساه بعد ذلك ، في الوقت الذي اقتربت فيه من جمع كتاباتها المقدسة . ومنذ ذلك الحين يعتقد أن هذا السفر ليس سوى أحد أجزاء التوراة المتضمن داخل أسفار التوراة الخمسة .

إلا أن هناك تساؤلات عن : ما هذا السفر؟ وعن أين موضع "سفر العهد" الذي وجد في زمن يوشياهو - داخل الأسفار الخمسة ؟ وعن أي أجزاء التوراة يتحدث النص ؟.

١١- سفر الشريعة وتوراة الكهنة

يتضح من ثنايا الرواية أن السفر يتضمن في داخله لعنة قاسية على المكان وسكانه إن لم يحفظ الشعب الأحكام المذكورة فيه، لذلك ارتجف الملك ومزق ملابسه،

كما كانت أقوال خلدة النية قاسية إلى حد كبير .ونعرف من خلال أعمال يوشياهو أن "سفر العهد" أمر بإزالة المرتفعات والمذابح المنتشرة في يهوذا والسامرة، وتركيز العبادة في هيكل يهوه في اورشليم وعمل فصح ليهوه .تلك هي الأسس الثلاثة التي اتبعت في عصر يوشياهو "من أجل إقامة الشريعة المكتوبة في السفر الذي وجده حلقيا هو . "وفي أى أقسام التوراة توجد تلك الإشارات؟ .فسفر العهد القديم (الخروج ٢٠-٢٢) يؤكد بصريح العبارة أن "في هذا المكان الذى يذكر اسمى أتى إليك وأباركك"، والروايات الموجودة داخل المصدرين "اليهوي" و"اللاهيمي" تُحدد وتكرر : بأن الشعب سلك في تقديم القرابين خارج اورشليم وبني مذابح وأقام نصبا ، ولم يعتبر هذا الأمر فيهما خطيئته .

وعندما بدأ دى - فته فحص المصدر الجديد الذى ظهر داخل أسفار التوراة - سفر التثنية - وجد فيه كل تلك الإشارات التى أحصاها العهد القديم في "سفر الشريعة" الذى وجده حلقيا هو .ويمثابة حجر الأساس لكل القوانين التى قررها عند قدومه ليقرا أمام الشعب "الأحكام والقوانين التى تحفظونها لتعملوها" ، يؤكد موسى ويشدد "إلى المكان الذى يختار يهوه لكم من كل أسباطكم ليجعل اسمه فيه سكناه تطلبون وإلى هناك تجيئون" (التثنية ١٢: ٥، ١٤: ١٤)، وتباد تماما الأماكن المقدسة الموجودة باستثناء الهيكل المركزى .ويقص بالتفصيل "وتهدمون مذابحكم وتكسرون أنصابهم وتحرقون سواريتهم بالنار وتكسرون تماثيل آلهتهم وتحون اسمهم من ذلك المكان" (٣: ١٢) .

وأقام يوشياهو تلك الوصايا حرفيا (الملوك الثانى ٢٣: ٤-١٥) ويرد هنا بإسهاب وتفصيل ما يتعلق بشأن بقية القانون "لعمل فصح ليهوه" ، وتذبح ذبيحة الفصح في الموضع "الذى يختار يهوه إلهك ليسكن اسمه هناك" (التثنية ١٦: ٦) ووصية ذبح الفصح في الهيكل المركزى ، لم يرد عنها أى خبر مطلقاً في أحداث الفصح سواء في سفر العدد (٢٨: ١٦-٢٥) أو في سفر الخروج (١٤: ١٢-٢٠) .

وفي سفر الملوك الثانى يرد بإسهاب في الرواية عن يوشياهو "لأنه لم يعمل فصح كهذا للرب منذ عصر القضاة... لكن في السنة الثامنة عشرة لملك يوشياهو عمل هذا الفصح ليهوه في اورشليم" (الملوك الثانى ٢٣: ٢٢ - ٢٣) ولم يكن مجانا ارتجاف الملك يوشياهو من أجل "غضب يهوه الذى اشتعل علينا" ، بل إن سفر التثنية يتضمن في داخله تائيباً وتهديداً شديداً "إن لم تسمع كلام يهوه إلهك" (التثنية ٢٧-٢٨)، ولم يكن مصادفة أيضاً أن السفر الذى وجده حلقيا يكنى باسم "سفر العهد"

(٢٣: ٢١) لأن يتكرر في سفر التثنية بإسهاب أن يهوه قطع عهداً * معنا نحن الذين هنا اليوم جميعاً أحياء * (التثنية ٥: ٣) انظر أيضاً (١٧: ١٨-١٧).

وتدعم الأدلة الجانبية المستمدة من أدب ذلك العصر الرأى بأن سفر التثنية نُشر في عصر يوشياهو ، فنقرأ في سفر إرميا "هكذا قال يهوه إله إسرائيل أنا قطعت عهداً مع آبائكم ... قاتلاً في نهاية سبع سنين تطلقون كل واحد أخاه العبراني الذي بيع لك وخدمك ست سنين فتطلقه حراً من عندك " (إرميا ٣٤: ١٣-١٤) فمن يدري أن أقوال إرميا هذه معدة لتؤكد القانون في سفر التثنية : " إذا بيع لك أخوك العبري أو العبرانية وخدمك ست سنين ، ففي السنة السابعة تطلقه حراً من عندك " (التثنية ١٥: ١٢) ، وليس لتأكيد القانون الموازي في سفر الخروج والذي ينص : "إذا اشتريت عبداً عبرانياً " (الخروج ٢١: ٣) .

وفي الرواية عن أمصيا الذي عمل المستقيم في عيني يهوه يصف سفر الملوك الثاني (١٤) مفصلاً : "ولكنه لم يقتل أبناء القاتلين حسب ما هو مكتوب في سفر شريعة موسى "حيث أمر يهوه قاتلاً: " لا يقتل الآباء من أجل البنين ، والبنون لا يقتلون من أجل الآباء ، إنما كل إنسان يقتل بخطيئته (يموت) موتاً " ، ويعنى ذلك اقتباساً دقيقاً مأخوذاً حرفياً من سفر التثنية (١٦: ٢٤) .

ونسنتج من هذه الأقوال أن "تثنية التوراة "التي لاحظنا أنه مصدر منفصل ومتميز ومستقل هي نفسها سفر العهد الذي وردت الإشارة عنه في سفر الملوك الثاني، وأنه ظهر في السنة الثامنة عشرة لملك يوشياهو ، أي تقريباً حوالي (٦٢٣ ق.م) .

١٢- تدهور نظرية تعدد الوحدات

وعندما نجح دى - فته في استخلاص وحدة أحد أسفار التوراة ، وتحديد مجاله وزمن تأليفه بدأ الانتصار على نظرية تعدد الأجزاء في بقية أسفار التوراة وإيجاد نظام يربط بين الأجزاء والأقسام العديدة التي أحصاها من قبل أصحاب نظرية تعدد الوحدات .

القسم الثاني

النقد العلمي

الفصل الثامن

تحديد المصادر الأربعة

١ - دى - فته ومدرسته

بما أن دى - فته قد توصل للاعتراف بشأن سفر "التثنية" داخل تاريخ نظم العبادة فى إسرائيل ، فقد سعى مرة ثانية لأن يجد فى مسيرة الحياة الدينية مادة لبقية أبحاثه بشأن تاريخ العهد القديم ، وتشجع فى أن يوضح بنفسه أسلوب تطور العبادة ونظام الطقوس ، ودعم ذلك على أساس الصورة التاريخية فى نقده للعهد القديم ، ولذلك كشف دى - فته الاختلافات الداخلية بين سفرى أخبار الأيام وأسفار صموئيل والملوك ، مشيراً إلى أن هذا الاختلاف لا يظهر فى فقدان التطابق بين تفاصيل الروايات فحسب ، والذي توصل إليه بالفعل العديد من الباحثين السابقين ، بل إن صور الطقوس متأخرة بكل ما تحمل الكلمة من معنى كما هى موصوفة أمامنا ، وناجمة عن أقوال مصدرين مختلفين ، ويعيدين هذا عن ذلك فى الزمن والهدف .

والمعالجة التى عالج بها دى - فته سفر التثنية على أنه كله ذو أسلوب واحد ، وتسود فى أقواله لغة الأنبياء الثرية والمتعددة ، لذلك استمر بإحساسه النقدي فى ثنايا الكتابات المقدسة ولم يهتم فقط بالتناقضات والتكرار وفقدان المطابقة فحسب ، بل ليجد فى العديد منها الوحدة الأدبية الفنية الموجودة بالفعل ، مع التسليم والقبول بالنقص الموجود أحياناً ، وقد ثار بصفته ناقداً ثقة وخبيراً على علم أساتذته وابتعد عن نظرية الأجزاء العقلانية فى مجموعها ، والمتطرفة ، والباحثة عن أدق التفاصيل ، وانضم لدعمه سريعاً مجموعة من الباحثين الشباب ومرة ثانية دار الحديث عن أقوال مؤلفات كبيرة فى حجمها ، أى المصدر الألوهمى القديم والمصدر اليهودى المتأخر .

وعلاوة على ذلك فقد فاق دى - فته وتلاميذه بالوحدة الأدبية الكاملة أصحاب نظرية المصادر الأوائل (أستروك ، إلجن ، وغيرهما) السابقين على أصحاب نظرية الأجزاء . وقد لاحظ الأوائل أن التوراة كما هى مؤلفة من مصدرين - وقالوا بعد ذلك من ثلاثة مصادر - خاصين ومنعزلين الواحد عن الآخر ، ليس بينهما أى صلة ، ودمجاً سوياً بصورة متكلفة . أما أصحاب مجموعة دى - فته فقد قرروا : أن التأليف "اليهودى" ليس تأليفاً مستقلاً ، بل إن "اليهودى" جاء للارتباط بأقوال "الألوهمى" السابق له وليكملها ، وبذلك ابتدعت نظرية المصدر التكميلى .

٢ - إيفالد وتوخ

اهتم إيفالد الذى انضم إلى مدرسة دى - فته بإظهار أن سفر التكوين ، للذى

فتت أصحاب نظرية الأجزاء ، لا يمكن أن يكون تأليفا ميكانيكيا من مصادر متعددة فحسب ، لأنه رغم كل ذلك نشعر بوحدة أدبية فى مجموعه ، وأن كل المادة العديدة والوفيرة المجموعة فيه ، تتخذ صورة أدبية واحدة.

أما توخ الذى ظهر بعد إيفالده فقد قرر فى تفسيره لسفر التكوين قاعدة : أنه يوجد بالفعل أمامنا مؤلفان متميزان ، غير أن المتأخر منهما زاد وتمم أقوال المؤلف السابق له . ومن أجل ذلك فإنه يلقب "المصدر الألوهيمي" باسم "المصدر الأساسى" و"المصدر اليهودي" باسم "المصدر المتمم".

٣ - اكتمال سفر التثنية

وطبقاً لرأى أصحاب هذه النظرية ، فإن المؤلف الأول "للمصدر الأساسى" كان أحد الذين عاشوا فى عصر شافول ، وأما "المصدر المتمم" المتأخر فقد عاش كما يبدو ، فى عصر سليمان . وبعد أن رسخ أصحاب تلك النظرية وحدة سفر التثنية والوحدة الأدبية لسفر التكوين ، لم يكتفوا مرة ثانية بهذين السفرين فحسب ، بل حاولوا توسيع سيادة تلك النظرية على كل أسفار العهد القديم ووجدوا فيها كلها يدا واحدة ، أعدت وأكملت ونظمت المادة الأساسية القديمة بناءً على أسلوب دينى معروف وثابت.

وبذلك خرج علم العهد القديم مرة ثانية بعيداً عن عصر الأجزاء المبتدع مزودا بوسائل بحث جديدة ومكاسب إضافية .

وليس من اهتمامنا عرض كل سبل صراع تطور علم العهد القديم ، وتفصيل تفاصيل ارتقائه وهبوطه . لكن الهام هنا تلك الحركات العلمية التى قادت علم العهد القديم حتى ساد ونمت ثروته . لذلك نتجاهل طرق البحث التى بذلت جهداً فى التأمل النظرى بين نظرية المصدر المكمل القائمة ، وبين ملحق نظرية الأجزاء وازدهار النظرية الجديدة للمصادر ، لنصل إلى العصر الذى ظهر فيه هويقلد الذى ارتقى بعلم العهد القديم لدرجة جديدة .

٤ - المصدر الأساسى والمصدر المكمل

لم يحقق الفكر النقدي الطمانينة بسبب العثرات الموجودة فى "الألوهيمي" عند نظرية المصدر المكمل . وعلى أساس نظرية المصدر المكمل تضاعفت قيمة اليهودى بصفته مؤلفاً ، ونسبت إلى المصدر المكمل وظيفتان جديدتان ومميزتان ، هما : مهمة المحرر

ومهمة المكمل ، وضخموا الوظيفة الأولى وطوروا في الثانية .وعلاوة على ذلك ابتعد أصحاب نظرية المصدر المكمل برأيهم عن أقوال الباحثين السابقين ، الذين اضطروا لتقسيم المصدر الألوهيمي لمصدرين (إلجن)، وتحدثوا عن "المصدر الأساسي" ، بمثابة مؤلف واحد وكامل ، كما لو كان كله "قطعة متجانسة" .

٥ - خلل نظرية المكمل

وعندما بدأ هوبفلد في إظهار نظرية أصحاب المصدر المكمل إلى حيز التنفيذ، والتمييز بين الطبقة الإضافية لليهوى المكمل وبين المصدر الأساسي للإلوهيمي توصل على الفور لعيوبهما سوياً .فقد وجد داخل الجزء المكمل مادة جديدة ليس لها أى إشارة داخل المصدر الأساسي ، لذلك من المستحيل الحديث عنها ، لأنها ليست مكملة فقط وليست مؤلفاً قائماً بذاته .والى هذا الحد لا يمكن تصور أن اليهوى مكمل فحسب . ويظهر ذلك النموذج بوضوح فى قسم الطوفان فى سفر التكوين(٦-٨) . فقد كان أصحاب نظرية المصدر المكمل يتبعون فى هذا القسم التمييز بين المصدر الأساسي والمصدر المكمل على هذه الصورة، بأن هذا الحدث وجد فى المصدر الأساسي، وأن المكمل اليهوى أضاف عليها فقط : ١-٨ : ٧-١٠ : ١٦ب : ٨ : ٢٠-٢١ .

٦ - هوبفلد وتجديداته

إلا أنه عندما جاء هوبفلد وبدأ فحص ذلك وجد أن أقوال اليهوى تشمل فى داخلها رواية كاملة ومميزة وغير مرتبطة كلية بالمصدر الألوهيمي، ولذلك قرر :

المصدر الألوهيمي	المصدر اليهوي
الإصحاح السادس	٥- ورأى الرب أن شر الإنسان قد
٩- هذه مواليد نوح . كان نوح رجلاً	كثراً فى الأرض . وأن تصور كل أفكار قلبه
باراً كاملاً فى أجياله . وسار نوح مع الله .	أما هو شرير كل يوم . ٦- فحزن الرب أنه
١٠- وولد نوح ثلاثة بنين ساماً وحاماً	عمل الإنسان فى الأرض . وتأسف فى قلبه
ويافثاً . ١١- وفسدت الأرض أمام الله	٧- فقال الرب أمحو عن وجه الأرض
وامتلأت الأرض ظلماً . ١٢- ورأى الله	الإنسان الذى خلقته مع بهائم ودبابات
الأرض فإذا هى قد فسدت . إذ كان كل	وطيور السماء . لأنى حزنت أنى عملتهم

بشر قد أفسد طريقه على الأرض .
 ١٣- فقال الله لنوح نهاية كل بشر قد
 أنت أمامي . لأن الأرض امتلأت ظلما
 منهم فيها أنا مهلككم مع الأرض . ١٤-
 اصنع لنفسك فلكا من خشب جفر .
 تجعل الفلك مساكن وتطليه من داخل
 ومن خارج بالقار . ١٥- وهكذا تصنع
 ثلاث مئة ذراع يكون طول الفلك
 وخمسين ذراعا عرضه وثلاثين ذراعا
 ارتفاعه . ١٦- وتصنع الفلك وتكمله
 إلى حد ذراع من فوق . وتصنع باب
 الفلك في جانبه . مساكن سفلية
 ومتوسطة وعلوية تجعله . ١٧- فيها أنا آت
 بطوفان الماء على الأرض لأهلك كل جسد
 فيه روح حياة من تحت السماء كل ما في
 الأرض يموت . ١٨- ولكن أقيم عهدي
 معك فتدخل الفلك أنت وبنوك وامراتك
 ونساء بنيك معك . ١٩- ومن كل حي من
 كل ذى جسد اثنين من كل تدخل إلى
 الفلك لاستبقائها معك . تكون ذكرا
 وأنثى . ٢٠- من الطيور كأجناسها ومن
 البهائم كأجناسها . ومن كل دبابات
 الأرض كأجناسها . اثنين من كل تدخل
 إلى الفلك . ٢١- وأنت فخذ لنفسك من
 كل طعام يؤكل واجمعه عندك . فيكون

٨- وأما نوح فوجد نعمة في عيني الرب .
 الإصحاح السابع :

١- وقال الرب لنوح ادخل أنت
 وجميع بيتك إلى الفلك . لأنني إياك رأيت
 بارا لدي في هذا الجيل . ٢- من جميع
 البهائم الطاهرة تأخذ معك سبعة سبعة
 ذكرا وأنثى . ومن البهائم التي ليست
 بطاهرة اثنين ذكرا وأنثى . ٣- ومن طيور
 السماء أيضا سبعة سبعة ذكرا وأنثى .
 لاستبقاء نسل على وجه الأرض .
 ٤- لأنني بعد سبعة أيام أيضا أمطر على
 الأرض أربعين يوما وأربعين ليلة .
 وأمحو عن وجه الأرض كل قائم عملته .
 ٥- ففعل نوح حسب كل ما أمره به
 الرب . ١٠- وأحدث بعد السبعة أيام .
 ١٢- وكان المطر على الأرض أربعين يوما
 وأربعين ليلة . ١٦ ب وأغلق الرب عليه .
 ٢٣- فمحا الله كل قائم كان على وجه
 الأرض ، الناس والبهائم والدبابات وطيور
 السماء . فامحيت من الأرض . وبقي نوح
 والذين معه في الفلك فقط .

الإصحاح الثامن :

١٦- وأحدث من بعد أربعين يوما .
 ٧- وأرسل الغراب فخرج مترددا حتى
 نشفت المياه عن الأرض . ٢٠- وبني نوح
 مذبحا للرب . وأخذ من كل البهائم

لك ولها طعاما . ٢٢ - ففعل نوح حسب كل ما أمره به الله . هكذا فعل .

الإصحاح السابع

٦ - ولما كان نوح ابن ست مئة سنة صار طوفان الماء على الأرض . فدخل نوح وبنوه وامراته ونساء بنيه معه إلى الفلك من وجه مياه الطوفان . ٨ - ومن البهائم الطاهرة والبهائم التي ليست بطاهرة ومن الطيور ومن كل ما يدب على الأرض . ٩ - دخل اثنان اثنان إلى نوح إلى الفلك ذكرا وأنثى . كما أمر الله نوحا . ١٠ - في سنة ست مئة من حياة نوح في الشهر الثاني في اليوم السابع عشر من الشهر في ذلك اليوم انفجرت كل ينابيع الغمر العظيم وانفتحت طاقات السماء . ١٣ - في ذلك اليوم عينه دخل نوح وحام وسام ويافث بنو نوح وامرأة نوح وثلاث نساء بنيه معه إلى الفلك . ١٤ - هم وكل الوحوش كأجناسها وكل البهائم كأجناسها وكل الدبابات التي تدب على الأرض وكل الطيور كأجناسها كل عصفور ذى جناح . ١٥ - ودخلت على نوح إلى الفلك اثنين اثنين من كل جسد فيه روح حياة . ١٦ - والداخلات دخلت ذكرا وأنثى من كل ذى جسد كما أمره الله . ١٨ - وتعاضمت المياه وتكاثر

الطاهرة ومن كل الطيور الطاهرة . وأصعد محرقات على المذبح ٢١ . - فتنسم الرب رائحة الرضا . وقال الرب في قلبه لا أعود ألعن الأرض أيضا من أجل الإنسان لأن تصور قلب الإنسان شرير منذ خلقته . ولا أعود أيضا أميت كل حي كما فعلت . مدة كل أيام الأرض من زرع وحصاد وبرد وحر وصيف وشتاء ونهار وليل لا تزال .

جدا على الأرض . فكان الفلك يسير على وجه المياه . ١٩- وتعاظمت المياه كثيرا جدا على الأرض . فتغطت جميع الجبال الشامخة التى تحت كل السماء . ٢٠- خمسة عشر ذراعا فى الارتفاع تعاظمت المياه . فتغطت الجبال . ٢١- فمات كل ذى جسد كان يدب على الأرض . من الطيور والبهائم والوحوش وكل الزحافات التى كانت تزحف على الأرض وجميع الناس . ٢٢- كل ما فى أنفه نسمة روح حياة من كل ما فى اليابسة مات .

الإصحاح الثامن :

١- ثم ذكر الله نوحا وكل الوحوش وكل البهائم التى معه فى الفلك وأجاز الله ريحا على الأرض فهدأت المياه . ٢- وانسدت ينابيع الغمر وطاقات السماء . فامتنع المطر من السماء . ٣- ورجعت المياه عن الأرض رجوعا متواليا . وبعد مئة وخمسين يوما نقصت المياه . ٤- واستقر الفلك فى الشهر السابع فى اليوم السابع عشر من الشهر على جبل أراط . ٥- وكانت المياه تنقص نقضا متواليا إلى الشهر العاشر . وفى العاشر فى أول الشهر ظهرت رؤوس الجبال . ٦- وفتح نوح طاقة الفلك التى كان قد عملها . ٨- ثم أرسل الحمامة من عنده

ليسرى هل قلت المياه عن وجه الأرض .
 ٩- فلم تجد الحمامة مقرا لرجلها .
 فرجعت إليه إلى الفلك . ١٠- فلبث أيضا
 سبعة أيام آخر وعاد فأرسل الحمامة من
 الفلك . ١١- فأنت إليه الحمامة عند
 المساء وإذا ورقة زيتون خضراء فى فمها .
 فعلم نوح أن المياه قد قلت عن
 الأرض . ١٢- فلبث أيضا سبعة أيام آخر
 وأرسل الحمامة فلم تعد ترجع إليه أيضا .
 ١٣- وكان فى السنة الواحدة والست مئة
 فى الشهر الأول فى أول الشهر أن المياه
 نشفت عن الأرض . فكشف نوح الغطاء
 عن الفلك ونظر فإذا وجه الأرض قد
 نشف . ١٤- وفى الشهر الثانى فى اليوم
 السابع والعشرين من الشهر جفت
 الأرض . ١٥- وكلم الله نوحا قائلا : ١٦
 - اخرج من الفلك أنت وامراتك وبنوك
 ونساء بنيك معك . ١٧- وكل الحيوانات
 التى معك من كل ذى جسد والطيور
 والبهائم وكل الدبابات التى تدب على
 الأرض أخرجها معك . ولتتوالد فى الأرض
 وتثمر وتكثر على الأرض . ١٨- فخرج نوح
 وبنوه وامراته ونساء بنيه معه . ١٩- وكل
 الحيوانات كل الدبابات وكل الطيور كل ما
 يدب على الأرض كأنواعها خرجت من
 الفلك .

أمامنا روايتان كاملتان غير مرتبطتين الواحدة بالأخرى مطلقاً، وتفصيليهما
ولغة أقوالهما مختلفة ؛ ففي الرواية الأولى أدخل اثنين اثنين من الأحياء والبهائم
والطيور ، وفي الثانية سبعة سبعة من الطاهرة واثنين من غير الطاهرة . وفي الأولى
نزل الطوفان مئة وخمسون يوماً ، وفي الثانية نزل المطر أربعون يوماً . وفي الأولى
أرسل الحمامة وفي الثانية الغراب . وفي الرواية الأولى الأعداد والسنوات دقيقة
ومسببة، متى بدأ الطوفان يهبط؟ ومتى تزايدت المياه؟ وكيف تزايدت؟ ومتى بدأت في
الانحسار؟ ومتى هبطت السفينة وأين؟ ومتى ظهرت رؤوس الجبال؟ ومتى انغمرت
الأرض؟ ومتى يبست؟ والكل بالتحديد في اليوم والشهر والسنة . أما في الرواية
الثانية فليس هناك أى إشارة لأسلوب هذا العمل، وبدلاً منه نجد تفصيلاً بشأن سبب
تكون المطر وقرار يهوه "لإبادة الإنسان" ، حيث تزايد شره ، وعن القرايين التي
قدمها نوح وعن المذبح الذى بناه، وعن وعد يهوه لئلا يضرب بعد ذلك كل حي "لأن
خلق قلب الإنسان شرير من شبابه" . "هل يوجد بعد ذلك ضرورة فى الأمر لإظهار إلى
أى مدى تختلف بيئة هذين المؤلفين . لذلك لا يمكن الاعتقاد أن "اليهوى" مكمل فقط ،
والذى لم يأت فقط لإعداد المصدر الأساسى وتعديله، بل علينا ، أن ننظر إليه كمؤلف
متميز لا يرتبط كلية "بالألوهيمي" وأن أحداثه تستخدم مصدراً قائماً بذاته.

٧ - هوبفلد وإلجن

علاوة على ذلك ، فإن مادة "المصدر الأساسى" الذى طبقاً لرأى أصحاب
نظرية المكمل جاء المحرر اليهوى ليكمله ، ليس كما اعتقلوا : قطعة واحدة، بل يشمل
مصدرين مختلفين الواحد عن الآخر ، كما لاحظ إلجن ذلك فى عصره . وبما أن جوهر
اختلاف المصادر لم يحدث إلا لإظهار الروايات المزبوجة ، وبما أنه لا تزال فى
"المصدر الأساسى" أو "الألوهيمي" تكرارات عديدة باقية ، يفهم من ذلك أن هذا
المصدر لا يزال يخضع للنقسيـم . وهكذا وأصل هوبفلد مستعرضاً أقوال إلجن وأحصى
الروايات المتكررة داخل المصدر الألوهيمي فى سفر التكوين فقط . وعلى سبيل المثال
قابل الروايات هذه مقابل تلك وفقاً لاختلاف أسماء "لوز" "لبيت إيل" (التكوين ٢٨ : ٩ ؛
٢٥ : ٧) ويعقوب "إسرائيل" (٣٢ : ٨ ؛ ٣٥ : ١٠) ؛ أو يقول فى موضع واحد : أن
إبراهيم طرد إسماعيل ابن الأمة (٩:٢١) وفى موضع آخر يجد : عند موت إبراهيم كان
لا يزال إسماعيل معه (٩:٢٥) وغير ذلك . وإذا وجد فى المصدر الواحد تكرار وغموض،
فما هى فائدة التعديلات التى قام بها العلماء ؟ يجيب هوبفلد قائلاً : يوجد

هنا مصدران ، وصدق إلجن في حديثه بشأن "الالوهيمي القديم" و"الالوهيمي الأحدث" . "استمر هوبفيلد موالياً للتمييز المذكور سابقاً الذي أطلقه إلجن لهذين المصدرين ، وواصل وقسم "المصدر الأساسي" إلى مصدرين.

٨ - المصادر الأربعة

وبعد مائة سنة من البحث والدراسة والمباحثات التي انقضت من عصر أستروك وحتى عصر هوبفيلد، عاد مرة ثانية علم العهد القديم واقترب من نظرية المصادر، ولكن ماهي كان ثمار عمل تلك الدراسة لمدة مائة عام؟ مرة أخرى لم يتم البحث عن نظرية مصدرين فقط، كانا أمام موسى كاتب التوراة، وزمنهما غير معروف والاختلافات بينهما على أساس أسماء الألوهيمية فحسب، بل أصبح الحديث بوضوح مطلق بشأن أربعة مصادر متميزة، يمثل المصدر التثنوي أحدها ونشر زمن الملك يوشيا، أما الثلاثة الأخرى فهي "اليهوي" و"الالوهيمي أ" و"الالوهيمي ب"، ولم يحدد زمن تأليفهم بعد، غير أن الطابع الأدبي ظاهر ووحدتهم أكيدة. لكن لا تزال توجد شواهد عن تقدم وتدهور متنوع لعلم العهد القديم، غير أن هذه النتيجة بشأن المصادر الأربعة الأساسية باقية على ما هي عليه. فأسماؤها تتغير وحجمها يتبدل غير أن هذه النتيجة تبقى في جوهرها بمثابة قاعدة ثابتة في بحث العهد القديم حتى عصرنا.

وبدأ علم العهد القديم يكشف الغطاء لإنجاز الهدف الأكثر صعوبة، بتوضيح زمن تأليف المصادر الثلاثة. وبما أن زمن تأليف المصدر التثنوي قد اتضح بالفعل فقد سنحت الفرصة مرة ثانية للتمسك به بمثابة أساس ثابت، والانطلاق منه بواسطة المقارنة والمطابقة والبحث بشأن تشكل بقية المصادر وتحديد زمنها.

٩ - فانكي وجيورج ورويس

وعلاوة على الاعتراف بأنه باستثناء سفر التثنية توجد مادة باقية في التوراة للمصادر الثلاثة المتميزة التي ألفت في عصور مختلفة. هذه الحقيقة لم يتم التعرف عليها في علم العهد القديم من خلال مقارنة الروايات المزبوجة أو من خلال البحث الواقعي، بل إن البيانات المختلفة والبعيدة الواحدة عن الأخرى قد برزت أمام الدارسين المتممقين الذين تحرروا من الآراء التقليدية وتعمقوا في ثنايا الكتابات المقدسة. وتوصل هؤلاء الباحثون من خلال بحثهم التاريخي لمعرفة صدى الفترة التاريخية التي يتناولها كل مصدر من المصادر.

ولم يكن مصادفة أن توصل في فترة واحدة ثلاثة من الباحثين إلى نفس الرأي رغم تباعد كل واحد منهم عن الآخر في المكان والهدف، وهؤلاء الثلاثة هم "فاتكي"، و"جيورج"، و"رويس".

تخرج الاثنان الأولان من مدرسة هيجل، وتأثرت كتبهما بنظريته الفلسفية وأساليبه المنطقية، ولم تترك أقوالهما في حينهما الانطباع المناسب بسبب لغتهما المحلية. وكانت النتيجة الجوهرية لأقوالهما أن تورا الكهنة (المصدر الكهنوتي) تحتل مكانة هامة إلى حد كبير في أسفار التورا الخمسة، وتتضمن في داخلها قوانين القرايين، وقواعد العبادة، وترتيب الكهنة. يستنتج من هذا أنه من المستحيل أن تكون قد كتبت في زمن موسى أو حتى زمن الهيكل الأول، بل تم تأليفها زمن السبي البابلي، وربما بعد العودة من بابل. وتوصل رويس لنفس النتيجة قبل عام من ذلك.

١٠- منهج رويس في النقد

وضع رويس اثنتي عشرة قاعدة لتلاميذه لخص فيها منهجه في علم العهد القديم، وهي:

١ - عدم خلط القسم الروائي في التورا مع القسم القانوني فيها، فكل واحد منها يحتاج إلى بحث قائم بذاته.

٢ - كل واحد من هذين النمطين الأدبيين كان موجوداً عند اليهود قبل تدوينه في كتاب. والروايات التي تشهد بالشرعة التي أمر بها موسى، وأعلنت من جيل إلى جيل لا تبرهن على أن الأسفار الخمسة التي لدينا كانت موجودة في ذلك الزمن. فوجود أنماط القوانين المعلنة من جيل إلى جيل أمر احتمالي عند جماعة ليس لها شريعة مكتوبة بالمرّة.

٣ - الماسورا الروائية عند اليهود أقدم من الماسورا القانونية، كما أن الصياغة الأدبية للأولى أقدم من الصياغة الأدبية للثانية.

٤ - الوظيفة الأساسية للمؤرخ هي توضيح زمن تكون القوانين، وهذه المهمة تمكن من التعرف على الحقيقة الأكيدة، وللبدء في هذا البحث من الضروري للمؤرخ أن يستفيد من آراء أبناء العصر.

٥ - تتناقض الروايات التاريخية الواردة في أسفار القضاة وصموئيل وبعض

روايات سفرى الملوك تناقضاً مطلقاً مع القوانين الموجودة فى التوراة ، وينتج عن ذلك أن هذه القوانين لم تكن معروفة زمن تدوين تلك الأسفار التاريخية المذكورة آنفاً ، وبالتأكيد لم تكن معروفة فى تلك العصور التى ترد روايات عنها فى تلك الأسفار.

٦ - الأنبياء الذين عاشوا فى القرنين السابع والسادس قبل الميلاد لم يعرفوا مطلقاً أى شئ بشأن توراة مكتوبة.

٧ - إرميا أول نبي يتحدث بشأن القوانين المكتوبة، وأقواله مرتبطة بسفر التثنية.

٨ - القسم الوسيط فى سفر التثنية هو نفسه "سفر الشريعة" الذى وجدته الكهنة طبقاً لأقوالهم فى هيكل يهوه فى عصر الملك يوشياهو. وهذا القسم من القوانين أقدم أقسام القوانين المكتوبة فى التوراة.

٩ - يُقسم التاريخ العبرى القديم من وجهة نظر تاريخ الثقافة القومية إلى مرحلتين أساسيتين: قبل عصر يشياهو ويعد عصر يوشياهو.

١٠ - النبي حزقيال سابق على عملية الانتهاء من تحرير تعاليم العبادة وظهور القوانين المنظمة لسلطات الكهنة.

١١ - سفر يشوع ليس أحدث من أسفار التوراة الخمسة وكما يحتمل فإنه يشبهها ظاهرياً.

١٢ - موسى أبو الأنبياء ليس هو محرر أسفار التوراة الخمسة .

وعلى كل حال، قرر رويس أن القوانين بشأن العبادة وترتيب الكهنة ألقت بعد عصر حزقيال (القاعدة رقم ١٠) أى فى نهاية سبى بابل، أو فى بداية عصر العودة.

١١- جراف

وهاتان النتيجتان: أى النتيجة التى توصل إليها إجن وهوبلد بشأن تقسيم المصدر "اللاهيمى" إلى مصدرين ، والنتيجة الأخرى التى توصل إليها فاتكى وجورج ورويس بشأن وحدة واستقلال سفر القوانين الذى يبحث أمور الكهنة ونظام العبادة، ضمهما سوياً كـ هـ. جراف أحد أهم الباحثين فى علم العهد القديم وقرر جراف أن "المصدر اللاهيمى" الذى عرف عند أصحاب النظرية التكميلية باسم "المصدر الأساسى" بلا شك مركب من مصدرين متميزين، غير أن أحدهما يشمل فى وسطه

روايات موازية لروايات "المصدر اليهودي" وهو نفسه "الأكوهيمي الأحداث" عند هوبفلد.

١٢- القسم الروائي والقسم القانوني في التوراة

يعتبر بحث جراف مهما وقد نال قبولاً داخل علم العهد القديم في عصرنا كقاعدة ثابتة . ولأن جراف كان تلميذاً لرويس فقد اتخذ أساساً لأبحاثه سفر الأحكام الموجود في سفر التثنية الذي يعتبر زمن تأليفه معروفاً وواضحاً بدرجة كافية (القاعدة ٨)، وبواسطة مقابلة بقية الأسفار بسفر الأحكام أراد أن يصل إلى أى من الأسفار الأخرى الموجودة في العهد القديم عرفها صاحب سفر التثنية ، وأى منها لم يعرفه مطلقاً ؟ .

توصل جراف بعد بحث طويل وموازنة دقيقة إلى رأى عام هو : أن قوانين يهوه التي ذكرت في سفر الخروج (١٣ : ٢٠ - ٢٣ : ٢٣ ؛ ٢٤) هي القوانين الوحيدة المعروفة لصاحب سفر التثنية ، أما بقية القوانين الموجودة في "المصدر الأكوهيمي" الكبير لم يعرفها ولم يلاحظها . وينجم عن هذا ، أن القوانين في المصدر "الأكوهيمي" متأخرة وتنسب إلى العصر البابلي أو عصر العودة . ومرة ثانية نعلم من ذلك ، أنه من الضروري التمييز بين القسم الروائي والقسم القانوني في المصدر "الأكوهيمي" ، وربما القسم الأول سابق على سفر التثنية (على كل حال ، ليس هناك ما يمنع السابق) والقسم الثاني متأخر عنه.

١٣- نقد ريهم لنظرية جراف

وهذا التقسيم الذي وضعه جراف بين القسم الروائي والقسم التشريعي في مصدر واحد أثار ضده معارضات شديدة بين زملائه الباحثين ، وقد تمكن "ريهم" المحافظ من الرد على هذه الاعتراضات . فثبت "ريهم" بأدلة واضحة أن نفس الروايات التاريخية التي عزل منها جراف قوانين الكهنة ، تسيطر عليها روح هذه القوانين وليس هناك أى احتمال للفصل بينهما . فالقوانين تكون سورياً مع الروايات وحدة واحدة ، ولذلك لا يمكن قبول نظرية جراف الذي يؤخر زمن إعطاء تلك القوانين حتى عصر العودة .

١٤- مصدر توراة الكهنة

كانت أدلة "ريهم" وزملائه قوية وحاسمة بما فيه الكفاية ، حتى أن جراف رأى أنه من الواجب الالتزام بها والموافقة عليها . غير أن النتيجة التي تم الوصول إليها من هذه الأدلة كانت مختلفة كلية عن تلك التي قصد "ريهم" إلى استنتاجها ، وحقاً فإن القسم الروائي والقسم التشريعي - في المصدر "الألوهيمي القديم" الذي عرف باسم "الأساسي" عند أصحاب النظرية التكميلية ، أصبح يطلق عليه "توراة الكهنة" في شكل وحدة يمكن الفصل بينها ، إذ أن القسم القانوني فيه قد أُلّف ، كما يبدو ، زمن السبى البابلي ، ويفهم تلقائياً أن الجزء الروائي لهذا المصدر قد أُلّف زمن السبى البابلي .

١٥- المصادر :اليهوى والألوهيمي وتوراة الكهنة

والنظرية التي وضعها هوفلد بشأن المصادر الثلاثة للأسفار الخمسة - باستثناء سفر التثنية الذي هو مصدر قائم بذاته ، اتخذت حالياً أساساً جديداً عند جراف ، حيث ساد الحديث عن المصادر "اليهوى" و "الألوهيمي" و "توراة الكهنة" . وعلى أساس استنتاج دي - فته بأن سفر التثنية أُلّف في عصر يوشياهو ، أقام جراف نظريته بأن "اليهوى" و "الألوهيمي" سابقان لعصر يوشياهو ، وأن مصدر "توراة الكهنة" أُلّف بعدهما .

علاوة على ذلك فقد حُدّ في عصره وبواسطته مضمون وحجم كل مصدر من المصادر التي ركبت منها الأسفار الخمسة للتوراة . وتزَيّد الباحثون ، فأضافوا وحذفوا وأدخلوا من عندهم . ويصف الجدول التالي تلك المصادر التي أسسها جراف مصدراً مصدراً ، وكما هي مقبولة - كثيراً أو قليلاً - في العلم حالياً ، وذلك باستثناء المصدر التثنوي الذي بقي بمثابة وحدة واحدة .

غير أن هذه الرؤية بشأن تاريخ أسفار التوراة ونظام نشأتها الذي قُبِلَ حالياً بوصفه قانوناً بعد اختلافات "ريهم - جراف" ، ليس سوى ثمار ملاحظات نظرية داخل العهد القديم . وقد وجدنا من خلال مضمون وصورة السفر نفسه مكانه في تاريخ الأدب ، وعلاقته بسفر التثنية الذي كان زمنه محدداً ، غير أن التطابق المتبادل بين السفر والحياة لا يزال بعيداً عن البحث . فآداب العهد القديم كان يرفرف على نظم النولة وثقافة الجماعة ، وعلم العهد القديم لم يدركها بعد في اتصالها بالموضوعات الاجتماعية والدينية لموضوع الحياة .

جدول المصادر

الكهنوتي	الإلهيمي	اليهوى
٣١-١:١ ١٤-١:٢		التكوين ٢٥: ٢ ٣ ٤ ٢٩: ٥ ٨-١: ٦ ٧: ١-٥، ٧، ١١، ١٢، ١٦، ١٧
٣٢-٣٠، ٢٨-١: ٥ ٢٢-٩: ٦ ١١٧، ١١٦، ١٣، ١١، ٦: ٧ ٢٤، ٢١-١٨ ١٩-١٣، ٥-١: ٨ ٢٩-٢٨، ١٧-١: ٩ ٢٣-٢٢، ٢٠، ٧-١: ١٠ ٣٢-٣١ ٣٢-٣١، ٢٧-١٠: ١١ ٥، ١٢: ٤ ١٢-١١، ٦: ١٣ ١٤		٣٠-٢٨، ٩-١: ١١ ٢٠-٦، ١٤-١: ١٢ ١٨-١٣، ١١-٧، ٥-١: ١٣
١٦-١٥، ٣، ١: ١٦ ١٧	١٥	١٤-٤، ٢-١: ١٦
٢٩: ١٩		١٨ ٣٨-٣٠، ٢٨-١: ١٩
٥-٢: ٢١	٢٠ ٣٤، ٣٢-٦: ٢١ ١٩، ١٤-١: ٢٢	٣٣، ١٢-١: ٢١ ٢٤-٢٠، ١٨-١٥: ٢٢
٢٣		٢٤ ١٨، ١١، ٦-١: ٢٥ ٣٤-٢٧، ١٢٦-٢١ ٣٣-١: ٢٦
١٩، ١٧-١٢، ١١-٧: ٢٥ ٢٦، ٢٠ ٣٥-٣٤: ٢٦	٣٠، ٢٨-٢٥	

	- ١١: ٥٤: ٥١: ٢٧ : ١٩: ٥١٨: ١٦: ١٣ ٣٤-٣٣: ٢٨: ٢٣-٢١	: ١٤: ١٠-٥: ٤٤-٢: ١: ٢٧ : ٢٠: ١١٨: ١٧: ١٥ - ٣٥: ٣٢-٢٩: ٢٧-٢٤ . ٤٥
٩-١: ٢٨	: ٢٠: ١٨: ١٢: ١١: ٢٨ . ٢٢-	: ١٩: ١٦-١٣: ١٠: ٢٨
٢٩: ٥٢٨: ٢٤: ٢٩ [٢٢: ٣٠	٢٣-١٥: ١: ٢٩ : ٨: ٦: ١٣-١: ٣٠ ٢٣: [٢٢: [٢٠-١٧	٣٥-٣١: ٤-٢: ٢٩ : ١٦-٩: ٧: ٥-٥٣: ٣٠ ٤٣-٢٤: ٢١: ٥٢٠
١٨: ٣١	: ٢٤-١٩: ١٧-٤: ٢: ٣١ : ٤٩: ٤٧: ٤٥-٢٨: ٢٦ ٥٣٣: ٥٠	: ٤٦: ٢٧: ٢٥: ٣: ١: ٣١ [٥٣-٥١: ٤٨
[١٨: ٣٣	: ٢٢-٥١٤: ٣-١: ٣٢ ٢٤ ٢٠-٥١٨: ١١: ٣٣ ٣٤	٢٣-٢٥: ٢٣: ١١٤-٤: ٣٢ ١٧-٥١١: ١٠-١: ٣٣
٢٩-٢٣: ١٥-٩: ٣٥ ٤٣-٤٠: ٣٠-١: ٣٦ : [٢-١: ٣٧	٢٠: ١٨-١٦: ٨-١: ٣٥ ٣٩-٣١: ٣٦ : ٥١٣: ١٠-٥٢: ٣٧ : ٣٠-٢٨: ٢٢: ١٨: ١١٤ ٣٦ [١٧: ٦: ٣٩ : [٥: ٤: [٣-١: ٤٠ ٢٣-٦	٢٢: ٢١: ١٩: ٣٥ : ١٧-٥١٤: ١١٣-١١: ٣٧ ٣٥-٣١: ٢٧-٢٣: ٢١-١٩ ٣٨ : ٢٣-٥٧: ٥-١: ٣٩ ٥٥: ٥٣: ٥١: ٤٠

٤٦:٤١	٥٧-٤٧:٤٥-١:٤١	٣٨:٢٨:٢٧:٤٢
	٣٧-٢٩:٢٦-١:٤٢	١٢٣-١٥:١٤-١:٤٣
	٢٣:١٤:٤٣	٣٤-٢٤
		٤٤
	١٢:٥:١٤:١:٤٥	١٤:١٣:١١:٤٥
	٢٧-١٥	٢٨
٢٧-٥:٤٦	١٥-١:٤٦	٣٤-٢٨:١:٤٦
١٢٧:١١-٧:١٦:٥:٤٧	١٢:٤٧	١٢٧:١٣:١٦:٤-١:٤٧
٢٨		٣١-٢٩
٧-٣:٤٨	٢٢-٨:٢:١:٤٨	
٣٣-٢٨:١:٤٩		٢٧-١:٤٩
١٣-١٢:٥٠	٢٦-١٥:٥٠	١٤:١١-١:٥٠
الخروج	الخروج	الخروج
١٤:١٧:٧:٥-١:١	١٢-١١:١:٢٠:١٥	٢٢:٢٠:١٠-٨:٦:١
	٢١	
٢٥-٢٣:٢	١٠-١:٢	١٢٣-١٠:٢
	١٥-٩:٦:٣:٤:٣	٢٠-١٦:٨:٧:٥:١٤-١:٣
	٢٢:٢١	
	٤	
٣٠-٢:٦		٥
١٢٠-١٩:١٣-١:٧	٢٤:٢١:٢٠:٧	١:٦
٢٣-٢١		٢٩-٢٥:١٨-١٤:٧

<p> 10-11:3-1:8 12-8:9 10-9:11 10:137:28:20-1:12 01-23:21 20:2-1:13 19:18:14:2-1:12 10:10 -117:113-6:3-1:17 118 11:17 12-1:19 30-20 17-1:31 20-29:32 20-30 </p>	<p> 30-20:9 27-20:10 3-1:11 39-137:37-31:12 19-17:13 18-6:12-3:12 120:119-17 29-28:27:23-22 27-22:10 17-1:17 27-13:18 19-10:19 18-12:22 18:31 17:11-13:33 23-10 28-1:32 </p>	<p> 20-17:11-2:8 19-13:7-1:9 29:28:19-1:10 8-2:11 22:30:29:27-21:12 22-21:13 19:12-11:10:10:12 27:20:22:21:12 31-30 117-113:0:2:17 130:21-118 12-1:18 20-20:9-12:19 23-20 32:11-1:22 32 12:12:13-1:33 </p>
--	--	--

اللاويين العدد	العدد	اللاويين العدد
٢٧-٩	٣٦-٢٩:١٠	
٩-١	١٢-١١	
٢٦:٢٥:٢١: ١٧-١: ١٣	٢٤-٢٢: ٢٠-١٧: ١٣	
١٣٢:	٣٣-٣٢: ٣١-٢٧	
١٠: ٧-٥: ٢: ١: ١٤	٢٥-٨: ٤-٣: ١٤	
٣٨-٣٤: ٢٩-٢٦	٤٥-٣٩: ٣٣-٣٠	
١٥		
٣٥: ٢٢-١٦: ١١-٨: ١٦	١٥-١٢: ٧-١: ١٦	
	٣٤-٢٣	
١٩-١٧		
٢٩-٢٢: ١٣-١: ٢٠		١٤-١١: ٢٠
١٠-١١: ٢١	٣٥-٣٢: ٩-١: ٢١	٣١-٢١: ٢١
	٢٤-٢٢	
١٩-٦: ٢٥	٥-١: ٢٥	
٣١-٢٦		
٣٣-١٩١٨-١٦: ٣٢	٢٠: ٢٧: ١٥-١: ٣٢	
	٤٢-٣٤	
٣٦-٣٣		

القسم الثاني

النقد العلمي

الفصل التاسع

فلها وزن ومدرسته

١- ثلاث فترات في تاريخ الطقوس

لقد أتم يوليوس فلهاوزن - زعيم جماعة الباحثين في عصرنا - بقدرة فائقة أسلوب البحث التاريخي، فبدأ بقانون التطور التدريجي الثابت والسائد في كل المناهج التاريخية. وقد كان واضحاً له من الأساس، بأنه من المستحيل للحياة الاجتماعية والدينية للأمة أن تكون متجمدة وثابتة بدون تغير أياً كان.

ومن المستحيل أن يكون الانطباع عن تلك التغييرات محدداً داخل قوانين الفترة، والمطلوب أن تكون العين يقظة والأذن صاغية، من أجل توضيح وفحص وثائق كل نص من النصوص المقدسة. وقد اختار لمجال هذا البحث بداية الحياة الدينية ونظم الطقوس، وتلك الحياة أفسحت لـ ندى - فته الوصول لكشف زمن تأليف سفر التثنية، ومن هذا المجال نفسه وضع فلهاوزن ثقته في أن يستنتج أموراً بشأن التطور الأدبي للجماعة.

أى الأماكن عبد فيه بنو إسرائيل يهوه بناءً على شواهد النصوص المقدسة؟ إن الروايات المتوافرة معنا منذ عصر القضاة وعصر صموئيل لا تحدد لنا مطلقاً موضعاً محدداً معترفاً به، بل فقط هناك العبادة المطلقة - وعلى العكس، ليس هناك مدينة كبرى في فلسطين إلا وبها مذبح قائم، وقد قرب بنو إسرائيل القرايين ليهوه في: الجبال وشيلوه وعفرة والزامة والنوب وبيت إيل. كما كانت العبادة مباحة خارج المدن الكبرى، عندما يحين الأمر، يحدث في أى موضع وأى وقت. ولما انتهت الحرب مع الفلسطينيين وتعب الشعب بعد أن ضرب "من مخماس إلى إيلون" وقال شاؤول "لخرجوا إلى الآن حجراً كبيراً...قدموا إلى كل واحد ثوره وكل واحد شاته وأذبحوا هاهنا وكلوا...وبنى شاؤول مذبحاً ليهوه" (صموئيل الأول ١٤: ٢٣-٢٥).

وحقاً لم تكن كل المرتفعات متساوية في قيمتها، فالأكثر قدماً والموجودة في المدن الكبرى المأهولة بأعداد كبيرة من السكان هي الأكثر شهرة، غير أن العبادة لم تكن مرتبطة بموضع ما، فإن توقف المكان المرتفع من أن يستخدم كمركز وانتقلت العبادة إلى مكان مرتفع آخر، فإن تغيير المكان لا يؤثر مطلقاً على الحياة الدينية، ولم تتغير نظم العبادة على هذا الأساس، فهاهى شيلوه قد استمرت بدرجة عالية، واشتهر كاهن شيلوه في البلاد واندفع الشعب إليها، غير أنه عندما سقطت شيلوه، انتقل كاهنها إلى نوب ولم يمس ذلك مطلقاً جوهر الديانة. فتغيير المكان لم يؤد إلى إثارة روحانية أياً كانت، فعبادة يهوه كانت مطلقة وكل الأرض موضعها، وطبقاً لرأى النص

المقدس لم تكن عبادة إسرائيل في الأماكن المرتفعة فساداً ولا توجد أية إشارة لوجود قانون يحدد عبادة يهوه في أى موضع كان .حتى أن صاحب الرواية في سفر الملوك الأول لم يعتبر مطلقاً عبادة الأماكن المرتفعة إثماً وعلى العكس من ذلك يبرر بإسهاب الحكم ويوضح : "إلا أن الشعب كانوا يذبحون في المرتفعات لأنه لم يكن بيت لاسم يهوه إلى تلك الأيام" (الملوك الأول ٣: ٢) ويعنى ذلك أنه بعد أن بنى الهيكل في عصر سليمان تركوا المرتفعات الموجودة في أنحاء المملكة وصعدوا إلى أورشليم، غير أنه قبل ذلك لم يكن هناك قانون معروف بتحديد العبادة في مكان واحد .

وبالفعل قد تركزت الملكية والحياة السياسية في أورشليم، ولذلك تدفق الجمهور إلى هذا الهيكل، إلى بيت يهوه المبارك .إلا أن العبادة في الأماكن المرتفعة لم تتوقف أيضاً ، فالشعب ذبح ذبائحه في مدن بئر سبع والجلجال وبيت إيل ودان وشكيم والسامرة وفنوتيل والمصفاة، وذلك علانية وبترخيص حتى بعد أن شيد "بيت يهوه" في أورشليم ، ولم يُحرّم أحد من غيورى يهوه الحرب على ذلك بما في ذلك إيلياهو وإليشع . وعلى العكس من ذلك، فإن إيلياهو بنى مذبحاً ليهوه على جبل الكرمل (الملوك الأول ١٨: ٣٢) ، وذبح إليشع زوج بقر في الحقل حينما كان يحرق (١٩: ٢١) . وإذا كان إيلياهو وإليشع قد قربا قربابين في أى موضع ، فإن هذا يعنى أن القانون الذى يُحرّم تلك القربابين - أو أن هذا القانون له ضرورة أخلاقية تعارض ذلك - لم يكن قد نشأ بعد في بنى إسرائيل في تلك العصور.

غير أنه قد سادت الظلمة سماء السامرة .فاندفع العدو من أشور ووقع فزعه من بعيد وظهر داخل بنى إسرائيل الأنبياء الكبار، وبدأت معهم فترة جديدة في تاريخ الديانة .وكان الشعب لا يزال يتوجه إلى بيت إيل ويأتى إلى الجلجال وينتقل إلى بئر سبع، غير أن الأنبياء سَخَرُوا من هذا العار وعبروا عن ذلك للشعب وتنبأوا شراً لكل المدن التى تبدو في نظر الشعب مقدسة ومرغوبة ليهوه .لكن من الخطأ تصور أن قصد كلام الأنبياء كان ضد المرتفعات ذاتها .فلم يشنوا حرباً ضد العبادة أو على الرؤية المألوفة بشأن العبادة .فالشعب يعتقد في براعته ويمصعداته وتقدماته وكثرة أناشيده وغناء قيثارته، ينجز واجباته لإلهه، ولذلك هدأ في صهيون وأمين في جبل السامرة ، وتلك هي الرؤية التى وجه النبى ضدها سهامه اللاذعة ويعلم باسم يهوه ذاته لارتباك قلب الشعب، لأنى "بغضت كرهت أعيادكم ولست ألتذ باعتكافاتكم" ، وواحدة هي إذا عيدتم أعيادكم سواء في الجلجال أو في أورشليم، فالخطيئة ليست مرتبطة بالمكان

بل فى نظام العبادة ، فالرب لا يطلب من شعبه "محرقات وتقدمات" ولكن يطلب منه "ليجر الحق كالمياه والبر كنهر دائم" (عاموس ٥ : ٢١-٢٤) . ولم يتخل الشعب بعد أن سمع كلام أنبيائه عن طريقه ، واستمر فى تقريب قربانيه وعيد أعياده فى الأماكن المحببة إليه منذ القدم.

وسقطت السامرة وأبيدت المرتفعات المقدسة المنتشرة فى مدن إسرائيل ، وتحددت حياة الجماعة فى يهوذا الصغيرة . ولم تستطع فعلاً فى هذه المنطقة من الأرض أن تنافس المرتفعات الصغيرة "هيكل يهو" المبجل والمحترم فى أورشليم العاصمة ، ولذلك فضل الشعب أورشليم على بقية المدن ، غير أنه حتى ذلك الوقت لم تتوقف العبادة كلية فى المرتفعات . ولم يذكر إشعيا مطلقاً أن عبادة الإله فى أورشليم فقط وأن العبادة فى بقية المدن ممنوعة ، وكان تأثير الأنبياء قليلاً .

ولم يُمنح الشعب قوة لأن يبطل نهائياً العبادة القائمة ، غير أن أقوال الأنبياء قد أبطلت بشكل ما من الأشكال ، وهذا أيضاً لم يكن ممكناً . وكانت النتيجة الوحيدة والمباشرة لهذه المواجهة الدائمة تكمن فى الإصلاح ، هذا يعنى تجديد طرق العبادة وإصلاح ترميم الهيكل ولكى يظهر أمر هذا الإصلاح إلى الوجود وتقدم له الأسس ، كان من الضروري قبل أى شئ ترك المقدسات فى كل المملكة ، والتي وجدت لها حصناً سهلاً من قبل قادة الأمم الأجنبية المجاورة . وذلك بهدف تنظيم وتركيز العبادة فى مدينة مركزية واحدة .

ويفهم من ذلك ، أن مثل هذه المدينة لم تكن حبرون أو بيت إيل أو بيت شمش ، التي كانت تمثل الأماكن المقدسة فى يهوذا ، بل أورشليم العاصمة ، المدينة التي استقر فيها داود ، وبنى فيها سليمان هيكل يهو المتألق فى روعة . وهكذا حدث الإصلاح الكبير فى عصر يوشياهو (تقريباً عام ٦٢٢ ق.م) ، أى زمن إعلان القانون الذى يمنع العبادة خارج أسوار الهيكل فى أورشليم .

ولكن ما مدى قوة "المرتفعات العالية" و"الأشجار المزدهرة" . "فحتى قبل موت يوشياهو كانت لا تزال هذه المرتفعات تظهر مرة ثانية ومعلمو الشعب يعلمون بشأن القانون الذى يمنع العبادة خارج أورشليم ويحذرون الشعب من ذلك ، غير أن الشعب لم يستطع التخلّى عن طريقه المقدسة فى نظره منذ القدم .ويقف إرميا النبي مرة ثانية ويعلن : "لأنه على عدد مدنك صارت ألهتك يا يهوذا (إرميا ٢: ٢٨ ، ١١ : ١٣) .

وعلى كل حال ترك الشعب فى النهاية تلك الأماكن المحببة إليه كنتيجة لتركه الأرض كلها .

وحدث سبى يهوذا إلى بابل، وولد جيل جديد فى الغربية، وقد كان بعيداً بالفعل عن العادات الثابتة لجيل السبى . ويمرور اليوبيل الذهبى (بمرور خمسين سنة)، أعطيت هذه الجماعة الصغيرة الفرصة لترك السبى والعودة إلى فلسطين . وكانت تتجه جميعها نحو أورشليم . فبدأوا ببناء الهيكل، ولم يخطر على بال أحد فكرة البحث عن الأماكن المقدسة فى بئر سبع وبيت إيل وصارت وصية بيت واحد ويهو واحد ، هى القضية المفهومة من ذلك الحين . والتى وضعت الأساس للرؤية الروحانية والتاريخية لهذا الجيل.

تلك هى الفترات الثلاث التى أحصاها فلهاوزن لتاريخ الديانة فى إسرائيل فى عصر العهد القديم . والحدثان اللذان يفصلان بين تلك الفترات الثلاث هما : ظهور الأنبياء الكبار والسبى البابلي . ولم تنشأ مطلقاً فى جماعة بنى إسرائيل وحتى ظهور الأنبياء الفكرة بشأن تمركز العبادة فى مكان واحد ، وكانت كل البلاد موضعاً لها . ويتأثير من الأنبياء ظهر الطلب لتركيز العبادة فى أورشليم، غير أن عامة الشعب لم يستطع الانتصار على سلوكياته الثابتة، واستمر يذبح فى الأماكن المرتفعة خارج أورشليم، رغم حسرة الأنبياء وزعماء بنى إسرائيل . وبعد العودة من بابل، أى زمن الهيكل الثانى ، لم توجد الأماكن المرتفعة مطلقاً، وعبد كل الشعب إلهه فى أورشليم، فى هيكل بيت يهو، كما لو لم تكن الأماكن المرتفعة قائمة منذ الأزل.

٢ - تاريخ القوانين : سفر العهد، سفر التثنية . تورا الكهنة

من وجهة النظر السابقة توجه بعد ذلك فلهاوزن لفحص الأسفار القانونية الموجودة فى التورا، كما رتب جراف عصورهم . وفى ضوء الأسس التى قامت بشأن عصور تطور الديانة، ظهر له أيضاً طبقات أدبية تلائم هذه المجالات، طبقة طبقة لكل فترة فى تاريخ الديانة.

وأكثر أسفار القوانين قديماً "سفر العهد" الموجود فى المصدر اليهودي، الذى يقول "مذبحة من تراب تصنع لى وتذبح عليه محرقاتك وذبائح سلامتك .. فى كل الأماكن التى فيها اصنع لاسمى ذكراً أتى إليك وأباركك" (الخروج ٢٠ : ٢١) فالنص لا يقصد هنا مذبحة فى مسكن، لأن هذا المذبح كان مصنوعاً من "خشب السنط"

(١:٢٧)، كما أن النص لا يتحدث أيضاً عن الهيكل في أورشليم بحيث كانت هناك درجات، ويقال صراحة "في كل الأماكن" : إن وجدت تل تراب ، فيكون هذا لك مذبحاً ، تقرب هناك ذبائحك ومحرقاتك ، مذبح يوجد ليلة ويباد ليلة.

وتناسب هذا القانون الروايات بشأن الآباء الموجودة في المصدر اليهودي والمصدر الألوهيمي تفابراهيم بنى مذبحاً في شكيم وفي حبرون، وبنى إسحاق مذبحه في بئر سبع ، وأقام يعقوب نصباً حجراً في بيت إيل، لأنه كان من الممكن عبادة يهوه في أى موضع ، والفكرة بشأن تركيز العبادة في مكان واحد لم تكن قد ظهرت بعد. والكل - كما رأينا - في نظم الحياة في زمن الفترة الأولى السابقة لظهور الأنبياء.

غير أن الأوامر في سفر التثنية مختلفة كلية .فالقوانين بشأن نظم العبادة ليهوه تبدأ هنا بقضية المكان، كما لو كانت هذه القضية هي القضية المهمة القائمة في مركز عالم الطقوس في ذلك العصر .فالقانون يكرر ويعيد ثم يقرر بشدة على الأماكن المقدسة التي عبد فيها الشعب إلهه بعيداً عن "المكان الذي يختار يهوه إلهكم من جميع أسباطكم ليضع اسمه فيه : احترز من أن تصعد محرقاتك في كل مكان تراه ، بل في المكان... (التثنية ١٢: ٤- ١٤) .

وبين تلك التحذيرات والتحريمات نسمع بتفصيل الكلمات "لا تعملوا كل حسب ما نحن عاملون هنا اليوم" . (٨: ١٢) .فأنت ترى الشعب وهو يعبد في الأماكن المرتفعة ويقرب قربانيه "على الجبال المرتفعة وعلى الجبعة وتحت كل شجرة مزدهرة" ، كما عمل أبائهم وأبائهم منذ القدم ، وطبقاً للقانون المسلم به لدى الجماعة .وفي مقابل ذلك يشور ويحارب المشرع الذي جاء لإبادة الثابت ويقتلع الطرق المتبعة ويغير وجه العصر .وكان العصر عصر يوشياهو وهذا القانون هو من ثمار الأنبياء وجاء لتجديد الإصلاح الكبير جذرياً ، ويوجهها توجيهاً جديداً داخل الحياة الدينية للأمة .وتختلف وجهة نظر الطقوس السائدة في المصدر الثالث، أى تورا الكهنة عن تلك الرؤية في المصدرين اليهودي والتثنوي سويلاً .

فتورا الكهنة لا تأمر بتمركز العبادة ،كما أنها لا تذكر شيئاً بشأن العبادة في الأماكن المرتفعة خارج الهيكل الرئيسي ، كما لو كان ذلك غير قائم منذ الأزل ، ولا توجد ضرورة للحكم عليهما . فتورا الكهنة ترى جماعة بنى إسرائيل تتجول في الصحراء وتنتقل الخيمة أثناء المسيرة "لأن سحابة الرب كانت على المسكن نهاراً ، وكانت فيها نار ليلاً أمام عيون كل بيت إسرائيل في جميع رحلاتهم"

(الخروج ٤٠:٣٨) ، وكان الرجل عندما يقرب قربانه ليهوه فيأتى به أمام مدخل خيمة الاجتماع . وأمام خيمة الاجتماع تجتمع كل الجماعة ، وهناك يتكهن الكاهن الأكبر ، وهناك يجتمع يهوه مع موسى . فلهذا الهدف الذى يصبو إليه مشرع تورااة الكهنة موجود هنا بالفعل بمثابة وضع قديم «بصفة أمر قومى منذ ذلك الوقت، ومن قبل ذلك، ولا توجد ضرورة للدفاع مطلقاً، ونهاية العمل فى العقيدة بدايتها . ففى البداية كان الطموح إلى هذه المركزية ، وبعد ذلك بمثابة نتيجة لها ، فحدثت المركزية وصارت حقيقة واقعية وسلوكاً مطبقاً، حتى أنه محاً من قلب تابعيه أى ذكر لطرق العبادة الأخرى، باستثناء أسوار البيت المقدس والمسلم به . لذلك يرى فلهاوزن أن تورااة الكهنة مصدر متأخر عن مصدر التثنية ويسمع فيها صدى صوت الفترة الثالثة فى تاريخ الملقوس ، أى فترة العودة والهيكل الثانى .

وهذه الفترات الثلاث الأساسية التى كشفها فلهاوزن فى تاريخ تطور رؤية مكان العبادة، كشفت أيضاً بقية القضايا المرتبطة بالحياة الدينية، وعلى غرار هذه الفترات فى الحياة الدينية، يظهر أيضاً فى أدب القوانين . ويعبر فلهاوزن بحسه التاريخى عن القرابين والأعياد والكهانة وهبة الكهانة، ويكشف لنا تطور كل واحد من هذه الأفكار الدينية ويبرز فيها التجديدات التى طرأت فى تطورها بواسطة الأنبياء الكبار فى نهاية تاريخ السامرة ، وبواسطة السبى البابلي . ويبرز خلال هذه الأرضية للحياة الدينية المتغيرة وجود ثلاث طبقات لإعطاء القوانين أقدمها (سفر العهد) والذى فى جوهره طبقاً لرأى فلهاوزن يمثل مجموع السلوك فى الحياة . وكان معترفاً به ومنتشراً شفويّاً ، وهو ثمار نتاج بنى إسرائيل القديم، الذى لم يسمع فيه بعد أقوال غضب الأنبياء الكبار ، ولم يعرف المطالب الأخلاقية التى نشأت قبله .

أما الطبقة الثانية (مجموعة القوانين فى سفر التثنية) فهى أول مجموعة قوانين قضائية لجماعة بنى إسرائيل ، وفكرتها ونشأتها كانت فى يهوذا زمن سقوط السامرة وبعدها بتأثير من أقوال الأنبياء عندما اتجهوا لتجديد وجه الجماعة وإصلاح مجتمع بنى إسرائيل على أساس مطالب يهوه إله العدل .

أما قمة أدب الأسفار الخمسة فيمثل الطبقة القانونية الثالثة، فذلك القوانين والأحكام التى سردت كروايات تاريخية زمن الهيكل الثانى مع عودة الذين سبوا إلى بابل لتأسيس المملكة على الأسس القديمة للهيكل الأول . فعندما تغلغل الذين سبوا فى عصر عزرا داخل ظلمة الماضي، وعندما حاولوا أن ينتجوا لأنفسهم صورة من الحياة

الدينية والطقوس في العصور القديمة، ظهرت لهم مظاهر صور لحياتهم هم: مثل بيت يهوه القائم شامخاً في جبل يهوه في أورشليم، وجماعة الكهنة المستمرة للخدمة في الهيكل. وكانوا هم أنفسهم زعماء الجماعة ومعلميها، فالخوف على قداسة الهيكل والكهنة والذي كان سائداً وسط تلك الجماعة الجديدة التي تسلك للعودة إلى أورشليم، أظهر بزوغ نور تنظيمات لتلك الحياة وتسلك في أعماق الأعماق عبر طبقات الأجيال إلى الماضي البعيد. وأثرت منذ ذلك الحين على الأحداث التاريخية القديمة، فانبثق لهم الهيكل وخيمة الاجتماع و"جماعة الجمهور"، وكل ذلك على أساس صيغة الهيكل الثاني.

أما الطبقة القانونية الأولى - سفر العهد - فقد أدخلت داخل المصدرين اليهودي واللاهوتي حيث إن اسم اللاهوتية مختلف فيهما، وأنهما قريبان في الزمن والهدف، وأدخلت الثانية داخل سفر التثنية والثالثة داخل تورا الكهنة، وذلك بعد أن جمعت وامتزجت سوياً مع القسم الروائي لكل مصدر من المصادر.

وهكذا لاحظ فلهاوزن أسفار العهد القديم من وجهة نظر تطور حياة جماعة بني إسرائيل وثقافتهم، وتشعبت تدريجياً بمرور العصور، وأسفار التورا الخمسة الأولى في ترتيب أسفار العهد القديم تبحث العصور الأولى للأمة، ثم تأجل تأليفها للوقت المناسب في العصور المتأخرة التي لم تذكرهم الأسفار الخمسة، ووضعت القاعدة: "إن أساس مسيرة التاريخ القديم التي تروى عنها الأسفار الخمسة لا تعتمد إلا على دعم الأسفار الخمسة" (المقدمة الطبعة الخامسة - ص ٤).

٣ - مدرسة فلهاوزن

وأُسست نظرية جراف - فلهاوزن - جيلاً كاملاً من الباحثين والمؤسسين، الذين اجتمعوا لتأييدها ومتابعتها، وتوسيعها، وتطويرها. فالذين جاؤا بعدهما نشروا بقوتهم؛ وبقوة قوتهم فصلوا علم العهد القديم لموضوعات بحث متنوعة، وسار كل واحد منهم وارتفع إلى درجة نظرية علمية مميزة قائمة بذاتها. فالهولندي أبراهام كوين الذي كان مشاركاً في نتاج جراف - فلهاوزن في إدراك تورا الكهنة، نصب نفسه داخل السلسلة الأولى لمعارضة المدرسة الجديدة. وبقدرة فائقة وبوضوح عقلي صقل أدوات بحث العهد القديم وميز بين الشك واليقين، وطور أسلوب النقد ورفعته إلى درجة نظرية عامة لها أساليب ثابتة ومبادئ أساسية.

وكما كان كوين بالنسبة للهولنديين وفلهاوزن بالنسبة للألمان ، كان ويليام روبرتسون سميث بالنسبة للإنجليز، فقد حارب معرضاً نفسه للخطر ضد قدسية قاعدة التطور الحديث في تاريخ الديانة ومحاضراته الاثنتا عشرة عن تاريخ الكتابات المقدسة أثارت ثورة روحانية بين باحثي الكنيسة في إنجلترا. فهو في كتابه "ديانة الساميين" - ويعدّه رودولف سميند وقبلهما دوهم في بحثه عن الأنبياء - يعتبرون من أوائل أعضاء تلك المدرسة الذين وضعوا حجر الأساس لتاريخ ديانة بنى إسرائيل في عصر العهد القديم.

وقد وضع كل من الباحث الإنجليزي شموئيل رولس درايفر والباحث الهولندي ج. فيلد بوير، وهما من مدرسة فلهاوزن الأساس لتاريخ أدب العهد القديم كنظرية علمية قائمة بذاتها. وأما برنهارد شتاده وهرمان جوته فقد توجهوا لتأسيس صورة تاريخية لبنى إسرائيل في عصر العهد القديم، طبقاً لأسلوب جراف - فلهاوزن.

وبلا شك لم يعتنق كل باحثي العهد القديم العلميين في ذلك العصر هذه النظرية. فظهر خمسة معارضون لها وهم: تريهم، شتراك ، وديلمان وآخرون. كما لم يقبل كيتل وكونج كل أقوالها، وأصدر كلوتسرمان حولها شكوكاً وتزايدت الخلافات فالدكتور هوفمان خرج ليقوض افتراضاتها الأساسية، غير أن آراء العديد منهم كانت موجهة ضد تفاصيل الأحداث، والبعض اعترف لها بالفضل، بعد أن أدخلوا عليها تعديلاتهم، وتم قبول هذه النظرية كقاعدة في عناصرها الأساسية المحددة لأقسام التوراة ونظم تأليفها، وهي التي سادت في عالم العهد القديم منذ الثمانينيات وما بعدها.

القسم الثاني

النقد العلمي

الفصل العاشر

تأثير الحفريات

١ - مدرسة فلهاوزن وقضية بداية التاريخ

استمر فلهاوزن وتلاميذه في كشف معالم تطور جماعة بنى إسرائيل خلال عصرها الأدبي، وبخاصة مع اكتشاف لفائف النقوش وأقوال السجلات، وتم التعرف من خلال الكتابات عن كل جيل، وتحديد الأسس الحقيقية الواقعية للعصر نفسه، وهكذا اختلف لديهم الخيال الذي حدد موقفهم للعصور الأولى السابقة على الكتابات الموجودة لدينا فثلك الفترة "السابقة على الأدب" اختلفت من رؤاهم وأصبحت كما لو لم تكن وأشار ب. شتاده - تلميذ فلهاوزن المتميز، الذي ظهر في أعقاب معلمه، وعلى أساس نظريته لإزاحة قناع تاريخ جماعة بنى إسرائيل - إلى قاعدة: أن تاريخ الشعب يبدأ في نفس اللحظة التي بدأ فيها الشعب نفسه يصنع التاريخ، ويقول: إن تاريخ الجماعة العبرية يبدأ من يوم تملك ملك في إسرائيل ويرى أن أسباط بنى إسرائيل استقروا في أرض كنعان بدون أى رابطة بينهم وبدون المشاركة في الثقافة، ويختلفون عن بقية شعوب بنى عابر الذين تجولوا حولهم، وعلى هذا الأساس فقد استوعبوا داخل أرض كنعان وداخل ثقافة تلك الأرض المأهولة بالسكان وأمنوا بيهوه إلههم، ولم يرتبط سبط بسبط آخر، كما أن بيوت الآباء داخل كل سبط ليست مدمجة معاً سوى للضرورة المؤقتة فحسب، ولم تنتظمهم ماسورا واحدة، ولم يكن في فكرهم ذكريات لمصير واحد، ولم يتواجدوا في مصر، ولم يقفوا على جبل سيناء بل قدموا من عبر الأردن وتوغلوا في كنعان وكان إتمام احتلال كنعان أحد الأسباب الرئيسية لاتحادهم. وعندما عرقل جيرانهم تقدمهم، اضطرت أسباط بنى إسرائيل إلى الانتقال من الدفاع إلى الصراع، وقالوا: ننصب علينا ملكاً يخرج على جيوشنا، وقضية الملك هذه، هي التي قلبت هذه الأسباط المبعثرة إلى مملكة وشعب ويرد إلينا صدى قديم لأول محاولة لتوحيد بعض الأسباط في أسماء باراك ودبورا بشأن إرث فيشون، وتحكى أنشودة دبورا عن هذا الحدث الأول في تاريخ بنى إسرائيل والتي تمثل أقدم وثيقة للأدب الإسرائيلي.

وخرج لمساعدة يهوه ضد الجبابرة سبعة أسباط فقط من أسباط إسرائيل، حتى إن هذه الأسباط تشتتت مرة ثانية مع انتهاء الحرب فلم تنجح التجربة، حيث كانت الذرية قبل الجمل (الناقة قبل الجمل). وخرجت المحاولة الثانية من بيت منسي، ففي عصر يريعال من عفرة رفعت الراية من جديد ضد جنود مدين، ويموت ابنه أنزلت مرة ثانية، ويعد الإصحاح التاسع من سفر القضاة وثيقة قديمة وحقيقية لصدى هذه

الحادثة .وبرزت للمرة الثالثة حركة ملك من بيت بنيامين ، وذلك زمن تغلغل أسباط عمون لجلعاد ، وزاد الفلسطينيون من ظلمهم ، وهذه الحرب الضارية ضد ظلم الفلسطينيين هي التي أصعدت كرسى مملكة شاول ، وهي التي أجبرت الأسباط على الوحدة وتكوين شعب . من هنا بدأ تاريخ إسرائيل . وقبل ذلك لم يكن لها موضع ؛ لأنه قبل عصر كنعان لم يكن ذلك في فكر أى شخص . وهذا التأخير المبالغ فيه لبداية التاريخ العبرى هو الذى أدى إلى مهاجمة النظرية وكشف عيوب عديدة فيها .

٢ - الحفريات فى مصر وبابل

وفى غضون ذلك ظهرت فجوة كاملة بسبب إهمال تلك الكنوز حيث انتقل البحث إلى مجال كليات اللاهوت التى تضاعف داخلها علم العهد القديم . غير أن مجال المعارف التاريخية اتسع وتقدم . فقد كشفت الحفريات وتناجها فى بلاد المشرق أمامنا فترات تاريخية قديمة لم تكن متصورة من قبل . وما قد اعتبرناه إرثاً للأسطورة اكتمل مضموناً حيويًا وواقعيًا بوجود وثائق تلك العصور التى أدت إلى فهم جديد لبداية تاريخ بنى إسرائيل .

فقد بدأت فى مصر الأبحاث الأثرية زمن انتصار نابليون الذى جلب معه مجموعة من الباحثين والأثريين . ومع نهاية الربع الثانى من القرن التاسع عشر تم بحث وفحص معابد وقبور قدماء المصريين بزعماء شامبليون وروزليني . ولم تتوقف الحكومة الفرنسية خلال خمسين سنة ، وبعد ذلك الحكومة الألمانية ، عن الدعم السخى للباحثين الذين وصلوا إلى مصر ونقبوا حقول الماضى . فتأسست الجمعية الإنجليزية للمصريات عام (١٨٨٣) وانضم إليها الأمريكيون . وفى عصر واحد تزايدت آثار الماضى القديم وتم الكشف عن الأشياء المطمورة التى ألفت ضوءاً جديداً على قديم أرض مصر وتاريخها وديانها وتأثيرها .

وفى ذلك العصر ظهرت أيضاً اكتشافات البحث التاريخى لبابل وأشور . وفى البداية تركز اهتمام الباحثين حول هيكل نينوى واكتشف هناك يارد وزملاؤه المكتبة المسمارية للملك آشور نيبال التى تضمنت ثلاثين ألف لوح صلصال . وفى نفس الفترة تعمق باحثون فرنسيون وإنجليز وفى مقدمتهم الإنجليزى رولينسون وبعثته فى جنوب بابل والذين كشفوا قديم أورك . ووجدت قوائم سندات بالآلاف فى هيكل الشمس وخرائب الجنوب ، ونشر الفرنسيون من بين خرائب لاجاش بقايا معابد وقصور .

وقد صار فك غموض كنوز تلك الكتابات المسمارية فرعاً علمياً جديداً ، احتشد حوله جماعة من الباحثين البارزين ، وبنفس القدر الذى تعمق فيه هؤلاء الباحثون للتغلغل داخل النصوص القديمة ، فتطورت معرفتنا تطوراً كبيراً ، واستمر تقدم معرفتنا للحياة السياسية والدينية للشعب والفرد فى بابل القديمة ، وتاريخ قوانينها وعقائدها ونتائجها ، وتقدم عقائدها ونظم حياتها ، وطرق تأثيرها على الشعوب المجاورة لآلاف السنين قبل الميلاد .

٣ - شيردر

وهكذا حان الوقت لباحثى العهد القديم "لإطلاق المنجل لحصاد القمح" ، أى مقارنة نتائج هذه الأبحاث بأقوال العهد القديم وفحصها سوياً ، وكان إبرهارد شيردر أول من صاغ مهمة باحث العهد القديم ، وهو أيضاً الذى توجه لإتمامها . فمع الأسفار الأربعة والعشرين التى فى حوزته راجع نتائج الحفائر الخاصة بهياكل كنج ونيوى ومدينة سرجون ، وخرائب بابل ومقابر أورك ، ومن خلال الكتابات المسمارية التى على ألواح الطين والصلصال استخرج كل الأقوال الموازية لأقوال التوراة وجمعها سوياً ، وقابل هذه السطور بفقرات من التوراة ، وذلك على أساس من ترتيب العهد القديم .

وكان شيردر لا يزال حذراً فى بحثه بقدرة فائقة ، وقبل أن يسأل من أقدم من من؟ وكيف أخذ هذا من ذاك؟ وماذا عدل الذى أخذ؟ فلم تكن مهمته سوى إقامة جسور بين فرعى البحث القريبين هذا من ذاك على أساس مادة بحثهما ، واللذين لم يرتبطا هذا بذاك حتى عصره ، وسلك شيردر كل السبل وأحصى كل العلاقات بين الكتابات المسمارية وأقوال العهد القديم ، وأصدر كتاباً ضخماً أثار غضباً فى حينه . وابتدأ من خلق الكون ، والإنسان ، وقصة جنة عدن بكل تفاصيلها (الأنهار الأربعة ، الحية والكروبيم ، والحزن للطوفان) . والمدمش فى موازنته تلك الأسطورة البابلية التى وجدها جورج سميث فى خرائب نيوى القديمة (١٨٧٣) وتحتوى على اثنى عشر لوح صلصال ، وقصة البرج الذى يشير له قسم بناء البرج ذى سبعة أذرع والذى كشفه روليتسون (١٨٥٢) حتى أسماء الشعوب والمدن فى قائمة بنى نوح (جومر ، مداي ، يوان ، تيبال ، ماشك ، كليم كوش ، مصرى ، حمتى ، غزه ، عيلام ، وأرام) وأسماء الأبطال المتعديدين فى روايات العهد القديم (أريوك ملك الأسار ، كدر لعومر ، فرعون ، يوز ، جزو ، هدد ، لوط) وأسماء الأنهار والجبال (النيل ، نهر مصرى ، سنير ، سريون) ، وكذلك الأحداث

التاريخية لعصر الملوك كما يسرد العهد القديم نفسه عن المصادمات مع بابل وأشور، وتشمل الكتابات المسمارية مادة موازية كاملة، بعضها يناسب كل تفاصيل الرواية وبعضها يضيف ويعدل (ياهو بن نمشي، أحاب، حرب حزئيل، عزريا ملك يهودا، مناحم ملك إسرائيل، دخول قول إلى فلسطين، سوا ملك مصر) وتنتهي بتفصيل كبير لسلسلة أحداث سفر الملوك الثاني عن تجلات بلاسر، سنحريب، مردوك، بلادن بن بلادن ونبوخذنصر ملك بابل.

كما وجدت أيضاً صور موازية وتفاصيل مشابهة في الكتابات المسمارية لتفاصيل متنوعة لتاريخ ثقافة بنى إسرائيل زمن العهد القديم (نقوش صلصال لصورة القسم تشبه أقوال النص تضع يدك أسفل الخصل (التكوين ٢: ٢٤)، ألقاب الأبطال وتقديس الأعمدة بالقرب من الهيكل، مثل ياكين ويوعز، التي هي أسماء أعمدة رواق الهيكل (الملوك الأول ٧: ٢١) ورؤية مصر بمثابة أرض الفرسان المختارة (التثنية ١٧: ١٥)، كما وجدت كلمات مشتركة بكثرة في اللغة العبرية والكتابات المسمارية، والمتشابهة على أساس جذورها، وكذلك جمل مشابهة وطرق أسلوبية وتعبيرات مشابهة، وتشهد مئات الشواهد بوجود قرابة بين تلك الشعوب والثقافات، وعلى أى حال لا يمكن لأسلوب بحث الكتابات المقدسة والكتابات المسمارية أن تكون فيها هذه غريبة عن تلك أو تكون هذه عالة على تلك.

ولم يقصد هيردر أكثر من ذلك، فكان يعرف بلا شك أن "البحث النظرى والشامل لهذه القضايا يعتبر مفضلاً جداً"، غير أنه اكتفى آنذاك بما يعطى الثقة للبناء عليه، وبذلك قام بواجبه مخلصاً منبهاً باحثى العهد القديم - من مبدأ السلامة - بضرورة ربط بحث العهد القديم بالاتجاه الجديد والغريب، وبناءً على ذلك سهل أمام بحث العهد القديم الفحص الدائم للمصادر وأجزاء المصادر داخل العهد القديم وفتح أفاقاً جديدة.

وبدأ التشكيك فى صحة النظرية التى تؤخر بداية تكوين النجاج العبرى، ومع تطور نظرية المقارنات، زال القناع الذى ساد فى الفترة السابقة، وشيئاً فشيئاً اندثرت هذه الفرضية، وبرز الشك فى قيامها مدعوماً من قبل فلهاوزن ومدرسته، بل من المؤكد أنها لم تنشأ، كما ابتعدت عن آراء شتاده. فأنشأت تلك البراهين الأثرية إلى حياة جماعة بنى إسرائيل وثقافتهم خلال مئات السنين قبل أن يملك ملك فى إسرائيل.

٤ - حفائر تل العمارنة

وينفس القدر الذي استمرت فيه الحفريات ونجحت ، واستخرج من باطن الأرض مغانم كثيرة، استمر البحث فى التاريخ العبرى واحتل مكانة مهمة .

وفى عام (١٨٨٧) حدث أول انتصار فى مجال الحفريات فى مصر رسخ أيضاً الحقيقة فى بحث التاريخ العبرى القديم، حيث تم الكشف فى تل العمارنة عن أرشيف أمينوفيس الثالث والرابع الذى يعود إلى القرن ١٤ ق.م، وفى هذا الأرشيف توجد ألواح صلصال عديدة مكتوبة بالآشورية ، ومن بينها رسائل متبادلة بين ملوك بابل وأشور وبين ملك مصر، وكذلك رسائل أرسلت من حكام فلسطين لحاكمهم فى مصر. وفى بعض هذه الرسائل يروى حاكم أورشليم - عبد حيبه - عن أسباط سام المتجولة، المعروفة باسم "الخبير" والمهاجرين من الصحراء إلى كنعان، ويناشده حاكمه الحضور لمساعدة رعاياه المقهورين.

وفى عام (١٨٩٦) كشف بترى رسالة أخرى فى خرائب هيكل الموت لمرنبتاح فى نوأمون ، وتعود هذه الرسالة إلى عام (١٢٢٠ ق.م) وينشد فى هذه الرسالة أنشودة نصر لمرنبتاح ملك مصر على الانتصارات التى انتصرها فى بلاد مختلفة، ويحصى من بين تلك الشعوب المحتلة أيضاً إسرائيل سوياً مع عسقلان وجازر (إسرائيل هجر - ليس له نسل)، مما يؤكد أنه كان آنذاك يوجد بالفعل فى الأرض جوهر لجماعة خاصة اسمها جماعة بنى إسرائيل.

وبما أن علماء العهد القديم اعتادوا الانتباه لانتصارات علماء الاستشراق وفحصوا حقائقهم على أساس من اكتشافاتهم ، فلم يكتفوا مرة ثانية بتجميع الأحجار فحسب بل أثبتوا أنه توجد بالفعل أدلة لأقوال التوراة فى الكتابات المسمارية، فما حكم ما الجانب هذا التشابه؟ ما هو الجانب المتشابه فيها؟ وكيف حدث؟ وعلى ماذا يشير؟ وإذا كانت هناك بالفعل حياة لبنى إسرائيل فى فلسطين القديمة، فما مضمون تلك الحياة؟ وأين آثارها؟

٥ - جونكل

لقد وضع شيردر الطريق وتقدم به جونكل إلى الأمام مزوداً بكل وسائل النقد. فرأى جونكل فى قصة الخلق (سفر التكوين ١) لم يسلم مطلقاً برأى فلهاوزن الذى اعتبر القصة مجرد نتاج إنشائى بسيط وحر لمؤلف المصدر الكهنوتى. أما جونكل فقد

بحث هذه القصة ويبرهن على أن هذا القسم بكل صورته الحسابية والعديدية يشمل خرافة قديمة ليس مصدرها بنى إسرائيل ،وعندما وازن المادة الأسطورية فى قصة الخلق مع أسطورة الخلق البابلية، كما هى محفوظة فى أقوال الكتاب اليونانيين وفى النسخة القديمة على خرائب هيكل آشور بنيبال، اتضح له أين ظهرت وازدهرت هذه الخرافة ،ولكى يقف على العلاقة بين وصف قصتى الخلق البابلية والعبرية البعديتين هذه عن تلك ،والموازيتين هذه لتلك :لم يكتف بمقارنة القصتين فحسب بل قارن كل أقوال أدب العهد القديم سواء الموجود داخل أسفار العهد القديم ، أو الذى بقى خارجا عنه ، واستخرج من داخلها أشعاراً ومزامير وسجلات وصوراً للمادة المتعلقة بنشأة الكون والتي أدمجت فيها وذابت داخلها.

وها هوذا عالم كامل لخرافة أصلها فى بابل ومصدرها فى أساطير الخلق نشأ فى محيط إسرائيل : رهب (إشعيا ٧:٣٠ ؛ ٩:٥١ ؛ المزامير ٥٠:٤ ؛ ٨٧:٤ ؛ ٨٩:١١ ؛ أيوب ٩:١٣ ؛ ٢٦:١٢) ،لويث (إشعيا ١:٢٧ ؛ المزامير ١٢:٧٤ - ١٩ ؛ ١٠٤:٢٥ ؛ أيوب ٨:٣ ؛ ٤٠:٢٥ ؛ ٤١:٢٦) ؛ بهانم (إشعيا ٦:٣٠ ؛ أيوب ١٥:٤٠ ؛ انظر أيضاً حنوخ ٦:٧ - ٩ ؛ عزرا ٦:٤٩) ؛ التتين (إشعيا ٩:٥١ ؛ إرميا ٣٤:٥١ ؛ حزقيال ٣:٢٩ ؛ المزامير ٤٤:٢٠ ؛ أيوب ١٢:٧ ؛ انظر أيضاً مزامير سليمان ٢:٢٨) ؛ الحية (عاموس ٣:٩) ؛ الحية الهاربة (إشعيا ١٣:٢٦ ؛ أيوب ١٣:٢٦) وحش القصب (المزامير ٦٨:٣١) ؛ بنى الكبرياء (أيوب ٤١:٢٦) ؛ أعوان رهب (أيوب ١٣:٩) - والتي تجمع فى العبارة التالية : ليست حصن سلطان يهوه ، محتجر رهب، صانع تتين تحطم لويثان ، قهر مثل قتل رهب وحطم رؤوس التتين فى المياه."

وتكرر فى أدب الأنبياء وأصحاب المزامير هذه الأسطورة البابلية القديمة عن حرب الإله ضد الوحوش الضخمة على عتبة الخلق ، وذلك بأسماء مختلفة وصيغ متنوعة ولأهداف متباينة استمرت فى أعماق بنى إسرائيل وحلقت فى خيالها ، وذلك على الرغم من أنها لم تنبثق من داخل الرؤية اليهودية .

٦ - قصة الخلق

بعد أن جمع جونكل من ثنايا نتاج مؤلف العهد القديم كل المادة الأسطورية ، المطبوعة كلها بطابع الميثولوجيا القديمة وقارنها بقصة الخلق فى سفر التكوين (الإصحاح الأول)، وأدرك أن هذا القسم متأخر عن كل المادة المتنوعة السابقة عليه فى

إسرائيل ، وأنه ليس سوى صدى هزيل له ومتصل به والرؤية التنبؤية المقدسة حلت محلها الصفات القديمة وصور الخرافة المنتشرة . وقد ضم صاحب المصدر الكهنوتي نظرية الخلق القديمة إلى قصة الخلق الموجودة عندها . وعندما وصل جونكل إلى السؤال : متى تسربت وجهة النظر البابلية إلى ثقافة بني إسرائيل ؟ ، اتضح له بعد أن فحص كل عصور اتصال هاتين الثقافتين ، أن عمر هذه العلاقة قديم جداً والأسطورة البابلية القديمة عن مردوك ذلك الإله الذي حطم الغمر وسيطر على المحيط البدائي وعمل من نصفه سماءاً ونصفه مياه انتقلت إلى أرض كنعان قبل أن يظهر بنو إسرائيل . والفترة القديمة التي ذكرت في الرسائل التي وجدت في تل العمارنة عن زمن نشر الثقافة البابلية سلطانها على بلاد كنعان قد جلبت في أحضانها الأساطير الدينية البابلية ، وبخاصة أسطورة الخلق التي استخدمت في تكوين قصة الخلق في العهد القديم .

ومن خلال هذا المصدر الكنعاني وبواسطة الشعب المستقر في فلسطين استحدث إسرائيل فيما بعد هذه الميثولوجيا القديمة أيضاً ويقدر ما استمدت هذه الجماعة من تلك الوسائل الكنعانية قامت بتحرير ثقافة بابلية أخرى عديدة وصاغتها طبقاً لهدفها ، واستمدت منها تشبيهاتها ومؤلفاتها وتأثرت بها وتصارعت وتكيفت معها . ولم يحتل يهوه فيها فقط مكان مردوك ، بل خلصها من كل الميثولوجيا القديمة وسلسلة الأحداث الغريبة عن دين الأنبياء ، وامتلات روحاً ومضموناً جديداً لولا أصدقاء قليلة وقديمة مطبوعة بالطابع البابلي ، الذي لا يزال مخيماً عليها مثل الظلمة القديمة ، خربة وخالية ، الغمر بمثابة اسم ، انقسام المياه ، تنين المياه ، جند السماء ، "نصنع" الإنسان ، ورأى أنه حسن ولم يكن مصدرها البابلي ملموساً ، لأن روحاً أخرى وازنتها ، تلك هي روح الإله الواحد خالق السماء والأرض والمسيطر على الكل .

وإذا كان شيردر قد أشار إلى قرابة مفاجئة ، فإن جونكل غاص في أعماق المؤلف وحدد قاعدة هي : أن هذا الاشتراك لم يكن متأخراً ولم يكن مصادفة ، بل كان موجوداً في الطبقة الأساسية للثقافة الإسرائيلية . وأن روح بابل تسلت إلى داخل كنعان ، وتاهت في وسطها خلال عصور عديدة قبل احتلال الأرض بواسطة العبريين ، وبعد أن جاء الإسرائيليون إلى الأرض ، وساروا في طرق شعب الأرض تشربوا الثقافة البابلية من هذا الوسيط الثاني .

ومنذ ذلك الحين ، أي بداية من عصر سنوات التكوين وانتهاء بسنوات التصادم الجديدة مع بابل - خلال عصر سلطان آشور في القرن السابع قبل الميلاد عندما كانت

يهودًا تدفع الجزية لآشور، وكذلك في عصر السبى في القرن السادس قبل الميلاد - لم تتوقف الثقافة الإسرائيلية طوال تلك العصور عن الصراع مع الثقافة البابلية، وذلك بمحاربتها والاقتراس من داخلها.

٧ - رواية الطوفان

منذ ذلك الحين صارت المهمة الرئيسية لعلماء العهد القديم الوقوف على زيف ذلك الصراع واستخراج العناصر البابلية في العهد القديم وأسطورة الطوفان هي الأكثر ارتباطاً مع قصة الخلق في الميثولوجيا القديمة وكانت لا تزال بعض أجزاء سفر بيروسوس، كاهن بيل البابلي الذي كتب باليونانية في القرن الثالث ق.م، محفوظة عند آباء الكنيسة، وقد اشتهر بسبب أساطير الطوفان البابلية. ومع اكتشاف الكتابات المسمارية تم الكشف أيضاً عن ملحمة جلجاميش، تلك الملحمة البابلية القومية، المتضمنة في داخلها فصلاً عن الطوفان وعندما سار بطل الملحمة لينشد الحياة تقابل مع السرمدي أوتنبيشتم جد أبائه (كسيزورقس في نسخة بيروسوس) الذي يسير مع الآلهة في أقصى الغرب، وسمع منه قصة حياته، وكيف أنه حاز تلك العظمة؟. ويمشورة إله الأرض قرر مجلس الآلهة قراراً نهائياً لإبادة مدينة شوريك التي على ضفة نهر الفرات بالمياه. ثم جاء آيا إله الحكمة في الحلم ليلاً إلى أوتنبيشتم حبيبه وكشف له عن قرار الآلهة، وتحدث له بأن يصنع لنفسه سفينة، ويدخل فيها هو وأسرته وكل ماله ويدخل فيها من كل الحيوانات. وعندما كان يسأله أهل المدينة عن عمله هذا، فيخبرهم عن الغضب الشديد للإله عليه ولذلك فهو يفر من أمامه إلى طرف البحر. وصنع أوتنبيشتم كل الذي أمره به آيا، وشيد السفينة طولها مائة وعشرون ذراعاً، وجعل ارتفاعها ستة طوابق، وطلاها بالأسفلت ودخل هو ورجاله ونساؤه وحيوانات الحقل، وأدخل معه كل ماله وذهب وأغلق فتحة السفينة، ووصل إلى البحر الميت وكانت المياه ستة أيام وست ليال على الأرض وعندما جفت المياه هبطت السفينة على الجبل وفي اليوم السابع أرسل أوتنبيشتم الحمامة ولم تجد موضعاً للبقاء فعادت إلى السفينة، ثم أرسل العصفور وعاد أيضاً، فأرسل الغراب ولم يرجع، فخرج أوتنبيشتم من السفينة هو ورجاله ونساؤه وكل من معه وقرب قرباناً، فاجتمعت كالذباب حول الذبيحة واشتعت الآلهة رائحة الرضا وكان آيا خائفاً وغازباً لئلا تتحقق رؤيته وأن يبقى هارباً عند الإنسان، غير أن حكمته عادت إليه وبارك أوتنبيشتم وزوجته ووضعه مع الآلهة، وأسكنه جنة عدن في منحدر النهرين.

ويلا شك توجد فجوة واسعة بين هذه النسخة البابلية وبين صيغتي الطوفان المحفوظتين في التوراة، ففي الأولى تقرر الآلهة إبادة الأرض بلا سبب بدون أى علاقة مع أعمال البشر، أما في الثانية فقد حلت المصيبة في أعقاب أعمال البشر بفساد طرقهم بامتلاء الأرض ظلماً وفي الأولى أنقذ أوتنبيشتم لأن أيا يحبه، أما في الثانية فأنقذ نوح لأنه كان باراً في أجياله. وفي الأولى إله يحطم وآخر ينقذ، أما في الثانية فوحدة الآلهية كاملة في كل تفاصيل الحدث وفي الأولى ارتجفت الآلهة ذاتها من عمل أيديها وندمت بشدة لإبادة مدينتهم، أما في الثانية فإن الإله الأعلى مسيطر ومتكبر وينقذ أمره ويفتقد الظلم الشديد وفي الأولى تنتهي القصة بضم أوتنبيشتم إلى مجمع الآلهة، وفي الثانية تنتهي القصة بعهد ثابت للإله بالآب يبيد أى بشر إلى الأبد لأن قلب الإنسان شرير من شبابه، وحدد قوانين للأرض والطبيعة بالآ تصييه مرة ثانية .

ومع ذلك فإن جوهر القرابة بين أساليب الروايتين لا تحمل أدنى شك . وكذلك اختلاف التفاصيل مثل نفلك بدلاً من سفينة؛ وغراب حمامة ثم حمامة ، بدلاً من حمامة ثم عصفور فغراب؛ وثلاثة مائة ذراع طولها بدلاً من مائة وعشرين ذراعاً . وكان الطوفان أربعين يوماً بدلاً من ستة أيام . غير أن هذا لا يضعف احتمال الانطباع بأن هذه صيغ مختلفة لرواية واحدة أمامنا . ومثل هذه الاختلافات توجد أيضاً بين نسخ القصة داخل التوراة ذاتها . غير أن جوهر القضية يكمن في إبادة الأغلبية وإنقاذ الفرد ، خاصية الإبادة وخاصية الإنقاذ ، إرسال الطير ، رسو السفينة على الجبل ، وتقريب القربان ، وكذلك نسمة الرضا التي اشتمها الإله (الآلهة) ومباركة المنقذ . كل ذلك يؤكد من حيث الجوهر بأنه ليس أمامنا سوى رواية واحدة في صياغتين . وعلاوة على ذلك فإن الرواية التوراتية تركيب متأخر ، رُكِّبَ على أساس النسيج القديم الذي جاء من بابل .

٨ - قوانين حمورابى

ولم يستوعب علماء العهد القديم كما يتبغى الوثائق المطابقة للكتابات المقدسة التي ظهرت من خلال الحفريات في مصر والاكتشافات الأثرية وفجأة اندفع من مخابئ الماضى في بابل مصدر جديد ، مدهش في قدمه ومطابقته لمصادر الكتابات المقدسة .

ففي نهاية عام (١٩٠١) وجدت البعثة الفرنسية تحت إدارة "مورجن وشيل "

فى أعماق الأرض فى سوسن العاصمة نصبا حجريا ، والذي كما يبدو أخذه ملك عيلام غنيمة من بابل وعلية نحت سفر القوانين الذى منحه الإله شمش للملك حمورابى الذى ملك على بابل عام (٢١٠٠ ق.م). وفى هذا السفر قوانين وأحكام عديدة تشهد على درجة عالية من التطور فى هذا العصر القديم، وذلك سواء بين الفقرات المتشابهة تشابهاً كاملاً لفقرات سفر العهد أو بين الفقرات المختلفة عنها والتي تظهر بوضوح أن هذه القوانين والأحكام كانت معروفة للمشرعين فى بنى إسرائيل وترجم شيل بنفسه هذه القوانين إلى الفرنسية وأذاعها على الملأ. وكان الباحث العبرى "دافيد هينرش مولر" أول من ترجمها للعبرية وطابق قوانين حمورابى بقوانين سفر العهد ، كل قانون مقابل قانون. وقد أحصى يوهانس يرمياس أربعة وعشرين حكماً فى سفر قوانين حمورابى التى تلزم الاعتراف بوجود علاقة قوية قائمة بين الرأى القانونية فى بابل وبين تلك الموجودة فى سفر العهد (قوانين العبودية والأسرة، ظلم الإنسان وسرقة البقر، الثور الناطح، والسرقه فى السر، أحكام الوديعة وأحكام سرقتها، أحكام المضاجعة واحترام الأب). ونشأت أيضاً تشابهات فى صورة القوانين والصياغة، وتشابهات فى بعض الأقوال التى تنسخ هذه وتلك .

وبلا شك اكتشف مع هذه القرابة الاختلاف العميق بينهما ولم تميز الحياة الاقتصادية والسياسية والطقوس بين هذين السافرين القانونيين المتطابقين فحسب، بل تختلف أيضاً رؤاهما الأساسية والروح السائدة فيهما، فالعقوبات فى سفر حمورابى قاسية للغاية، بمقابل العقوبات فى التوراة، أما حماية الضعيف والفقير فى التوراة فتفوق كثيراً فى تماسكها وتفصيلها قوانين حمورابى، كما أن قوانين حمورابى لا تعرف مطلقاً حب الصديق وحماية الأجنبي، والاختلاف الجوهرى بينهما هو أن نقض القانون لا يعتبر فى قوانين حمورابى إثماً تجاه الإله وحقاً فإن الإله شمش هو الذى منح القوانين لحمورابى، كما أن يهوه هو الذى منح ألواح العهد لموسى، غير أنه أعطى واختفى، فلم يخطئ عنده شخص لإلهه إن لم يقم النص المكتوب، والإله لا يعتبر ذلك شراً، فالديانة تستخدم خلفية وأساساً لكل أقوال القوانين فى سفر العهد، وهذا ليس محمداً فى مخطوطة قوانين حمورابى وأحكامها ، وليس مزودا بها . غير أنه مع كل هذه الاختلافات العميقة - اختلاف الزمن واختلاف الثقافة واختلاف السمات القومية - فإن قضية القرابة الأساسية التى بينهما هى قرابة مادة وشكل لا تحتل أى شك، وواضحة للجميع، وطالما أنه اتضح أن مجموعة القوانين المدونة مركبة ومفصلة بالفعل فى الواقع

حوالى (٢٠٠٠) ، وأن هذه الملونات كانت أمام المشرع فى بنى إسرائيل ، فقد انهار
الرأى الذى أخر الوثائق الأولى للأدب العبرى إلى القرن الثامن ق.م .

٩ - المزامير

وقد قام "ياسترو وتسيمرن" بتحقيق المؤلفات الأدبية وتنقيتها فى الكتابات
المسمارية ونظروا فى ترانيم المزامير ، والتضرعات وأناشيد التسابيح المجموعة فى
داخلها . فقد كان هدف باحثى العهد القديم أن يجدوا فى لغتها وأسلوبها - وتتابع
هدفها وصورها - مجموعة غنائية مطابقة للعديد من مزامير سفر المزامير فى العهد
القديم ، على الرغم من أن هذه سابقة على تلك بمئات بل آلاف السنين .

وبما أن الحاجز الذى كان يفصل بين علم العهد القديم وعلم بابل قد سقط ، وبدأ
بينهما التأثير المتبادل ، لم يكتف الباحثون بتحديد المطابقات فحسب بل تغلغل هؤلاء
الباحثون مزودين بوسائل البحث عن الألوهية والطقوس وما شابه ذلك إلى داخل
الكتابات المسمارية وأعماق الماضي ، وتسابقوا فى أن يجدوا أيضاً داخل بابل القديمة
عالمها الروحاني . ودعت محاولاتهم الكبيرة أيضاً هذه المرة ، فقد نسجوا قناعاً كاملاً
لرؤية العالم القديم عن طريق ترتيبهم واحدة بواحدة ورمزاً برمز وتظهر هذه الرؤية
العالم ومصير الشعوب ورجاله ، وما هو قد خلق على صورة السماء فتحققت الآلهة
فى جند السماء وبرزت إرادتهم فى ترتيب السماء ونظم الأحداث . فترمز الكواكب فى
سبلها لطرق العالم ، وعالمنا فى مجموعته عالم صغير داخل العالم الكبير ، كما أن كل
فرد من البشر على الأرض عالم صغير قائم بذاته ، ومصيره فى السماء العليا . فقط
يمكن بحث تاريخ الشعوب ومصير العالم على أساس بحث خطة السماء ، فالتقويم
وترتيب العصور تلك علامات السماء وأعدادها ، تلك هى لغة الآلهة ، فالأعداد التى على
أساسها يقسم الزمن هى الأسس المقدسة ، والقوة والمفتاح فيها لكشف الغامض .
ولأنها ترمز إلى النظام فى العالم والتوافق فى الأحداث الموافق للتناغم السائد فى
النواثر العليا والتوراة هى العربة ، وجند السماء مفسروها ، والراؤون المنجمون هم
الحكماء عارفو الدين والمصير وفاهمو إرادة الآلهة والحكمة هى بحث إحصاء السنين ،
وخاصية السنين وترتيب الأعداد ، وعلى أساسها يصمت العالم ، لأن صورة العالم ليست
سوى صورة دقيقة لصورة السماء .

وعندما انتقل الباحثون لتوضيح تفاصيل هذه الرؤية وطرق تأثيرها على الشعوب

أدركوا أنها قد تغلغلت تغلغلاً عميقاً داخل الثقافات الإنسانية وتأصلت فيها آلاف السنن ، وأن الشراكة البابلية غنية بالقيم ومتعددة الصور ، مفسرة على أساس تتابع التأليف المرتبطة بالعهد القديم ، ولغتها جميعها متضمنة في داخلها .

١٠- فينكلر

لم يكتف هوجو فينكلر مبتدع الأسلوب البابلي الشمولى فى بحث العهد القديم بتلك القرابة للأعداد المقدسة وصور الأوامر بإحصاء الأزمنة وأسماء الشهور ، تلك القرابة التى توصل إليها بالفعل القدماء ولم يكتف أيضاً بتلك المقابلات الثقافية والمؤلفات التى أحصيناها والموجودة داخل أدب الكتابات المسمارية ، وكذلك فى العهد القديم ، بل خرج ليقرر أن كل الأساطير والروايات الموجودة فى العهد القديم بداية من روايات الآباء وانتهاءً بانقسام الملكة بعد سليمان ، كل ذلك مؤسس على أساس الميثولوجيا البابلية ، وحتى الأحداث التاريخية للأبطال الذين عاشوا حقيقة نُمقت على إطار المؤلفات فى روايات الخرافة البابلية التى أساسها فى علم التنجيم القديم . فإبراهيم من أور الكلدانيين هو ابن إله القمر ، وأساسه فى الخرافة البابلية تموز أخى زوجته عشتروت ، وكان سكته قرية أربع ، ويعد تملك داود فى حبرون نسبه صاحب الأسطورة لهذا المكان . ويعقوب أبو الأسباط الإسرائيلية فى الشمال ، هو أيضاً ابن إله القمر فى بيت إيل . وإبراهيم هو إله الاتجاهات الأربعة (قرية أربع) والأيام السبعة (بئر سبع) . ويعقوب أبو الاثنى عشر شهراً (الأبناء - الأسباط) . فالأول يرمز للقمر بنسبه للشهر والأخير بنسبه لفصل السنة . وأبناء يعقوب الاثنان وسبعون ولداً لخمسة نساء (أيضاً تحسب زوجة يوسف عند الإحصاء لأنها أم سبطين) مثل عدد أيام السنة (٧٢ × ٣٦٠) وذلك على أساس إحصاء الفصول فى الكتابات المسمارية .

ويرى أثر خرافة إله القمر فى بابل على كل الروايات بشأن عشيرة يعقوب . اسم حماه لابان (قمر) وليئة التى "عينها لطيفة" ما هى إلا القمر فى انبعاثها (لطف بنون لمعان) وراحيل "حسن الصفة" هى القمر فى اكتماله ، وأعطت جارية لكل واحدة منهن ، إذن هى الفصول الأربعة للقمر ، التى منهن ولد الاثنا عشر ابناً - الشهور . فولدت ليئة ليعقوب ستة أبناء وبنت واحدة ، هذا يعنى آلهة السبعة أيام فى بابل الذى أحدها (إله اليوم السادس) امرأة . دينه هى المولود الأخير لليئة ، لأن اليوم السادس هو الأخير فى الأسبوع . وها هو ذا رأوبين يقابل إله اليوم الأول وفيما يتعلق به : زحل

قيل: "لأنك صعدت على مضجع أبك حينئذ دنست" (التكوين ٤٩: ٤) وهو ما يطابق
 الأسطورة عن زحل وأبناء ليئة سبعة وعشرون (١٢: ٤٦-١٦) وهو ما يطابق عدد أيام
 الشهر البابلي الناقص (٢٧ يوماً ، وسبع ساعات وأربع وثلاثون دقيقة وخمس ثوان)
 أبناء زلفة سارية ليئة أربعة عشر (التكوين ١٦: ٤٦ ، ٢٧) وأبناء بنيامين عشرة وأبناء
 بلهة خمسة وهما سويا تسعة وعشرون ، وهو يطابق عدد أيام الشهر الكامل (تسع
 وعشرون يوماً ، واثنى عشرة ساعة وأربع وأربعون دقيقة) وبنيامين أصغر أخوته "بن
 أوني" هو الشهر الأخير من السنة. أما "ثلاث مائة فضة" التي أعطيت لبنيامين فهي
 الثلاثون يوماً لشهر شيلو ، وخمس حلل (التكوين ٢٢: ٤٥) هي الأيام الخمسة المحرمة
 فيه ، والمكاملة السنة على أساس التقويم البابلي ، ويوسف هو إله الشمس (لذلك يقال
 عنه : نوهياوا الهدية إلى أن يجئ يوسف عند الظهر" (التكوين ٢٤: ٤٣) ، وهو نفسه ابن
 يعقوب إله القمر ، وكما أن يعقوب اتخذ لنفسه بنات لابان (لبنه) نسوة من بلاد آرام ،
 أرض القمر ، كذلك هيبت يوسف إله الشمس إلى مصر ، أرض إله الشمس واتخذ لنفسه
 زوجة من بيت كاهن الشمس في سلطان هليوبوليس ، وليوسف ابنان ، هما نصف السنة
 (الصيف والخريف) . ويعقوب صالب بيديه ، لأن في تقويمات الشرق انقسمت النظم
 بواحد من قسمي السنة بداية بالصيف أو الخريف ، كما أن تفسير الكلمة تشيرى في
 بابل (بداية) هذا يعنى بداية السنة على الرغم من أن التقويم البابلي تبدأ السنة فيه
 بشهر نيسان . عيسو (أنوم) هو إله الربيع وهو صائد مثل تموز ويهوه إله موسى في
 حوريب هو إله البرق والرعد مثل حلية - هدد في الميثولوجيا الكنعانية ويقال عن
 موسى ، "ولم تكل عينه ولا ذهب نضارته" (التثنية ٣٤: ٧) ، مثل تموز الذي يموت مثل
 حرارة اليوم في الصيف ويكو سبعة أيام على يعقوب إله القمر ، لكن يقال عن موسى
 فيكي بنو إسرائيل موسى في عربات مؤاب ثلاثين يوماً ، فكملت أيام بكاء منحة موسى
 (٨: ٢٤) وهكذا كانوا يبتكون تموز ثلاثين يوماً وسموا الشهر باسمه ، وميلاد موسى
 يشير لأسطورة سرجون ، والذي أيضاً عند ميلاده وضع وسط النهر في سقطة من
 البردي مطلى من الداخل والخارج ، والته أربعون سنة في الصحراء إشارة إلى تجوال
 جلجاميش في الصحراء ليجد الحياة لأجل صديقه الذي توفي ، ويسمع صداها أيضاً
 في تجوال إلهو في الصحراء أربعين يوماً.

وهكذا يواصل ويحصى علامات خرافة المتجمين في الرواية عن يشوع (اشتراك

الشمس والقمر في حربه، مثل اشتراك نور الفجر في حرب الجبارين ضد بابل ،
والاثنا عشر حجراً التي أقامها على شاطئ الأردن هي مثل الاثنتي عشرة صورة
للحيوانات المقدسة القائمة على أساس أسطورة بابل على شاطئ مياه العالم في
السماء؛ وفي الرواية عن جدعون (غراباً وذبناً أميرى مدين (القضاة ٢٥: ٧) ، تطابق
موضوعات حكام شرقيين كثيرين؛ وأخرج جدعون ضد أهل سكوت سبعة وسبعين من
عظمائها - (١٤: ٨) ؛ وهو ما يطابق اثنين وسبعين يوماً ، خمس السنة في بابل بضم
الخمسة أحماس نفسها؛ وكان لجدعون سبعون ابناً وهم سويلاً مع أبيمالك ويوثام
الذين أنقذا، فإن ذلك مرة ثانية يمثل الاثنين وسبعين يوماً (الخماسية) ، وفي عمل
شاؤول (الرواية عن زيارته في عين دور عند العرافة الساحرة - صموئيل الأول ٢٨ ،
تقابل الرواية عن أوديسيوس الذي يسأل فيها تيريزيس الرائي، وزيارة جلجاميش لهيكل
نرجل إلهة العالم السفلى من أجل إبعاد شر الموت، ويطلب مشورته. والرواية عن موت
شاؤول مملوءة تفاصيل خرافية عن القمر: فيحكى عن شاؤول أنه مات على سهمه ،
وقطع الفلسطينيون رأسه ، أيضاً إله القمر موصوف على أشكال طبرية، بيت شان
وكيرسيا وغيرها مع سيف ورأس مقطوعة. في قصة يونانان (قوسه إشارة لإله
الشمس مثل السيف لإله القم) . وفي الروايات عن حرب داود وجليات (جليات الضخم
يرمز للسنة سريعة الزوال وداود الصغير رمز للسنة وشبكة القنوم، والخمسة أذرع
والشبر لجليات هي الخمسة أيام والربع المتبقية من الاثني عشر شهراً ذات الواحد
والثلاثين يوماً في نهاية السنة؛ وجليات العملاق يطابق أوريون سيء الحظ؛ سيف
جليات "مثل منوال النساج" يطابق عمود أوريون ، والحجارة الخمسة التي رماها داود
تطابق الخمسة أيام الكبيسة التي فيها ينتصر) .

وفي أسطورة أمنون وثامار (ثامار - عشتورت خبازة الخبز (العجين) نصفها
شابة ونصفها امرأة أخيها - أرض الصيف والخريف؛ وأمنون - تموز - نصفه شاب
ونصفه زوج وأخ في نفس الوقت، بالمطابقة لشمس الصيف والخريف)؛ وفي أوصاف
(صفات) داود (اسمه منبثق من بود ، ألوهية التميز، وهو أشقر مثل مزج ، خصلات
شعره ترمز إلى قرون الشمس ، ومثله يرمز أيضاً أبشالوم في شعره لبطل الشمس)؛
وفي صفات سليمان (يرمز إلى الشمس الغائبة في نصف السنة الثاني، صورته في
بابل - نبو ، إله الخريف، من هنا حكمة سليمان لأن نبو إله الحكمة والكتاب) .

والأمر باختصار ليس فقط التفاصيل تطابق روايات الخرافة البابلية بل بمثابة أساس لكل روايات الأسفار التاريخية في العهد القديم الموجهة بأسلوب محدد وثابت ، هو أسلوب علم التنجيم البابلي المرتب نظام العالم وطرق الأحداث على أساس قوانين خطة السماء ، وترى فيه فقط علامات وتعبيرات للأحداث السماوية.

١١- يرمياس

ولأن فينكلر وتلميذه يرمياس - الذي لم يبتعد عن أسلوب أستاذه - لم ينكرا وجود جوهر حقيقي لأحداث الأسفار التاريخية في العهد القديم، وكشفا القناع الذي على أساسه حاكى العبرى القديم علم التنجيم البابلي، ووضعها في نطاق الفلسفة التي توضح الأحداث وتنظمها وسط رؤية العالم المقبولة له من الثقافة البابلية ،فقد ذهب ينسن إلى أبعد من ذلك .ففى كتابه "أسطورة جلجاميش فى الأدب العالمى " رأى أن كل روايات العهد القديم ليست سوى نسخ مختلفة ومتغيرة لأساطير الملحة البابلية، وأن كل أبطال التاريخ العبرى القديم لم يوجدوا ولم يخلقوا، بل هم نتاج الميثولوجيا وهم أبطالها بأساليب مختلفة ، حيث تختلف هذه عن تلك على أساس السبب والمكان.

١٢- دلييتسش

إلى هذا الحد وصل الاتجاه البابلي الشمولى فى نقد العهد القديم .فقد اتجه إلى البحث فى الكتابات المسمارية دعماً وتوضيحاً للكتابات المقدسة .وندهش لكثرة وجوه التشابه إلى حد التطابق الكامل وأدى إلى فقدان الإحساس بقوة الكتابات المقدسة .وأصابته هذه التداعيات الفكرية الجديدة الباحثين الجدد بالانبهار ،وأثرت سلباً على الوضع المميز للكتابات الأدبية لجماعة بنى إسرائيل وإحياء الرغبة القديمة لدى بعض النواثر فى نسبة قيمة العهد القديم إلى شعوب أخرى خارج جماعة بنى إسرائيل ، بل ربما خارج الساميين الأمر الذى شجع أيضاً على الابتعاد عن مجالات العالم العلمية وطرح الأسئلة حول العلاقة التاريخية بين العهد القديم وبابل والتي تحولت بسرعة إلى قضية بين هاتين الثقافتين.

وقد تحول فريدريك دلييتسش فى خطبه العلنية إلى طرح قضية "من أقدم من من ؟" إلى قضية من انتصر على من ؟ وقد كانت الإجابة طبقاً لفهم السامعين أصحاب التأثير فى العالم النصرانى وغير المتحمسين لإسرائيل .فقد وجد دلييتسش فى قوانين

حمورابى درجة أخلاقية متسامية أكثر من تلك الموجودة فى سفر العهد ، وفى رأيه تفوق قصائد المزامير البابلية قصائد مزامير العهد القديم ، وأنبياء يهوه هم عنده أنبياء العزلة والاستعلاء الذين ماتوا حقداً على الشعوب الأجنبية وبذلك خطوا من قدر القوة الأخلاقية فى إرث بابل، كما أن بابل كانت مصدر فكرة وحدة العالم والأخلاق العالمية ، حتى إن أصل الاسم يهوه من هناك ، وكانت هذه إحدى السقطات الكبيرة لبحث العهد القديم الرافض للمنهج العلمى .

١٣- بنو إسرائيل بين شعوب الشرق

ومع ذلك استمرت مسيرة البحث ، ولم تتأثر بهذا الحدث العارض فى تاريخه . وقد أفاد الجدل الشديد الذى نشأ بمناسبة كشف الاتجاه البابلى الشمولى فى الوقوف على أهمية الثقافة العبرية وأدبها داخل ثقافة الشرق ، كما أفادت الاكتشافات البابلية سويًا مع الحفائر المصرية كثيراً فى كشف العلاقة بين بنى إسرائيل والشعوب التى عاشت بينها . وقد كتب بينوتش ومارتى وسيلين أبحاثهم المختلفة عن تاريخ بنى إسرائيل وديانة العهد القديم فى ضوء ثقافة شعوب الشرق وكفوا عن رؤية عالم العهد القديم فى شكل مستقل ومنفصل عن كل ما حوله . وتم الكشف عن وجه الشرق القديم وانبعثت منه الأشعة المضيئة لتتبع تاريخ بنى إسرائيل فى عصر العهد القديم ، الذى كان مادة متفاعلة وخلقة ، تتغذى على معطيات شعوب الشرق وتغذيها .

القسم الثانى

النقد العلمى

الفصل الحادى عشر

الاتجاهات الحديثة

١ - تشعب المصادر

انحصرت مدرسة فلهاوزن في بحث أسفار العهد القديم والتعرف من خلالها على تسلسل أحداثه ، حيث لم تتوقف عند حدود التعرف على طبيعته فقط وكما ذكرنا فقد انتهى البحث بعد عدة أجيال على يد علماء نظرية تقسيم المصادر ، وعلاوة على هذا التقسيم للمصادر فقد أضافوا تشعيب المصادر التي اعتبرت كاملة وتامة . وبدأ العلماء يقررون بصورة تدريجية أن كل مصدر من المصادر الأربعة الأساسية مركب من مصادر مختلفة ومن أجزاء مميزة ، وبخاصة فيما يتعلق بالمصدرين اليهودي والأكوهيمي ، اللذين هما طبقاً لرأى هذه المدرسة نتاج مؤلفات شعبية ، ولأجل هذا تكثر فيهما القيم والأساليب ، والإشارات للمكان والزمان ، وتنقصهما الوحدة الداخلية المميزة أكثر للمصدرين التثنوي والكهنوتي . وبدلاً من المصدر اليهودي الكامل بدأ الحديث عن اليهودي أ ، واليهوي ب ، واليهوي ج ، إلى آخره (واستخدمت كإشارات لطبقات مختلفة داخل هذا المصدر) وأيضاً بدلاً من المصدر الأكوهيمي الكامل افترضوا الأكوهيمي أ ، والأكوهيمي ب ، والأكوهيمي ج . وغير ذلك . فنظرية المصادر تطورت مرة ثانية من جديد من نظرية وحدة المصدر إلى نظرية الأجزاء المنفصلة ، حيث اختفى هذا الاتجاه التقليدي وقلت قيمته العلمية.

٢ - زمن الحصاد

وقد وصل علم العهد القديم بذلك إلى جنى الثمار حيث قام جيل من العلماء بتلخيص النتائج وتحديد الغث من الثمين ، لتمهيد الطريق العلمي أمام الاتجاهات المعاصرة وجمع نتائج البحث العلمي لتستفيد منه الأجيال على مر العصور.

٣ - ألوان قوس قزح والعهد القديم

وحاول بويل هويغت جمع نتائج نقد النقد بتوجهه مع جماعة من الباحثين لإصدار العهد القديم وتحديد المصادر بالألوان المختلفة مستخدماً ألوان قوس قزح المتعددة ، حيث طبع كل مصدر من المصادر بلون والمصادر المثبتة عن المصادر بلون آخر ليظهر للعين . أما ر . كيتل فقد جمع النقد النصي وتعديلات النصوص التي تم التحقق منها والتعرف عليها ، وذلك في طبعته العلمية لنسخة العهد القديم .

٤ - تفسيرات نونفاك ومارتى ودرافير

أما فيما يتعلق بنتائج الحفريات وتوافر الوثائق الأدبية والفنية الموازية للكتابات المقدسة والمساعدة فى فهمها، والتي اكتشفت فى بابل وأشور ومصر ، فقد قام بجمعها ومعالجتها وترتيبها ومقابلتها، كل من هـ. جيرسمان مع زميليه أ. أونجناد وهـ. رانكه. وأما نتائج علم العهد القديم الكاملة فقد جمعها المفسرون الجدد للعهد القديم، الذين اعتمدوا على أعمال نونفاك ومارتى باللغة الألمانية، ودرافير ، ويلومر وبريجز باللغة الإنجليزية.

وقد تمت التفاسير الرئيسية لكل سفر من أسفار العهد القديم، وتم شرح كل نص بواسطة مفسر من شيوخ النقد التاريخي، وجمعت كل نتائج البحث التى تحققت بواسطة العلم ، وتم التسليم بها كقانون، وأصبح قانون التطور التاريخي الحجر الأساسى لكل معلمى مدرسة فلهاوزن فى نقد العهد القديم ولكل الأعمال التابعة لمناهجهم ومدارسهم.

ومع هذا التطور العلمى والفكرى أصبح من السهل للبحث العلمى التغلب على جدل تعدد المصادر الذى ساد نقد العهد القديم فى بداية هذا القرن، وأدى إلى تغيير هذا النمط .وقد رأينا بالفعل من خلال الاختلافات بين "الكتابات المسمارية والكتابات المقدسة "التصورات الجديدة التى استمرت وفتحت طريقاً جديداً للبحث ، فمن خلال الموازنات والمقارنات التى تمت بين كتابات بنى إسرائيل ووثائق بقية شعوب الشرق اتضح أن ثقافة بنى إسرائيل لم تنبعث من وحدتها ، بل مرتبطة وملتصقة بالحياة الدينية والاجتماعية لشعوب الشرق ، ومتأثرة بترائهم، ومع ذلك فإنها لم تشوه جوهرها ، بل حافظت على قيمتها وقوتها .وفىما يتعلق بأسلوب النقد الذى ساد فى الأدب العالمى على مشارف القرن العشرين، والذي توجه إلى البحث النفسى والجمالى (علم الجمال) فى الأعمال الأدبية فقد أصبح على الناقد الحصول على المعرفة اللغوية والتعرف على البحث الفيلولوجى ، كما تطلب أيضا معرفة الحالة النفسية المباشرة للمؤلف والروح المسيطرة عليه، وهذا ساعد أيضاً فى تطوير هدف جديد لنقد أدب العهد القديم .كما تطور أيضا بحث الوثائق الجديدة التى كشفت بواسطة علماء المصريات وعلماء الدراسات البابلية، مثل القصائد الغنائية فى المزامير وأشعار المديح، التى كانت فى البداية تبدو لا قيمة لها عند النقاد ، وتسببت فقط فى تدهور قيمة الكتابات المقدسة .

وقد ساعدت هذه الوثائق في تمييز صورة هذه المؤلفات وأساليبها وأنواعها. وبصورة تدريجية نجح نقاد العهد القديم في الكشف عن الوحدة الأدبية والتعرف عليها من بين غبار العصور كاملة وسليمة ، ودمجها في مادة واحدة.

٥ - جونكل وكتابه "تاريخ الأدب"

وبالنظر إلى عمل إيربنتيل ، والوقوف على أسلوبه ، ومعرفة ما تنبأ به هيردر ولم تصغ له أذن ، وما حاول أن يكمله د . كاسل ولم تمنعه قوة ، يمكن القول بأن البحث العلمي الحديث قد شق له طريقاً واضحاً ، وخطاً به جونكل خطوة للأمام . فقد عرف من خلال تاريخ أدب شعوب الشرق أن الأدب لم يكن من بدايته مدوناً . وقد ابتدأ الأدب بقصائد وأمثال ، وفرحة الانتصار ، ورناء الموتى ، ومؤلفات قصيرة ، وقواعد قانونية وطبية ، وصدى أحداث ورفقاء ، واضطرابات الشعب . كل هذا تم إعلانه مشافهة عن طريق مغنين أو رواة جيلاً بعد جيل . وقد تعقب هذه الأمور داخل نصوص العهد القديم فوجدها سواء في صورتها القديمة أو في شكل صدى يتم ترديده وكما هي مطمورة داخل المؤلفات الأدبية للأنبياء . فرأى لابان يرافق يعقوب وبناته "بالفرح والأغاني بالدف والعود" (التكوين ٣١: ٢٧) ووجد النبي يتفاخر لسقوط صور التي يجملها قيثاره ، ويغني لها "كأغنية الزانية" نخذي عود طوفى في المدينة ، أيتها الزانية المنسية ، أكثرى الغناء لكى تذكرى " (إشعيا ٢٣: ١٥-١٦) وكذلك أبطال الخمر ، فمن بعد وليمة كانوا يغنون أغانيهم على كأس ملأته ، وفي سبعة أيام الشرب كان الفتيان يحاجون ألغازهم (القضاة ١٤: ١٢) وعند موت شخص يجتمع حوله الندابون والندابات ليواصلوا عليه النواح بالغناء ، وقامت دبورا بالغناء لدعوة الشعب للحرب (القضاة ٥: ١٢) ، وعن طريق الأغنية هاجم الجيش أعداءه (الخروج ١٧: ١٥؛ العدد ١: ٣٥-٣٦) ، وبالأغنية كان البطل يمنح صوته بحديثه لأعدائه بدلاً منه (التكوين ٤: ٢٣) ، وقابلت بنات إسرائيل البطل بالأغنية عند عودته منتصراً من ساحة المعركة (الخروج ١٦: ٢١) ، صموئيل الأول (٧: ١٧) وبعض هذه الأغاني القديمة ، أو كلها قليل في كمه ، ذو تعبيرات محدودة ولا تزال باقية داخل العهد القديم ، وبهذا طعن في بداية أدب بنى إسرائيل ولأن أسباط بنى إسرائيل القديمة توصلت للمياه أثناء حفرهم بئراً في أرض صحراوية ، رفعوا صوتهم مغنين:

"أصعدى أيتها البئرا " : أجيبوا لها .

يثر حفرها رؤساء،
 حفرها شرفاء الشعب .
 بصولجان يعصيههم . (العدد ١٧: ١٨-١٨)
 ويسبب أخذ تابوت العهد مع الجيش لكى يقف إلى جانب إسرائيل فى خروجهم
 لمواجهة العدو، ابتهل الجيش:
 قم ، يهوه ،
 فليبتدأ أعدائك،
 ويهرب مبغضوك من أمام . (العدد ١٠: ٣٥)
 وعندما أعيد التابوت إلى الهيكل صرخ الشعب صرخة الفرح فى مقابلته :
 ارفعن ، أيتها الأرتاج ، رؤوسكن .
 وارتفعن أيتها البوابات الذهبية،
 فيدخل ملك المجد . (المزامير ٧: ٢)
 وفى رؤية النبى فى نبوءة شعوب الأرض فى سيرهم فى نهاية الأيام للسجود
 على جبل بيت يهوه، وما هو يسمع أغنية العائدين مقتحمين أيضاً بأصواتهم:
 هلم نصعد إلى جبل يهوه،
 إلى بيت إله يعقوب . (إشعيا ٢: ٣؛ ميخا ٤: ٢) .
 وقَدِّمُ الأساطير القديمة والموروثات التاريخية التى كانت منتشرة فى بنى
 إسرائيل، مثل أقوال الأناشيد، والأقوال الماثورة للقضاة وتعاليم الكهنة، وأمثال
 الشيوخ الراسخة فى الأذهان تلك هى الأساطير القديمة عن الخلق وجنة عدن وأبناء
 الله الذين جاؤا لبناات البشر والطوفان وجيل الانقسام تلك الأساطير القديمة قصيرة
 وكل أسطورة قائمة بذاتها.
 وبعد ذلك ترد الأساطير الطويلة والمرتكزة حول شخصيات (موسى، يشوع،
 جدعون، عادى وصموئيل، داود وسليمان، إيلياهو والأنبياء)، واتصفت الشخصيات
 نفسها بقوة عظمتها، والتفاصيل مشوشة، والمعجزات متزايدة ، ومع ذلك استمرت
 وتطورت عنها الرواية التاريخية.

أيضاً كانت أقوال يهوه ووصاياه لبني إسرائيل فى حالتها القديمة أقوالاً ماثورة قصيرة وواضحة وحادة ومألوفة فى أفواه الكهنة معلمى الشريعة (ربما حفظ منها ما ورد فى الخروج ٢٤: ١٤-٢٦) وبعد ذلك ضمت للوصايا العشر (الخروج ٢٠، التثنية ٥). وكذلك فإن قوانين سفر العهد القديمة فى صورتها وقصرها (الخروج ٢١-٢٢)، وبعد ذلك تطورت عنها التعاليم حتى أظهرها رجال الأدب فى القرن الثامن قبل الميلاد وأخرجوا الأدب من نطاقه الشعبى وبدأ الأنبياء خطباء فحسب ونقلوا أقوالهم أمام الشعب، وتنبأوا فى البداية نبوءات قصيرة وقاطعة، ويمرور الزمن فقدت أجزاء هذه النبوءات وتطورت إلى مواظ حتى ظهرت اللغائف والأسفار.

٦ - بحث الأجناس الأدبية

وقد انتهى جونكل من دراسة كل هذه الأجناس الأدبية، الشعرية (المثل، أقوال النبوة، والأنشودة الغنائية) والنثرية (الخرافة، الأسطورة، الحكاية، والرواية التاريخية)، ثم شرح هذه الأجناس واحداً واحداً حسب أنواعها، سواء القصائد الدنيوية (أغاني السخرية، أغاني الخمر، أغاني الحب، أغاني الزواج، أغاني النصر، أغاني الملك) أو القصائد المقدسة "الدينية" (التمجيد والتسابيح، مراثى الجماعة، والمراثى الشخصية، المزامير والتضرعات) وبتعمقه فيها وفى عالمها الفريد فى كل نوع وجنس، وجد الصور الثابتة لكل جنس من هذه الأجناس، وكذلك طرق تطورها من درجة إلى درجة.

وانتهت مدرسته من وضع قاعدة أن الأدب القديم والبدائي كان أكثر ارتباطاً بالأصل الثابت، والأسلوب المألوف، وحذر جداً فيما يتعلق بتجديد صورته والحرية الأدبية. وساعد تحديد هذه الأنماط كثيراً فى تطور طرق نقد بحث العهد القديم وتطوير طرق جديدة للتمييز بين المؤلفات الأدبية المختلفة فى العهد القديم واستخراج الصور منها.

وقد عمقت الكنوز الأدبية من الأساطير والتمجيدات التى قدمها علماء بابل ومصر أثناء تنقيباتهم المعرفة بأنماط الكتابات، ووجهت بحث التاريخ الأدبى لبني إسرائيل تجاه فهم تاريخ الأسلوب والصورة. ويبدأ السؤال عن المؤلف وعصره بمثابة خطوة هامشية بسبب تركيز الأسئلة حول الجنس الأدبى والعصر الذى ينتمى إليه الأسلوب والبيئة الاجتماعية التى انتشرت فيها جنور هذه الكتابات.

٧- بوده وجيرسيمان

لم يكتف زملاء جونكل وتلاميذه بتقسيم المادة إلى أجناسها فحسب، إنما انشغلوا أيضاً ببحث الأنواع الأدبية ذاتها. وقبل جونكل عالِم بوده قصائد الرثاء في العهد القديم بأساليب تطورها (من المراثية الجماعية إلى المراثية الفردية، ومنها أيضاً المراثية التهكمية على سقوط العدو) ويبحث بعد ذلك قصائد الزواج في العهد القديم. وفي كتابه عن تاريخ الأدب حاول الاستمرار في تلخيص كل هذه الأبحاث. كما أن جونكل نفسه بحث في أسلوب الأساطير في سفر التكوين، ووجد جيرسيمان، في نشره الأساطير عن موسى ونهاية الأيام وتعبيراته الكاملة، اتجاهًا أدبيًا جماليًا عبر عنه في إصداره الجديد لأجزاء الكتابات المقدسة: "مختارات وترجمات لمثقفى العصر، وصدر ذلك بواسطة جيرسيمان وأصحابه.

٨ - أدب شعب فلسطين في العصر الحاضر

وهكذا استحدث لنقد العهد القديم أساليب بحث جديدة لم تكن معروفة عند السابقين، وهذه الطرق الجديدة سويًا مع البحث عن المصادر المتعددة أتاح منابع جديدة منها منبع المؤلفات الشعبية في العصور القديمة جدًا، والتي لم تتوقف عن دفع مجالات البحث إلى التقدم والازدهار حتى الآن.

وفي الآونة الأخيرة كشف هذا الاتجاه للنقد الأدبي مجالاً جديداً، وهو أن فهم العهد القديم وإدراكه إنما يتم من خلال حياة أرض فلسطين وسلوك سكانها في هذا العصر.

فرغم آلاف السنين التي تفصل بين عصر العهد القديم وعصرنا، ورغم التغييرات العديدة والاضطرابات لم يحدث تغيير شديد بين زعماء سكان فلسطين، حتى تجمدت واستقرت بعض مظاهر الحياة، ومظاهر الابتكار، وثبتت نتائج العصر النموذجي في بعض الطبقات في مظاهر عديدة. فبحث هذه الحياة وبخاصة بحث الأدب صار وثيقة جديدة لكل من أراد الوقوف على كشف السر النهائي لشكل مؤلفات العهد القديم.

٩ - دالمان وليتمان وكنعان

قام جوستاف دالمان، أحد أفضل باحثي فلسطين في عصرنا، بجمع القصائد

التي يرددها البدو الرحل عبر النهر وبين الفلاحين سكان الريف في فلسطين :قصائد
دنيوية مثل : (القصائد التي تنشد في الحقل، وفي البيت، وفي الصحراء، وبالقرب من
المرعى، وعلى البئر ، وعلى النار المحترقة، وفي المقهى، وأغاني الميلاد، وأغاني الزواج،
وقصائد الرقص، وقصائد النهب ... الخ) ، والقصائد الدينية مثل (الحج ، ومراثى
الموتى، ومزامير التضرع ... الخ) . ويعدّه أصدر ليطمان مجموع الأساطير المتداولة
وسط بدو فلسطين والأغاني المنتشرة بين الفلاحين، وجمع د كنعان الأقوال الماثورة
وسخریات عرب الريف قبل أن تختفى منها علامات الأسلوب القديم، ونشرت مادة
وفيرة استخدمها أولاً وقبل أى شئ باحثو الأشكال الأدبية في العهد القديم.
واستخدموا على وجه الخصوص أغاني الزواج للمادة الموازية في نشيد الأناشيد
واضطروا إلى عقد مقارنات أسلوبية ليس فقط على مستوى المضمون بل أيضاً على
مستوى الشكل واللغة .

وهكذا استمر المجال واسعاً أمام علم العهد القديم ليستمد هذا المنبع الجديد
مادة لفهم أساليب الحياة، والحياة الاجتماعية لبنى إسرائيل في عصر العهد القديم.
وعلى الرغم من قدم هذا العلم فإنه كان لا يزال في مهده ، وطوال العصور التي كان
فيها بحث العهد القديم إرث كهنة الدين وباحثيه فحسب، لم يتم الانتباه مطلقاً للبحث
الاجتماعي ، ولكن عندما فتحت كنوز شعوب الشرق اتسعت آفاق البحث، وألقى
الضوء أيضاً على حياة الأحداث الاقتصادية والاجتماعية .

١٠- بوهل

وبالفعل لقد تمت بعض الخطوات في هذا الاتجاه ، غير أنها بقيت متناثرة
وقليلة .وعلى عتبة هذا القرن الجديد كان فرانز بوهل يحاول كشف صورة الحياة
الاجتماعية لإسرائيل في عصر العهد القديم، كما أن مؤلفي الآثار القديمة المرتبطة
بالعهد القديم رفعوا هذا الموضوع إلى مستوى فرع علمي قائم بذاته.

١١- ماير

ومنذ أن أسقط الحاجز بين بحث العهد القديم وبحث الشرق أعطيت الإمكانات
لدعم الباحثين في تفسير الأحداث .وبما أن المجالات قد اقتربت، بدأ الباحثون أيضاً
يتبادلون مهامهم، ويكملون كل واحد منهم الآخر .ويقدر ما اكتشف باحثو العهد القديم
اقتراهم من نقد الكتابات المسمارية واتضح رؤيتهم لعالم البابليين، وطرق تطور

الدين فى الشرق القديم ،بقدر ما اقترب مؤرخو الشرق القديم ويأخذو النظم الاجتماعية القديمة من مجال حياة بنى إسرائيل،متزودين بوسائلهم البحثية وخبراتهم، ومتجهين إلى التفاصيل الخاصة بتفسير حياة المنطقة ، وتركيب الطبقات الاجتماعية داخل جماعة بنى إسرائيل ، وعلاقات الطبقات ببعضها فى الداخل وكذلك علاقاتها الخارجية. فكل من ادوارد ماير المؤرخ العالمى صاحب المنهج الشمولى فى دراسة الشعوب القديمة فى كتابه "بنو إسرائيل وأسباط جيرانهم" ويعدده ليمان - هويت أخرج تاريخ بنى إسرائيل القديم كلية من زاويته المنعزلة، وأدخله داخل القوى العديدة فى الشرق القديم . فلم يكتفيا هم ومجموعة من الباحثين الذين انضموا إليهما - ببحث المقابلات الدينية والأدبية بين نتاج إسرائيل والثقافة الدينية لبقية شعوب الشرق فحسب، إنما تأملوا جماعة بنى إسرائيل بوصفها جزءاً جوهرياً من جماعة شعوب الشرق ، حيث تربطهم خيوط اقتصادية وسياسية كثيرة ، وأثرت عناصر مشتركة فى تطورهم منذ بداية تكوينهم.

١٢- كلاينرت وفيبير

فحص باول كلاينرت باهتمام المنبع الاجتماعى، ومصدر الأهداف الاجتماعية لأنبياء إسرائيل. أما ماكس فيبير فقد أفرد كتاباً خاصاً لليهودية القديمة ، وذلك ضمن مجموع أبحاثه عن الاجتماع الدينى، حيث نظر إليها من خلال وجهة نظر التركيب الاقتصادى والاجتماعى لطائفة الفلاحين العبريين فى العصور القديمة، ومن خلال الكتابات الفريدة المتناثرة فى ثنايا روايات الأحداث فى العهد القديم عن الجنود ورؤساء الجنود والمدن وأبطالها ،والشيوخ ورؤساء بيت الآباء، الرؤساء وبسطاء الناس، المعدمين والمتعجرفين، الفقراء والمبغوضين ،الأجانب والمقيم، المرافقين والمواطنين، الملك وعبيده ، الزهاد والأنبياء، العهد والقسم، فبرز له فى ضوء أبحاثه الاجتماعية داخل كل الطوائف الدينية فى التاريخ القديم، صورة شاملة عن الحياة الداخلية وسبل تطورها المثيرة للابتكار العلمى ودفعتها تجاه انتصارات جديدة فى بحث تاريخ الثقافة العبرية.

١٣- نقد النقد

لقد غيرت جماعة المؤرخين المتخصصين فى التاريخ القديم والباحثين فى الحياة الاجتماعية والثقافية بحث العهد القديم مع الأخذ فى الاعتبار أن هذه الجماعة

أصبحت خبيرة بما فيه الكفاية فى بحث العهد القديم، وإن لم تمتلك مطلقاً أرشيفات ، وقد كشفت عن أهمية فرعهم العلمى والنتائج التى توصل إليها نقد العهد القديم فى تطوره التاريخى، وخرجت مفترقة لقانون التطور الجوهري الذى وضعه فلهاوزن بمثابة حجر الأساس لفهم الكتابات المقدسة سوياً مع تقسيم المصادر، وتحديد ترتيبها وروحها، وفقاً لما رسمته هذه المدرسة .

وقد تطورت رؤية مدرسة فلهاوزن عن تأخير زمن بداية حياة بنى إسرائيل بفضل نتائج بحث المصادر مع قواعد البحث التى كانت مأخوذة جميعها من موضوع الأدب المبحوث ، وتجددت الرؤية كثيراً مع الوضوح الكبير الذى جاء من خارج نقد العهد القديم والذى أضاء العصور القديمة وأزال الغموض حولها .

وما اعتبر سابقاً مجموعة منفصلة ومنعزلة تطور وتشابك داخل النسيج المتنوع للثقافة العالمية ، وما رأوه من قبل فراغاً ، امتلا ضجة بحياة مجتمع ونتاج جماعة .

القسم الثالث

النقد عند اليهود في القرن التاسع عشر

الفصل الثاني عشر

علم الدراسات اليهودية في الغرب

١ - مندلسون ومدرسته

عندما تعمق علماء العالم فى بحث أدب العهد القديم، أسسوا مجالات وكشفوا أسراراً .وتقدم الابتكار العلمى من انتصار إلى انتصار، وتحرر النتاج المدهش لبنى إسرائيل من "أثقال الموروث" التى تكسدت عليه خلال عصور عديدة، وبنفس القوة واصل التقدم فى هذا الجانب .

فرائنا فى العصر الوسيط أكثر من مرة قوة الاستتباط لدى بنى إسرائيل ولم تتوقف روحهم الثائرة من أن تمهد طرقاً جديدة فى فهم العهد القديم .ولاكثر من مرة أثر ذلك أيضاً على بحث العهد القديم فى الخارج ورأينا فى عصر سبينوزا ضوءاً ينفذ، ويبرز من مخابئ التفاسير عند الإسرائيليين ليضئ طريقاً لباحثى العهد القديم فى ذلك العصر . غير أن فى عصره كان المنبع غامضاً بالفعل . وطريق النقد، لم يتوقف ليصبح مأكوفاً وسط كل أدب الماسورا، وداخل الأدب الجدلى وأدب المواعظ (الدراش) وعلم الباطن (السود) .

كما توقف أيضاً تعليم بحث العهد القديم عن احتلال المكانة الرئيسية فى المدارس التعليمية، وأفسح المجال للتلمود ، وسيطر التلمود بالإكراه أيضاً داخل المجالات التى خصصت للعهد القديم .وسار الشعب بصورة عامة وتأمل فى عصر العهد القديم من خلال زاوية التلمود والمدرش.

واستمر هذا الوضع إلى أن حدث التغيير الأساسى فى الحياة الروحية بين اليهود على عتبة القرن التاسع عشر .فحتى بداية هذه الفترة الجديدة تغيرت القيم أيضاً فى مجال العهد القديم .وقد بدأ ذلك فى الغرب وبلغه أجنبية .فشق مندلسون لنفسه ولآرائه طريقاً بين اليهود بواسطة ترجمة جديدة للتوراة ، وعلى أساس من تفسيره لها .وكانت بداية عمله وعمل تلاميذه فصل طبقات المدرش والأسطورة وهو عمل تفوق على العمل فى أسفار العهد القديم ، وذلك بالعودة إلى ربى شموئيل بن مئير وابن عزرا وربى دافيد قمحى.

وتم التخطيط لعمل ترجمة ألمانية للتلاميذ ومعلميهم تكون حافزا على الارتقاء بالنزق ، وأيضاً لنشر معرفة الألمانية بين اليهود ، حتى لا يضلوا أنفسهم أكثر من ذلك .وقد صدرت فعلاً الترجمة والشرح بعد أن اشتهرت كتب أستروك وأيشهورن .وبعد أن تجمع بالفعل حول أيشهورن جيل من الباحثين ، غير أن هؤلاء أثروا على الترجمة

والشرح تأثيراً ضئيلاً، فلم يذكر الربى موشيه مندلسون أسترون مطلقاً، وذكر بالثناء "مدخل إلى التوراة" لأيشهورن، وسمح لنفسه أن يقتبس من عنده فقط الأقوال المتصلة بالاختلافات داخل التراجم، وكانت كل مادة البحث عن المصادر المختلفة للتوراة - التي ترسخت في ذلك العصر - لا تزال بعيدة عنه. ومن أقوال موشيه مندلسون: "من الآن ليس هناك شك بأن موسى ربيو عليه السلام سمع كل الأقوال بإرادة الله مع كل التقدير للتشكيل والتنظيم المنسوب إليها سواء في قواعد أو تعبيراتها، والتي لم يختلف منها أمر، وهكذا أعلنها ليسوع ويشوع للشيوخ، وهكذا تسلسل هذا التقليد المتوارث جيلاً بعد جيل".

٢ - آباء علم اليهودية

وسار على مناهجه تلميذاه اللذان اشتركا معه في عمل التفسير وهما: الربى شلومو دوفنا (في تفسيره لسفر التكوين) ونفتالي هيرتس فيزل (في تفسيره لسفر اللاويين).

وإذا تجرأ مندلسون مرة وخرج في ترجمته ضد المفسرين المعترف بهم، أسرع تلميذاه، وبقيّة أعضاء التفسير في البحث عن دعم لأقوال الربى في أسفار المفسرين الآخرين، لتتقياها بتلك الوسيلة في نظر القراء. وإذا تشجع مرة شلومو دوفنا وبعدج عن المجالات التي حددها الربى واقترب من الأسئلة التي أزعجت الباحثين آنذاك، تغلب على رغبته واكتفى بإعلان ملاحظة أنه لا تزال عنده أقوال (انظر على سبيل المثال تفسيره لسفر التكوين ١٢: ٦ - فقرة "والكنعاني آنذاك في الأرض" فيقتبس أقوال الربى شلومو ويتسحاقي ويضيف: "ولا تزال توجد لدى أقوال في هذا، وإذا أطال الله في العمر فسوف أفصل ذلك في موضع آخر").

وتجذب أقوال مندلسون عن صور الشعر العبرى في العهد القديم وأنواع وزنه الثناء لنفسها. فمنذ ذلك الحين ساد في فكر العديد من باحثي العهد القديم اليهود الاعتراف بوجود وزن لقصائد العهد القديم، فقال عزرياً من هادوميم: "يقول لى عقلى، إنه يوجد بلا شك قواعد ونظم للأشعار المقدسة التي ذكرنا، غير أنها لا ترتبط بعدد الحركات، سواء في وحدة كاملة أو غير كاملة، مثل القصائد السائدة حالياً عندنا". وحاول أيضاً تحديد أشكال القصيدة في العهد القديم مثل "مقال ذو نمطين" يمينك

يهوه - معترزة بالقوة - يمينك يهوه - تحطم العدو (الخروج ١٥:٦) أو نو ثلاثة أنماط (انصتى أيتها السموات فأتكلم - ولتسمع الأرض أقوال فمى) (التثنية ١٠:٢٢)، وقرر : "يجب علينا أن نثق فى أن كل القصائد الموجودة فى العهد القديم مثل أنشودة البحر، والبئر ، وانصتوا ، وقصيدة دبورا ، ومزامير داود ، وأسفار أيوب والأمثال والمزامير، تحتوى جميعها على وزن ونظام .

ويدعم مندلسون هذه الملاحظات للرب عزريا ويضيف عليها أيضاً بركة يعقوب وموسى وأمثال بلعام ونشيد الأناشيد والمراثى، وإصحاحات مختلفة فى أسفار الأنبياء، ويقسم أجزاء القصيدة على أساس أنوات القصيدة التى كانت منتهجة فى عصر العهد القديم والتى غُيّت على أساسها، وينصت بتنوq هام للوزن الواقع فيها.

وكان مندلسون أول من كشف وحدد وزن المراثية، المسلم به حالياً فى علم العهد القديم ("صياغة منظمة" للسطر ذى الثلاثة أنماط وللسطر ذى النمطين مثل : "فسقطت عذراء إسرائيل ولا تعود تقوم" (عاموس ٥:٢) ، أو حسب تعبيره "تحدث بإسهاب ونذب باقتضاب") وكذلك وزن أغانى الحب وقصائد المزامير ، وربما كان من ثمار تأثيره أن تلميذه الوفى شلومو دوفنا طبع آنذاك كتابه عن العزف (أسلوب الإنشاد) فى أسفار أيوب والأمثال والمزامير باسم صاحب مؤلف النظرية .

وأصبح العصر عصر هيردر ، غير أن جوهر القضايا مرتبط بتاريخ تشكل أدب العهد القديم نفسه ولم يتشجع بعد أدب الهسكال فى ذلك العصر للاقترب منها . وكان مندلسون يعرف بلا شك أن " المترجمين النصارى بما أنه ليس لديهم قبول لحكمائنا طيب ثراهم ... فهم يتعاملون مع أقوال التوراة مثل التعامل مع سور محطم .. يضيفون ويحذفون ويغيرون فى تورا يهوه بوليس فقط فى التشكيل والنبر ، بل أحياناً فى الحروف والاختصارات . وعلاوة على ذلك فإنه لم يشجب كلية هؤلاء العلماء " ، لأنه طبقاً لمنهجهم التوراة ليست سوى مصدر "المعرفة الأحداث فى العصور القديمة مثل سفر أخبار الأيام ، غير أنه إذا قبل ذلك علماء الشعوب وتلاميذهم، فإنه ليس مقبولا لدى اليهود . " وهكذا تم تقرير مصير بحث العهد القديم فى مدرسة مندلسون.

٣ - الإصلاح والعهد القديم

كانت العناية بالتفسير الحرفى (البشاط) والارتقاء بالتنوq (النبر) تمثل الخطوات الأولى لحركة الهسكال فى مجال العهد القديم ، وعلى مجد شيوخ هذه

المدرسة نشأ جيل من الباحثين دعموا قوتهم بتأويل فروع العلم وطرق البحث المتبعة في عصرهم لتدل على قدم إسرائيل واضطراب ماضيها والآراء العبرية التي تحررت ، صارت من أجل أحقية نشأتها وسيادتها التاريخية لتطبع أثرها أيضاً على القيم المسلم بها والمقدسة ، وكان من الضروري لعلم اليهودية أن يوضح أنه قد شهد حدوث تغيير داخلي في اليهودية أكثر من مرة ، حتى بعد أن أقرت بمصادرها المعترف بها ، دون تجميد لروحها ، أو لروح إسرائيل في السبى .

وياسم هذه الفكرة حملت أفكار حركة الإصلاح في الغرب ، والتي كانت آنذاك مصدر علم اليهودية بتوجهه تجاه عصور ما بعد العهد القديم . وقد كانت بداية مهمة علم اليهودية في ألمانيا تشويه حياة أجيال السبى ، التي تبدو متجمدة وثابتة .

٤ - يوم طوف ليفمان تسونس

وفي عام (١٨١٨) نشر يوم طوف ليفمان تسونس ، زعيم هذه الحركة العلمية ورائدها مؤلفه الأول الذى وجه فيه انتباه الباحثين اليهود وغيرهم إلى هذه الشعبة البحثية حتى قبل أن يعرف اسمها ، وقد وضع فى مؤلفه قواعد هذا العلم كما وضع الأساس لتصنيف عصور ما بعد العهد القديم . وأطلق على مؤلفه اسم "قضية الأدب الربانى" وذلك بالتركيز على الربانيين وليس على اليهود جميعاً . وفى أحد مقالاته الأولى فسر موضوع : "أدب العهد القديم" بأنه صيغ على أساس من الثقافة النصرانية ، ولذلك كثر الباحثون فيه ، أما الأدب المتأخر فهو إرث اليهود وحدهم . وفى عصره نسى ذلك فى بنى إسرائيل ومن من جيل ذلك الماضى ملزم بالاهتمام بهذا الإرث وبحثه .

وفى نفس الوقت جاهد تسونس فى سبيل وضع نهاية لفكر دى - فته . ووهب تسونس نفسه لهذه المهمة مديناً بالفضل لوجود منقذين للعهد القديم وبناءً على هذا اعتبر تسونس السماح ببحث العهد القديم بداية علم اليهودية . وتمسك تلاميذه بهذا الأمر . فنجد أنونارد جناس رائد الجمعية الأولى لعلم اليهودية التى تأسست (١٨٢١) ، فى خطاباتهِ عن مهمة هذا العلم ، لا يدخل نقد العهد القديم فى الحسبان . وكرس تسونس مؤلفاته لبحث أدب العصر الوسيط ، وعندما توجه بوست لكتابة تاريخ اليهود فى كل العصور ، لم يكتشف شيئاً جديداً مطلقاً فى عصر العهد القديم وصدرت

فى السنوات (٣٧-١٨٣٨) ترجمة ألمانية كاملة للأربعة وعشرين سفرًا المقدسة تحت إشراف تسونس نفسه، وبصورة عامة اعتمدت هذه الترجمة على إرث مندلسون كما كانت مقيدة بالماسورا.

وقبل عام من إصدار الترجمة، أصدر هـ. إرنهيم تفسيراً باللغة الألمانية لسفر أيوب، ولم يسمح لنفسه بالابتعاد عن نص الماسورا. وقد كان إرنهيم أحد مساعدي تسونس الأساسيين فى ترجمته. وقد كان مـ زخس مساعد تسونس الثانى وقيلاً للماسورا، فأصدر ترجمة وتفسيراً لسفر المزامير قبل عام من إصدار ترجمة تسونس، وعرف تسونس بعد ذلك أنه لا يمكن اتباع كل نسخ الماسورا، ومع ذلك فقد اعتمد عليها وكذلك فعل مساعده الأساسيان فى الترجمة، وقد أثنى عليه آباء العلوم اليهودية فى ذلك الجيل.

لقد امتدح معظم مؤسسى البحث التاريخى بين اليهود البحث فى العصور المتأخرة، وأما عصور العهد القديم فكان الاقتراب منها غير مرغوب فيه. ومع ذلك فقد امتدح بصورة غير مباشرة، باستثناء بعض موضوعات البحث وبخاصة قصة الخلق فى العهد القديم، وأيضاً حياة الشعب وروحه فى عصر العهد القديم، وأما الموضوعات التى انتشرت بشكل واسع فهى: تاريخ العهد القديم منذ تئبيتته، ومضمون هذا الأدب المقدس ومستقبله، والنسخ والتراجم وتفسيرها، وتم الاهتمام بالأسفار المتأخرة ذاتها مثل أسفار الكتابات وأخبار الأيام واستهل تسونس بحث هذه الأسفار فى تأليفه الكبير: "تاريخ المواعظ (الدارشانون)"، ودعامة نشاطها وقوة نتائجها. وحل تحت مجهر النقد سفر المزامير، ووجد فيه العديد من المزامير التى وضعت زمن السبى البابلى، وبعضها وضع بعد العودة بوقت طويل، وبعد توضيح مفصل وضع قاعدة وهى: أن الترتيب الأخير لسفر المزامير بدأ فى عصر واحد مع تأليف سفرى أخبار الأيام. ويحل بوضوح رائع مضمون سفرى أخبار الأيام ويحدد ملامحه التى اعترف بمعظمها كقانون من قبل كل باحثى ذلك العصر.

وقد كان رأى تسونس أن هناك هدفاً دينياً محدداً للمؤلف الذى يرجع عصره إلى زمن الهيكل الثانى، ولهذا الهدف أخضع المادة التاريخية المتوافرة أمامه. وقد فحص - المؤلف - الماضى القديم من وجهة نظر عصره ودائرته دائرة الكهنة، ونسب للشخصيات النموذجية المعترف بها عند الشعب القيم والأفكار التى قدست فى عصره.

وفى البداية لم تكن أسفار أخبار الأيام وعزرا ونحميا سوى سفر واحد ، وكان غرضه أن يحكى للجيل كل تاريخ مملكة يهوذا ، وذلك فيما يتعلق بشأن الهيكل على رابيته ، وكرسى داود فى موضعه ، وذلك من وجهة النظر المعاصرة لحكومة الكهنة زمن الهيكل الثانى . ثم اكتشف أن هذا السفر وهو أول أسفار الدراش قد ألف فى عام ٢٦٠ ق.م ، وعلى أساس من هذه الحقيقة أدخل السفر فيما بعد داخل الكتابات المقدسة . وعلى أساس من وجهات نظر أخرى قرر تسونس : أن العهد القديم قد تم قبل زمن دمار الهيكل الثانى بفترة قصيرة ، ويعد أن ترجم سفر ابن سيرا لليونانية . وقد تم الاعتراف برأى تسونس عن سفرى أخبار الأيام بكل ما فيه من تجديد وقد أقر به الربى نحمان كروكمل ، واتخذ كبناء أساسى لكل أسفار الكتابات من قبل أبراهام جايجر .

٥ - أبراهام جايجر

بدأ جايجر - بكتابه "النسخة الأصلية" والذى يمثل أساس كل مؤلفاته - يبحث زمن الهيكل الثانى منذ العودة من بابل وحتى عصر الحشمونيين ، كما يربط التأثير الحاسم فى أدب ذلك العصر بأبناء صانوق ، عشيرة الكهنة ، فقد خرج من بينهم مؤلفو سفرى أخبار الأيام الذين رأوا أنه من الضرورى أن يؤلفوا لمعاصريهم من جديد كل ما حفظ فى الأدب التاريخى السابق عليهم ، لكن بصياغتهم ، أى صياغة الكهنة ، الذين يرون فى الهيكل وعمل الكهنة مركز حياة جماعة بنى إسرائيل . وكان قلقهم الأساسى يكمن آنذاك فى محاربة النساء الأجنبية اللاتى استوطن وسط الجماعة وأثرن على روحها ، وقد وجد جايجر صدى لهذا الصراع فى العديد من التغيرات التى بدّلها مؤلفو سفرى أخبار الأيام عن روايات الأنبياء الأوائل ، فها هو ذا يرد فى سفر الملوك الثانى (٢٢:١٢) لأن يوزاكار بن شمعة ييهوذا زاباد بن شومير عبدي الملك يوأش فتنا فتنة عليه ، وضرباه فمات . لكن نهض أصحاب أخبار الأيام وأضافوا : "وهذان هما الفاتتان عليه زاباد بن شمعة العمونية ويهوذا بادا بن شمريت المؤابية" (أخبار الأيام الثانى ٢٦:٢٤) فأرانبوا التحذير من أن الشر داخل فلسطين مصدره من يتخذ زوجة من بنات الأمم الأجنبية . ويسرد صاحب سفرى الملوك ببساطة " :وأحب الملك سليمان نساء غريبة كثيرة مع بنت فرعون ، مؤابيات وعمونيات وأدوميات وصيدونيات وحيثيات ... " (الملوك الأولى ١١:١) ، أما فى سفرى أخبار الأيام فقد

نهضوا وحذفوا كل هذه الأخبار من رواياتهم عن حياة سليمان، حتى لا يسخر أبناء من هذه الذرية الكبيرة، وكانت ابنة فرعون فقط هي التي كانت الأخبار بشأنها منتشرة بين الجماعة ولا يمكن سكوت البحث عنها، لذلك ذكروها بأسلوب عابر واستخدموها لهدف في تأليفهم: "وأما بنت فرعون فأصعدها سليمان من مدينة داود" (أخبار الأيام الثاني ٨: ١١)، وكما يبدو حتى لا تدنس المدينة المقدسة ببقائها فيها. وطبقاً لرأيه وتحت تأثير هذا الصراع كتبت أيضاً مجلة روث التي تناقش التمييز بين الأجنبية والأجنبية - بين روث وعرفة.

وتظهر علامات تأثير أبناء هذا العصر في بقية أسفار الكتابات، وأيضاً في إصحاحات نبوة إشعيا الثاني وزكريا الثاني (من الإصحاح ١٢ وما بعده)، ويضع جايجر بأقوال واضحة وجريئة قاعدة: "كل عصر، وكل حركة روحية، وكل شخصية، أقحمت داخل العهد القديم بواسطتهم، ومعبرة عن وجهة نظرهم، ومن هنا حدثت الإضافات والشروح وكشف المعنى بأسلوب الدراش والرمز... أما الوعي القومي والديني لكل عصر فقد اقترن كلية بهذه الثروة المقدسة، وعلى هذا الأساس أصبحت ملائمة له، فأبرزته داخلها وأنتجته بصورتها وعلى شكلها". فكتاب جايجر بالكامل ليس سوى تفسير لهذا المضمون الكبير.

وقد تعقب جايجر الاختلافات بين الهالاخوت القديمة والهالاخوت المتأخرة، ووجدها قبل أي شيء داخل التراجم اليونانية والآرامية حتى أن عزريا من هادوميم خصص في كتابه قسماً خاصاً للترجمة السبعينية، وحاول على أساسها وصف الطابع الروحاني لليهودية في الإسكندرية. واهتم قبله تسونس بتاريخ الترجمات في كتابه "تاريخ المواعظ" (الدارشانوت). كما اهتم شموئيل دافيد لوتسانتو في مؤلفه ("حب الغريب") الذي ألف بالعبرية، بصورة علمية بترجمة أونقلوس. وكانت الترجمة السبعينية موضوع بحث زكريا فراينكل. واعتمد جايجر على هذه المقالات العلمية عندما بدأ عمله الكبير لتأسيس تاريخ الترجمات وعمل أكثر من ذلك. فقد أدرك أن في هذه الترجمات تظهر سمات العصر والتي بسببها كتبت كل ترجمة من الترجمات، والتي حاولت أن تترك طبيعتها وطبيعة أسلوبها على أقوال التوراة. وتقف في بؤرة الحياة الدينية للأجيال المتأخرة - زمن الهيكل الثاني - حرب الفريسيين ضد الصدوقيين، وحاملي ماسورا الكهنة وحراس النسخ.

ويعد ثورة بركوخبا أهمل سبب النزاع واعترف برؤى الفريسيين كقاعدة دون معارضة لها، وبدأ الفريسيون تفسير (دراش) التوراة طبقاً لروحهم وحسب تقاليدهم (هالاخوت) . وعرف جايجر صدى هذه الثورة من خلال أقوال الترجمات ويغير عقيلاس اليوناني كلية طبقاً للتقاليد (لهالاخوت) الجديدة الجوهر القديم للترجمة السبعينية، وفي نفس الوقت كان تئوتيون وفياً للترجمة السبعينية ومنفذاً لأقوالها.

وقد سادت نفس اختلافات وجهات النظر بين التراجم الآرامية الموازية لها، أي بين أونقلوس ويوناثان وبين الترجوم الأورشليمي الذي ينسب ليوناثان وهو ليس له، والذي يشمل طبقاً لرأى جايجر إشارات عديدة للتقاليد (لهالاخوت) الأولية. ويحلل جايجر من خلال وجهة النظر هذه أسفار الحشمونيين، فيظهر الاتجاه "الصدوقي" في السفر الأول والفريسي" في السفر الثاني.

غير أنه خصص معظم سفره للتغييرات التي طرأت داخل مادة العهد القديم، بقصد أو بدون قصد . ويكرر كل ما قيل قبله بشأن المقروء والمكتوب، مقرا سوفريم وزخرفة الكتبة ، وما شابه ذلك ، تلك التي ذكرت في التلمود أو التي لم تذكر، وأضاف أبحاثاً من عنده عن تغييرات الحرف وتغييرات التشكيل، وكشف أمامنا أسلوباً كاملاً للتأثير المستمر والقائم بين وجهة نظر الجيل وبين تغييرات النص ، فأخصى عدد كل التغييرات التي حدثت في العهد القديم لحفظ نقاء فكرة الألوهية، وتلك التي حدثت من أجل حفظ مجد بنى إسرائيل، وتلك التي حدثت من أجل الرغبة والتمتع بالانغماس في الملذات . وباختصار ، فإن كل جيل من الأجيال في بنى إسرائيل قد نظر في كتاباته المقدسة من وجهة نظره هو . ونقص علامات القراءة سويًا مع فقدان التشكيل سمحت بمساحة واسعة لكل جيل أن يظهر شروحا للتوراة تتفق وروحه . وعندما تكون هناك ضرورة خاصة لأمر ما فقد سمحوا لأنفسهم أن يضيفوا ويحذفوا ويوضحوا ويفصلوا ، يعدلوا ويغيروا ، لأن كتاب الكتب مفعم بالحياة ، ويرتبط بروح كل جيل . فقط عندما زادت التعديلات والتحريفات ، وبالعالم المصححون في عدم جمعها ، قام أصحاب الماسورا واصطلحوا على المضمون الوحيد والمميز وحددوا علامات (رموزاً) وأغلقوا الباب في وجه التحريفات.

ومع أن كتاب جايجر لم يقترب من تاريخ تكوين العهد القديم، فإنه في أبحاثه عن تثبيت النصوص وعن أطوار الكتاب بعد التثبيت أفسح طريقاً للنقد العلمي . ومن

الأفضل إضافة أن كتابه لم يلق قبولاً حسناً في بيئته وفي النواثر القريبة منه، حتى أن المجلة الفصلية "كتاب شهرى لتاريخ اليهودية وعلمها" التي تصدر في مدينة جايجر تجاهلت الكتاب . وكان ليوبولد ليف مناضل الإصلاح في المجر الوحيد الذي ذكر الكتاب بالثناء من بين اليهود .

٦ - ي . بريستد ، و . ش . بلوخ

ومن أجل هذه المشكلة الخاصة ببحث قضية القانونية وجمع كل المادة التي تبرهن على قانونية العهد القديم وتفصيله، تفرغ لحلها في فترة واحدة اثنان من الباحثين اليهود الألمان هما : نيولوس بريستد و . ش . بلوخ ، فالأول صاحب "تاريخ أدب العهد القديم والأدب الهلينستي" نشر في مجلة "الشرق" (أورينت) سلسلة مقالات جمعت بعد ذلك في مجموعة واحدة بعد عشرين سنة من صدورها لأول مرة . وتضمنت ثروة عظيمة عن معرفة أسماء أسفار الكتابات المقدسة ومعرفة مؤلفيها وتقسيمها وترتيبها من خلال أدب التلمود والمدراسيم . ويحتل الثاني هذه القضايا في فصلية "رمر" في سلسلة مقالات، جمعت بعد ذلك أيضاً في مختارات أدبية . ويبحث على وجه الخصوص في الأسباب التي أدت إلى الاعتراف بالقانونية ، ونقد أقوال البرايتا المعروفة في (بابا باترا ١٤ ص ٢) عن ترتيب الأسفار وكتابها، ونفى عنها القيمة التاريخية، ووضع خاصة مهمة رجال الكنيسة الكبرى في تاريخ تثبيت العهد القديم .

وبلا شك فقد أثارت هذه الآراء في حينها غضباً كبيراً . وقد أصبحت هذه الآراء في نقد العهد القديم منبعاً متدفقاً للصراع الذي دار حول حركة الإصلاح الدينية . وبالتأكيد ، وقد اتحد هذا الفريق ضد أبحاث ونظريات علماء العهد القديم غير اليهود . غير أنه في الوقت الذي استسلم فيه الإصلاحيون ، حرصوا على نقد العهد القديم ، واتبعوا مناهج هذا العلم وقد لاحظ معارضوهم هذا فاتهمهم بأنهم بمثابة وسطاء للخطيئة وحاربوهم في سخط شديد .

غير أنه بسبب هذا الأسلوب التقليدي للبحث العبري في مجال النقد العلمي للعهد القديم ، لم يكتف مرة ثانية بمسألة البحث في إقرار العهد القديم فحسب أو في مسيرته منذ عصر الإقرار، فقد انكشف عنه الستار وتجاوز قصة الخلق ، وعلى أية حال فقد نضجت العلوم اليهودية وبدأت تتحرر تدريجياً لتصبح أدوات خادمة للحركات الاجتماعية والدينية المختلفة.

ومع ذلك اختفى علم العهد القديم الشامل وخرج على أساليب تعدد الأجزاء والتكميلات، تلك الأساليب الغربية جداً للباحث العبرى الذى يعيش على المصدر العبرى للعهد القديم وظهر على المسرح جراف رويس ، وكذلك كيوجن واستمرت الآراء فى الظهور والتبلور فى أسلوب شامل مؤسس على قواعد التطور المتدرج ، وأنداك اتسعت حدود نقد العهد القديم أيضاً وسط دوائر اليهود ، وشقت الآراء الخارجية طريقاً لها ، وبدأ الباحثون اليهود الخروج من انغلاقهم مزودين بأدوات بحث جديدة ، وفحصوا قضايا مؤلفات العهد القديم فى ضوء الحرية الداخلية والموازنات العلمية.

٧- ح. شتينتيل

وكان حاييم (هرمان) شتينتيل أحد المؤثرين الأوائل فى هذا الاتجاه .فهذا الباحث اللغوى الحسن الروح والرقيق الإحساس ،تتبع جذور لغة البشر وسر تطورها ، ونشر فى عام (١٨٦٧) فى مجلته الشهرية "علم نفس الشعوب ويحث اللغة " بحثه عن أسطورة شمشون . وكان لا يزال مبتدئاً فى مجال نقد العهد القديم، قبل أن يتشجع ليحسم بعض القضايا المبهمة " . ولم ينشغل بقضية قيمة أسفار العهد القديم كمصادر تاريخية، أو زمن تأليف الأسفار المختلفة أو علاقة هذا بذاك .حيث كان لا يزال النقاش فى هذه الموضوعات مستمرا ومتواصلا، وفى محاضراته عن تطور أسطورة شمشون ، عالج المادة الميثولوجية المدمجة داخل أسفار الأنبياء والمزامير، واستخرج من داخل النصوص ،ونظم - قبل جونكل ثلاثين سنة - كل ما يوجد داخلها عن رهب، والحوث ، والتنين والحية القديمة، وقارن الخرافة العبرية الموجودة فى العهد القديم مع تلك الموجودة عند شعوب الشرق ،وميز بينها ووصف مضمون كل منها وصفاً دقيقاً ، وألقى الضوء على الأصول اليونانية لأساطير العهد القديم.

وصارت هذه الأحوال شائعة .والزمن أصبح زمن بزوغ شمس إرنست رينان - هذا المؤرخ الفرنسى الذى كان يبدو وكأنه محايد - ولم ينسبوا اسمه سرا لمؤسسى علم العهد القديم المسلم به . فقد قام فى كتابه "تاريخ شعب إسرائيل "بتحديد روح بنى إسرائيل وتحديد الملامح المميزة للشخصية القومية لجنس بنى إسرائيل ، تلك الجماعة الشرقية ، وبناءً على ذلك تغلغل فى عمق التوحيد عندهم وقد وضع قاعدة وهى :أنه لا توجد أساطير فى بنى إسرائيل .فحياة أبناء سام ذات الطبيعة الصحراوية المهجورة والمنفية مفتقرة للتنوع ، وعديمة الخيال ، لم تنجح فى إنتاج أساطير قوية

ومتنوعة مثل بيئة الروح الهندية الجرمانية متعددة الآلهة .ويناءً على هذا فإن عقيدة بنى إسرائيل بوحدانية الألوهية هي من نتاج صفاء الصحراء ورتابتها .

وتظهر أقوال شتينتيل بشأن أسطورة شمشون وكأنها تحتوي على افتراض رينان، الذي اعتبر بمثابة إهانة (ازدراء) لبنى إسرائيل ، ولأجل ذلك تم تداول أقواله فى بعض دوائر يهودية لا تعير اهتماماً لمثل أقوال النقد هذه.

٨ - ! . جولدتسيهر

وبعد مرور حوالى عشر سنوات استجاب لرؤية شتينتيل مساعد يضاهيه، هو أجنس جولدتسيهر. وإذا كان الأول باحثاً نفسياً شاملاً ومسيطرأ على كنوز لغة وأدب الرومان واليونان، فإن الثانى كان وفيأ للشرق ومسيطرأ على كنوز لغة وديانة العرب وشعوب الشرق . وفى ضوء معارفه تلك ، فسر المادة الميثولوجية العبرية التى دمجت داخل قسم الآباء وروايات القضاة فى تصوراتها التاريخية لعظماء جماعة بنى إسرائيل وأيضاً داخل ثنايا اللغة العبرية نفسها . وقد أسس كل تجديده وكتشافاته على أسس نقد العهد القديم المنتهجة فى عصره وأعلن جولدتسيهر فى بداية كتابه " : وكأساس لأبحاثى ، استخدمت الأسس التى حددها جراف وأيدها كوين ، وحالياً يدين لهما كايزر وبوهم . " وقد صدر الكتاب فى وقت واحد مع كتاب فلهاوزن.

غير أنه قد مرت عشر سنوات بين مقال شتينتيل الأول الذى منه بدأ النضال ضد رينان وبين ظهور كتاب جولدتسيهر الذى حدد فيه أسس الميثولوجيا فى العهد القديم وكانت هذه السنوات العشر سنوات انتصار لنقد العهد القديم داخل مجالات العلوم اليهودية فى الغرب .

٩ - ك. كوهلر

وفى عام (١٨٦٧) نشر ك. كوهلر مؤلفاً عن بركة يعقوب حاول فيه أن يمرر تحت مجهر النقد الإصحاح التاسع عشر من سفر التكوين، ويحدد على أساسه زمنه . ولأجل هذا راجع بإمعان تاريخ كل سبط من أسباط إسرائيل ، وقابل وضعه فى عصور مختلفة بالسمات الشخصية التاريخية المجموعة فى مواد هذه الأنشودة ، وحدد على أساس هذا النقد زمن تأليف أنشودة هذه البركة وأرجعها إلى بداية عصر القضاة فى فلسطين.

ومرت أربع سنوات وظهر باحث يهودى آخر صاحب تصور شجاع ! فمهد سبلاً جديدة لتفسير قصص الأساطير الخاصة بالآباء وهذا الباحث هو أهرن بيرنشتاين - من تلاميذ تسونس - الذى كتب وهو فى الثلاثين ترجمته وتفسيره لسفر نشيد الأنشيد بوضم إليه تسونس مقدمته المشهورة المتضمنة فى وسطها باختصار شديد استعراضاً شاملاً لكل تاريخ تفاسير هذه المجلة ، وكان قد نشر آنذاك كتابه "مصدر الأساطير عن إبراهيم وإسحاق ويعقوب ." والتزم الباحث بنتائج النقد بشأن تقسيم المصادر ، فكان لا يبحث سوى المادة الأسطورية القديمة التى كانت أمام أصحاب المجموعات التاريخية، أى الألوهيمى واليهوى . وما حكم هذه المادة القديمة، ومن أى المصادر أتت ، ومن أى الأجزاء وهل هو نفسه مركب ؟ وما هى علاقة هذه الأجزاء بتلك ؟ ، وتحرر من كل رأى سابق ماثوراً كان أو علمياً ، وغاص فى مخابى العهد القديم ليكشف مصدره وقصة تطور تلك الأساطير القديمة التى ضمت فيما بعد الأسطورة عن عشيرة الآباء، كما هى أمامنا فى المصدرين اليهوى والألوهيمى . وظهر له من أبحاثه، أنه فى البداية لم يكن هؤلاء الأبطال الثلاثة - إبراهيم وإسحاق ويعقوب - ثلاث جماعات فى سلسلة واحدة كما هى أمامنا ولم تكن أيضاً ثلاث صيغ لمادة روائية واحدة ، كما اعتقد آخرون ، بل إنها ثلاث مجموعات أسطورية مميزة وكل واحدة منها مرتبطة بمركز دينى وتاريخى آخر ، وأن كل واحد من هؤلاء الأبطال الثلاثة يستخدم كأب لنفس المركز. وقد لاحظ أن الأساطير عن إسحاق - وهى طبقاً لرأيه الأكثر قدماً - كانت منتشرة فى بئر سبع، والأساطير عن إبراهيم كانت جنورها فى حبرون ، والأساطير عن يعقوب أساسها فى بيت إيل وهؤلاء الثلاثة هم ثلاثة آباء لثلاثة أماكن مقدسة فى مناطق مختلفة فى فلسطين، والذين لم يتصل أحدهما بالآخر مطلقاً.

وبعد ذلك، عندما اقتربت الأسباط من بعضها وتنافست ضد بعضها البعض ، بدأت الأساطير تنتشر بينها ويقتبس كل سبط من الآخر ، وفقط بعد مرور مئات السنين تكون شعب كامل على تلال الأطلال الثقافية للسبط والمكان المقدس . واستمرت هذه الأساطير المقدسة واكتملت فيما بينها ، وتكيفت الواحدة مع الأخرى حتى صارت الثلاثة رواية واحدة ، وحتى صار أبطالها الرئيسيون حقيقيين داخل إطار واحد : الأب والابن والحفيد وحتى عصر يريعام - عندما كانت الحرب منتشرة بين يهوذا وإسرائيل

- أدخلوا الآباء في الحرب، فمن خلال الأساطير عن إبراهيم الأب ليهوذا (حبرون) وعن يعقوب الأب لإسرائيل (بيت إيل) أدرك بيرنشتاين صدى متزايداً من هذه الفترة عن الانفصال والكراهية . ومع سقوط إفرايم أخذت العلاقات بين يهوذا وإسرائيل تتقارب ، ومع هذا تتحد وتكتمل الأساطير عن آبائهم . ويعد سبى السامرة وخراب بيت إيل، سببت إسرائيل من أرضها، ونسيت كراهية الأسباط من القلب . وضم أنبياء يهوذا في وسطهم موروثة مؤلفات كل أسباط إسرائيل، وصار إبراهيم وإسحاق ويعقوب آباء الجماعة بكاملها .

فأدب شعوب الشرق وأساطير بابل وأشور لم تكن قد عولجت قبل عصر بيرنشتاين ولم توجد أمامه مادة للمقارنة . وما قد فهمه لم يفهمه إلا من خلال النصوص المقدسة ذاتها ومن خلال أسفار الأنبياء الأوائل التي استخدمها كوسيط تاريخي لشرح المؤلفات الأسطورية في سفر التكوين . ومن أجل تدعيم وجهة نظره بكل تفاصيلها ، وتوضيح كل دقائق الأساطير كان يبتعد أحياناً عن السير وراء خياله ، غير أن جوهر كلامه فتح فصلاً جديداً في نقد العهد القديم في علم اليهودية .

١١- دافيد كاسل

وفي نفس الفترة بذلت المحاولة الأولى للتغلغل داخل تاريخ أدب العهد القديم رغبة في تفسير عظمته ولكن ليس على أساس عصوره، بل على أساس الأنواع الأدبية . فقد ظهر دافيد كاسل ليكمل في كتابه عن تاريخ الأدب العبري التأمل في أسفار العهد القديم من خلال وجهة نظر جمالية بؤلك بعد ظهور هيردر . فقسم كاسل أدب العهد القديم إلى أجناس شعرية ونبوية وقانونية وروائية . وميز في الأدب الشعري بين القصائد الدينية والأشعار الدينية، وبين أشعار الطبيعة والقصائد القومية . وشيئاً فشيئاً نشر من داخل العهد القديم أشعار الربيع وأشعار الحقل، وقصائد البحر وأشعار الغضب، وتتبع أنماط وصف العهد القديم لعالم الحيوانات والنباتات . ويفحص الأشعار القومية عالج من خلال العهد القديم أجزاء شعرية مرتبطة بحدث تاريخي (صفات كنعان، حدث بلعام، بركة كل من إسحاق ويعقوب وموسى، أنشودة البحر وأنشودة البشر، وأنشودة دبورا ورثاء داود) وجمع قطعة مع أخرى مثل منسق اللؤلؤ وكشف لنا عن تاريخ شعري كامل لحياة بني إسرائيل . ويهذه الحماس ألقى الضوء على أسرار النبوة، وتعمق في الصورة الروحانية ، وطرق سمات كل نبي من الأنبياء .

ومما لا شك فيه أنه لم يقبل دائماً أسس نتائج العلم في ذلك العصر بشأن تحديد زمن الأسفار .

وهكذا فإنه ينسب على سبيل المثال الإصحاحات الأخيرة من سفر المزامير لزمن العودة من بابل، ويرى أن بعضها ثمار تأليف داود وسليمان، وأن يوشع سابق على عاموس، غير أن أسلوب فحصه وحيوية نقده تركا أثراً جيداً، وجذب الانتباه إليه بين دوائر الباحثين اليهود في الغرب .

١٢- تسونس في نهاية حياته

غير أن تسونس نفسه قد تعمق في بحثه وكان مدهشاً في نتائجه أكثر من الآخرين . ففي نهاية حياته توجه مرة ثانية لأدب العهد القديم، وتشجع هذه المرة في التوجه لحقيقة النقد العلمي لأسفار التوراة الخمسة . وقبل أن يرى الجماعة اليهودية ناضجة بما فيه الكفاية لتقبل بجدية ملائمة مثل هذه الأبحاث، وجد من الواجب عليه أن ينشر أبحاثه عن "نقد العهد القديم" في المجلات الخارجية، فنشرها في فصلية "الجمعية الألمانية للدراسات الشرقية"، أما أبحاثه المتأخرة عن سفرى التكوين والخروج فلم ينشرا مطلقاً، وعُرفا للجمهور من خلال مجموعة مقالاته التي نشرت بمناسبة الاحتفال ببلوغه الثمانين . ويظهر أمامنا تسونس في ثانيا رؤوس الأقلام هذه محتكاً . بها هو ذا قد تعمق ونشط في بحث العهد القديم . وهو كتلميذ وفي لندى - فته بدأ أبحاثه بتحليل نقدي لسفر التثنية . فقسم السفر إلى ثلاث وحدات (١-١١)؛ (١٢-٢٦)؛ (٢٩-٣٤) حيث تميز بينهم أحداث متفرقة ومتأخرة ومختلطة في ثنائها . وألفت الوحدات الأولى والثانية - طبقاً لرأيه - قبل تعليق يهوياقيم، وهما سوياً مع التوبيخ في الإصحاح (٢٨) يمثلان مضمون سفر العهد الذي وجد عام (٦٢٢ ق.م) كما هو مكتوب في سفر الملوك الثانى (٢:٢٣) . ويرؤى جديدة - لم تكن متوافرة لندى - فته - مؤسسة خصوصاً على بحث اللغة العبرية فحص التعابير والألفاظ، معززاً ذلك بسلطة معلمه، فدعم من جديد الرأى الذى عرف في عصر دى - فته كقاعدة، وهو أن سفر التثنية أقدم أسفار التوراة.

وقد أحصى ستين تعبيراً في بقية أسفار التوراة غريبة عن البيئة الدينية لسفر التثنية، وحدد أنها عرفت سوياً مع هذا في سفر التثنية قبل أن يعرف في إسرائيل:

قدس الأقداس والكاهن الأكبر وعيد الكبريم وعيد الاجتماع، ولا يوجد نفخ في البوق ولا البوبيل، ولم يقطع ولم يخصص أسلوب القرايين كما هو موجود في الإصحاحات الأخيرة من التوراة. وأقدم قسم في سفر التثنية هو "بركة موسى"، "وكما يبدو فإنه سابق لإشعيا، وتنسب لأقسام الشعر والأدب القديم الذي أدمج في التوراة" وأما المتأخرة في الأقسام فهي أنشودة "انصتوا" التي مصدرها زمن سبى بابل.

وفي كتابه "تاريخ المواعظ (الدارشانون) لاحظ تسونس الزمن المتأخر لسفر حزقيال، غير أنه حلل أسلوب النبي ولغة واستنتج من خلال رؤاه وتعبيراته صورة شاملة عن حياة الطقوس ونظم الهيكل في عصره، وحدد على أساس ذلك أن مؤلف السفر عاش في الأعوام (٤٤٠-٤٠٠ ق.م)، وأن الأعمال التي يرويها حدثت قبل ذلك بزمان طويل، ولذلك فليس لأقواله أية قيمة كوثائق تاريخية.

لقد ساعدت النتائج المتزايدة والأساسية على فهم عالم العهد القديم وفيما يتعلق بنظريته عن توراة الكهنة فقد حدد - مثل كيويين الذي كتب قبله بسنوات قليلة - بمثل فلهاوزن الذي ظهر بعده بسنوات قليلة - القرابة الدينية بين سفر اللاويين وسفر حزقيال حيث إنهما انعكاس بيئة واحدة سائدة فيهما، هي وجهة نظر الكهانة المتأخرة. وها هي القاعدة التي حددها "سفر اللاويين أحدث من سفر التثنية، وأكثر حداثة من سفر حزقيال، وكتب زمن الهيكل الثاني عندما كان موقف الكهنة قوياً، وأسلوب القرايين محدداً ومفصلاً، يعني حوالى ألف سنة بعد موت موسى".

وعلاوة على ذلك فقد دعم رأيه على أساس من رؤى جديدة. لم تكن مستمدة فقط من تاريخ الطقوس، بل أيضاً من خلال الآراء التاريخية في السفر (لأن جميع هذه الرجاسات قد عملها أهل الأرض الذين قبلكم فتنجست الأرض، فلا تقدفكم الأرض بتنجيسكم إياها كما قذفت الشعوب قبلكم) (اللاويين ٢٧: ١٨) يعني أن هذه الأقوال قيلت بعد زمن طويل من ترك سكان الأرض القدماء، وعقاب الرجم بسبب خطيئة لعن الرب (١٦: ٢٤) متأخر، وقضية التيس لعزازيل (١٠: ١٦) - يشهد فعلاً على تأثير الديانة الفارسية وغير ذلك.

وخصص فصلاً واحداً في ملاحظاته لمجلة أستير، نفى فيه عن هذه الرواية أي أساس تاريخي ويرهن أن عيد البوريم ليس سوى بقايا عيد سابق للاستيطان عند يهود فارس، وأن اليهودية القديمة لم تعرف هذا العيد مطلقاً.

وفى كتاب الاحتفال بيوبيله أضاف بعض رؤوس الأقسام عن تركيب سفر التكوين، وسفرى الخروج والعدد . فقسم سفر التكوين لمصدرين أحدهما يستخدم الاسم يهوه والآخر يستخدم الاسم ألوهيم ويشير بوضوح شديد إلى خاصية ومضمون كل واحد منهما و مضمونه و يوافق أقوال بيرنشتاين فيما يتعلق بالتناقضات بين يهوذا وإسرائيل التى يسمع صداها من خلال الأساطير عن الآباء . وبعد أن يوضح المادة التاريخية التى جمعت داخل السفر يحدد قاعدة : أن سفر التكوين قد ألف بعد مئات السنين من استيطان اليهود فى فلسطين، وبعد أن تحصن الأسباط فى إرث استيطانهم بزمان طويل، وأن مؤلف السفر لم يكن موجودا على كل حال قبل عصر إشعيا . أما بالنسبة لسفرى الخروج والعدد فيرى أنهما "معالجة لأساطير وأشعار قديمة"، ويصدر الحكم التالى : "إن الإصحاحات الثمانية والثمانين الموجودة فى التوراة بين أنشودة موسى الموجودة فى سفر الخروج وحتى الإصحاح الأخير من سفر العدد، هى فى مجموعها كتاب أحكام مركب من أجزاء شعرية وتاريخية، وأحكام وقواعد الكهنة . وطبيعة الأحداث فيها تستلزم أن تتزايد التغييرات، والازدواجيات والتعديلات، حيث إن العلاقة بين الأحداث ضعيفة ، ومن الصعب علينا فهمها . وفى كل السفر كانت أقوال موسى قليلة إلى حد ما . كما أن أقوال داود قليلة فى سفر آخر (منسوب إليه)".

١٣- المحافظون والمصلحون : هوفمان وميبوم

ولم يتوجه شخص ما من بين اليهود فى عصره لبحث العهد القديم بروح متحررة وإيمان بنتائج بحثه مثله، وقد كان الذين عبروا ودعموا نتائجهم بوضوح أقلية فى عصره . ومنذ ذلك الحين حققت حدة تنكر العلماء اليهود فى الغرب لأعمال النقد المتبعة فى الخارج ونتائج . ولم تقبل كل أقوال تسونس كقاعدة ، كما لم يتقبلها بمودة كل العلماء اليهود حتى هؤلاء الذين قدروا تسونس وأحبوه لم يقبلوها بمودة ، كما كان هناك أيضاً أولئك الذين رفضوا معتزرين اجتماع اليوبيل الثمانين لأنه لم يناقش أقوال الجنيزا . واعتباراً من اليوم التالى بعد الاحتفال بيوبيل تسونس فى كل جمعيات العلماء اليهود . وبعد الانتهاء من مدح الربى رأى دافيد هوفمان من الواجب عليه أن يدافع عن اللجنة التى أقامت الحدث، وأن يدافع عن طبع رؤوس هذه الأقسام، غير أنه لم يتمسك بواجب الالتزام باحترام الرب وبالسلك الجيد أمام حرية الابتكار.

وبما أن الأقوال قد صدرت - وصدرت هذه المرة من السيد - لم يكن ممكناً منع تسرب هذه الأقوال بعمق داخل صفوف العلماء اليهود ، واحتل بحث العهد القديم الحر منذ ذلك الحين حق المواطنة داخل علم اليهودية في الغرب على الرغم من كل رافضيه.

١٤- جريئس بوصفه وسيطاً

نهض المؤرخ هـ . جريئس كوسيط بين المعسكرين ، معسكر الذين التزموا بالنقد العلمى ، ومعسكر الرافضين له ، فنشر في فصليته أبحاثه عن أسفار الجامعة وأستير ، ويونيل ونشيد الأناشيد ، وحزقيال وعزرا ، والمزامير وإرميا والأمثال على التوالي . وجمع في أبحاثه المفصلة كل آراء الباحثين العلميين السابقين عليه ، ووضحها مع إصدار أحكام عليها ، وبمساعدة حسه التاريخي وخبرته الكبيرة في نقد المصادر ، مهد لنفسه طريقاً للتأليف عن أسفار الأنبياء والكتابات ، فبدأ مقدمته لسفر المزامير بقوله " لم أكتب أبحاثي رغبة في تغيير ذرة داخل النص المعترف به . " وقسم سفر إشعيا ستة أسفار ، كتبت في أزمنة مختلفة (عاش إشعيا الأول في عصر يوثام وأحاز ويحزقيال ، وكتبت الإصحاحات (٢٤-٢٧) في عصر يوشياهو ، وكتب الإصحاحان (٣٤-٣٥) مباشرة بعد الخراب وكتب الإصحاحان (١٣-١٤) بعد حزقيال بثلاثين سنة ويعد ذلك تآني إصحاحات أنشودة إشعيا الثانى (٤٠-٦٦) ، ويعد ذلك كتبت فقط العبارات ١-١٠ من الإصحاح الحادى والعشرين) . وقسم سفر إرميا إلى أجزاء مختلفة . ووجد في سفر زكريا أقوال ثلاثة أنبياء ، أقوال النبى الأول تشمل الإصحاحات (١-٦) وعاش في عصر هوشع ، وتشمل أقوال الثانى الإصحاحات (٧-١٢) وكان في عصر يهوياقيم وصدقيا هو وتشمل الإصحاحات (١٢-١٤) أقوال النبى الثالث باستثناء (١٣:٧-١٩) الذى تنبأ بعد العودة من بابل ويخصى في سفر هوشع نبين ، تمثل الإصحاحات (١-٣) أقوال الأول وتنبأ في عصر يربعام الثانى ، وأقوال الثانى متضمنة في (الإصحاحات ٤-١٤) وكان في عصر تجلات فلاسر وشلمناصر وكان آخر الأنبياء في مملكة إفرام وكان معاصراً لإشعيا . ويحدد زمن النبى عويديا بعد الخراب في زمن واحد مع مؤلف الإصحاحين (٣٤-٣٥) من سفر إشعيا .

وينسب أسفار الكتابات إلى زمن الهيكل الثانى . وطبقاً لرأيه فإن غالبية المزامير قيلت بعد العودة من بابل ، وبعضها في عصر الحشمونيين . وألف سفر دانيال زمن

سلطان المقدونيين - سويماً مع أسفار أخبار الأيام وعزرا ونحميا ، والتي كانت طبقاً لرأيه في البداية سفرأ واحداً وينسب الإصحاحات الأولى والأخيرة من سفر الأمثال إلى ما بعد العودة ، وينسب لنفس الفترة المقدمة والخاتمة في سفر أيوب ، وينسب سفر الجامعة إلى عصر هيرودوس وروث إلى عصر الغزو اليوناني ، ونشيد الأناشيد إلى عصر المقدونيين ، أي خمسين سنة قبل حرب الحشمونيين .

غير أنه عندما توجه إلى تاريخ أسفار التوراة الخمسة ، تجرد على الفور من حرية النقد ، ولم يعر انتباهاً لإدراك أي تغيير أو أي غموض وقد كان مجبراً على الاعتراف بأن سفر التثنية وجد في عصر يوشيا ، غير أنه لم يؤلف في ذلك العصر بل نُشر فيه ، وكان فعلاً في النصوص القديمة ، ولم يكن سفر التثنية أول أسفار التوراة بل الأخير . أما بقية أسفار التوراة بما في ذلك سفر اللاويين ، فينظر إليها من وجهة نظر "مؤلف متجانس ، حيث توحد كل أجزائها علاقة فنية ومنطقية . "وإذا أن هوشع وميخا وإشعيا كانوا عارفين بوجود تورا موسى ، فيفهم من ذلك ، أن التوراة ألفت أو نشرت على لسانه قبلهم ، وهذا يعني في عصر أحاز ، وقد كانت التوراة كلها فعلاً في عصر حزقيا هو مصاغة لمصدر حياة المملكة ويغضب شديد دافع عن الماسورا بشأن وحدة التوراة ضد سلطان نقاد العهد القديم وواضعي المصادر بداية من ابن عزرا ونهاية بـ دى - فته ، وانضم إلى المدافعين من بين الباحثين الكاثوليك ، غير أنه تجاهل استفساراتهم عن تناقضها والاختلافات حولها .

١٥ - مساعده جريثس

وبهذه الروح سار عمل النقد في الفصلية العلمية التي كانت تصدر بتحرير جريثس (في مقالات : يستروف ، دينر ، وهوفين وتريتل ، وبرند ورمز) وسادت المدرسة الدينية للريانيين في برسلاو والتي كان يديرها جريثس ، وكان يعلم فيها روزين العهد القديم . وتلك الحرب التي حاربها جريثس ضد نقاد التوراة دعمته ودعمت كتابه الضخم الذي لقي قبولاً أيضاً بين طائفة عريضة وجعلته كتاباً جماهيرياً بين اليهود ، ومع ذلك لم يعرقل تطور نقد العهد القديم بينهم . وكتب تونس رؤوس أقلامه المذكورة آنفاً في نفس السنة التي نشر فيها جريثس الجزء الثاني من كتابه التاريخي ، كما أن أعمال جايجر وتلاميذه لم تفشل فشلاً ذريعاً ، وعندما نشرت كتب فلهاوزن ومدرسته ، وجدت أذنأ صاغية في معسكر الباحثين اليهود .

ومن "مدرسة الريانين" التي أسسها هيلنر هيم في برلين رفع أ.برلينر رئيس المدرسة راية الحرب ضد نقد العهد القديم ، ولتحقيق هذا الهدف الجري بدأ "معجم علم اليهودية " ، ونشر فيه دافيد هوفمان أبحاثاً ظهرت بعد سنوات عديدة عندما أعاد صياغتها وجمعها سوياً ، وهاجم في هذه المقالات بشدة متزايدة انتصارات النقد ، ووجه سهامه أساساً ضد الرأي الذي أسسه فلهاوزن بأن سفر حزقيال سابق لسفر اللاويين ، وقد حاول سوياً مع المحافظين في الكنائس والمعتدلين من الباحثين - دالمان وبردنكف وغيرهما - تقويض أسس النظرية التي تؤخر تورا الكهنة إلى عصر العودة من بابل ، وتحرف ترتيب الأسفار داخل التوراة ولم يكتف هوفمان بالتناقضات فحسب ، بل توجه لينشر تفسيراً جديداً للتوراة ليثبت الطرق الملتوية ، ويعيد مجد الماسورا لوضعها السابق.

ومن ناحية ثانية تم الاعتراف بأقوال تسونس كقاعدة لها في "المدرسة الدينية لعلم اليهودية" التي أسسها جايجر في برلين ، ويظهر س .مايبوم رئيس المدرسة بمثابة تلميذ مخلص لفلهاوزن في كتبه عن النبوة ، وتطور الكهانة في إسرائيل ، فاقطفى أثر فلهاوزن في ترتيب تاريخ العبادة عند بني إسرائيل ، ويرى نقطة الثورة في تركيز العبادة في عصر يوشياهو ، وسلطان الكهنة بعد عصر عزرا وهو مثل فلهاوزن يرى أن سفر التثنية ثمار الثورة الأولى ، وأن تورا الكهنة نتاج الثانية . ويصفته تلميذاً في مدرسة فلهاوزن وقف إلى جانبه ضد ناقديه . ثم يوضح للنقاد اليهود ، فيربط أقواله بجايجر وتسونس وحربه ضد جريش ، الذي يرى في نقد التوراة مصدر ازدراء لها ، وتقليلاً لاحترامها . وهو يعرف فطنة القارئ العبري المهتم باحترام التوراة ، فيوضح برجاجة عقل حسن لسامعي درسه أنه لا يمكن رؤية المحررين والمعدنين المتأخرين برؤية المزيقيين عن عمد ، بل إن هذا قانون الروح الدينية لتوصيل قيم الماضي الإعجازي ، ومثالياته لجيلها وذاتها من خلال فهم كامل ومتجانس معا .

١٦- م . لتسروس

وضع م . لتسروس مقالته عن إرميا على أساس أقوال م .مايبوم وعلى أساس مدرسة فلهاوزن التي حددت تطور بني إسرائيل ، وعلى أساس من الأبحاث العديدة والعميقة ل : ح شتنتيل التي نشرها في فصليته "سيكلوجيا الشعوب وبحث اللغة " ، وكذلك محاضراته أمام سامعيه لمدة ثلاثين سنة ، ويوضح لنا برؤية حذرة وكلام لطيف

خصائص الرواية في العهد القديم مثل :سحر الحزين في مجلة المراثي ، التسامي في روايات الخلق، الرمزية في صور الطبيعة في سفر المزامير ، الشفقة المتزايدة في أقوال الأنبياء القدماء ، المارة والسخط في أقوال التوبيخ، الإيمان المتسامي في أدب التثنية. وفي سياق المحاضرة يحلل أقسام سفر التثنية، ويحدد تركيب سفر دانيال، ويصف روح كل واحد من أشعار المراثي الخمسة، ويكشف عمق علاقة الأنبياء بالطبيعة والشكر .ولم يكن مؤسساً متميزاً لبحث العهد القديم فقط ، بل أيضاً مدافعاً مخلصاً عنه وحاملاً لرايته .وبصفته خبيراً ماهراً فقد كان عارفاً بنفس القارئ والسامع اليهودي الذي يؤمن العهد القديم ويثق فيه ، لذلك كان يكشف في لغة صريحة عن حبه المتدفق للعهد القديم ، ويبالغ في الإطراء والمدح عن البركة المتزايدة الكامنة في روح بني إسرائيل في البحث العلمي في مؤلفاته النموذجية.

وهكذا تقدم نقد العهد القديم وساد الاستنباط العلمي في الدراسات اليهودية في الغرب .وبتلك الثروة الروحية التي تجمعت باللغة الألمانية ، تقدمت وصارت إرثاً للعلوم اليهودية في بلاد ولغات أخرى .وقد أقيمت في بعض المدارس الدينية اليهودية كراسي أستاذية مخصصة للبحث النقدي للعهد القديم .ومع تزايد مراكز التوراة في أمريكا بدأ نقد العهد القديم يحتل أيضاً مكاناً في الأدب اليهودي الذي يظهر هناك .وبدأت الدوريات باللغات الفرنسية والروسية والإنجليزية المخصصة لعلم الدراسات اليهودية تفتح أبوابها أمام أبحاث نقد العهد القديم.

ولم تتوقف العلاقة القديمة بين علم النحو ونقد العهد القديم ، والتي رأينا ملامحها في العصر الوسيط وينفس القدر الذي تطورت به الفيلولوجيا السامية ، وتشعبت مجالاتها وتعمقت مصادر بحثها، تقدم وتزايد أيضاً التأثير المتبادل بينها وبين نقد العهد القديم بين اليهود .ومن أوائل المتحدثين عن بحث اللغات السامية وقواعدها في نهاية القرن التاسع عشر كل من :دافيد هينريك ميللر في فيينا، ودانيل حقولسون في بطرسبرج ويعقوب بارت في برلين ، وقبلهم يوسف هليفي في باريس .فقد حاولوا أن يدخلوا أسفار العهد القديم داخل دائرة أبحاثهم ، ويلقوا الضوء على أسرار النصوص المقدسة .وبدأ أيضاً ن.ه.تورتشينر في بحث أصل اللغات السامية ، وواصل بعد ذلك أبحاثه في علم العهد القديم.

١٧- تعديل النص

تم الاعتراف عند اليهود بفرع واحد في نقد العهد القديم أكثر من بقية الفروع وذلك الفرع هو نقد النص، وللمرة الثانية تم تحديد رؤية جديدة للتخلص من المعسكر العلمى. وكان نص الماسورا معترفاً به بقوة عند العلماء اليهود منذ العصر الأندلسى وما بعده، وخصوصاً مع معرفة اللغة العبرية. ومع التخصص فى علم دراسة النصوص القديمة أصر بعض العلماء اليهود على تعزيز هذا الفرع وتوسيع أفاقه. ومثل هذه الملاحظات والتعديلات تملأ كل الفصليات والمختارات لعلم اليهودية باللغات المختلفة. وقد أكثر جريش من تعديل النص، وتغيير حروف واختصارات، وأنصاف عبارات أثناء تفسيراته لأسفار مختلفة من أسفار العهد القديم، وبحث الترجمات التى اجتهد فيها مؤلفو علم اليهودية فى النصف الأول من هذا القرن وأصاء الطريق لغيرهم. وقرر جريش فى نهاية حياته أنه من الأفضل "جمع هذه التعديلات معا"، وأن تصدر تصورات تلك إلى حيز التنفيذ فى حياته، وواصل بعده ز. باكر إصدار كتاب التعديلات الذى يتضمن فى داخله ألفاظاً لأسفار التوراة الخمسة والأنبياء الأوائل وإرميا وحزقيال والاثنا عشر والمزامير والأمثال .

وبعد أن انتشر بين العلماء اليهود معرفة اللغات السامية والكتابات المسمارية وأُخرجت المخطوطات القديمة للعهد القديم من مخابئها، تزايدت الوسائل المساعدة لتحديد التعديلات. وحاول ف. بيرليس أن يرفع التعديلات إلى نظرية وتحريرها بقدر كاف من سخرية ناقدتها وتتشجع فى تحديد الأسباب التى أدت إلى التحريفات (اختصار كلمات، دمج كلمات، استبدال حروف بما يشبهها فى الكتابة العبرية القديمة، استبدال حروف بأخرى تشبهها على أساس الصوت، أخطاء فى التشكيل، استعمال ألفاظ مهجورة فى النحو وغير ذلك)، وعلى أساسها قرر تحديد القواعد العامة للتعديلات.

وكان هذا الفرع من النقد مقعماً بالحياة ومثمراً فى التأثير المتبادل بين العلوم اليهودية فى الغرب وبين نقد العهد القديم فى الأدبيات العبرية الحديثة أكثر من بقية فروع نقد العهد القديم، فكانت تعديلات ش. ه. لوتساتو، وي. ه. شور، وكروكميل وريفمان واضحة للعيان أمام علماء العهد القديم فى الغرب .

القسم الثالث

النقد عند اليهود في القرن التاسع عشر

الفصل الثالث عشر

نقد العهد القديم في الأدبيات العبرية الحديثة

١ - أدب الهسكالا والعهد القديم

بعد أن حدث التغيير الأساسى فى الحياة الروحية لليهود فى نهاية القرن التاسع عشر، وكذلك فى الأدب العبرى الذى انبثق من نواثر العصر الوسيط، لم يحدث استعجال لتطوير تصورات مضادة لمواجهة نقد العهد القديم على أساس من الأبحاث والنتائج التى تم التوصل إليها.

ولم تأت الحقيقة العلمية الهامة من خارج حدود اليهود بل أيضاً من الاتجاهات التى سادت وسط العلماء اليهود فى الغرب ولذلك لم يستمر التنكر لمجالات البحث المكتوبة باللغة العبرية وتزايد فى أدب تلك الفترة الإحساس بالتجاهل والتنكر للنقد العلمى لعلماء الأمم الأجنبية التى عاش بينها العلماء اليهود فى الغرب، وتزايد ذلك سبعة أضعاف؛ فقد زاد الصراع ضد هذا الولع بنقد العهد القديم لدى مصلحي الديانة من بين علماء اليهود فى الغرب. وقد تجرأ بعض الكتاب من النخبة الخاصة، ونجحوا فى أن يحددوا لأنفسهم أسلوباً خاصاً.

٢ - بن زئيف

وأول من جاء لتأسيس نقد العهد القديم داخل الأدبيات العبرية الحديثة كان هذه المرة أيضاً من علماء النحو، ومن الباحثين فى علم اللغة، كما كان الوضع فى العصر الوسيط. ففي عام (١٨٨٠) نشر يهودا ليف بن زئيف كتابه "مقدمة فى التوراة المقدسة"، وكان الكتاب معداً على أساس خطط "المداخل" الألمانية التى كتبت فى عصره وقبله، وهى المقدمة الأولى، وكانت حتى فترة متأخرة الفريدة أيضاً فى نوعها فى الأدب العبرى.

وكان بن زئيف تلميذاً وفيلاً لموشيه مندلسون وقد تركت مؤلفات أشهرين تأثيرات عديدة عليه. ومن المعروف أنه أدرك حجم المسافة بين الأدب العبرى وبين نقد العهد القديم فى أوروبا، وعلى هذا الأساس بدأ عمله بحذر شديد. فبدأ بالتخلص من "فكرة ما تجلبه ضرورة البحث فى هذا الموضوع من رأى يناقض رأى التلمود فى أقوال الأجداد"، ويأتى بـ: "براهين قوية من كل عظماء الجاؤون، لأن الميل لأقوال الهالاخا كان ممنوعاً. وكانت السلطة مخولة لأقوال الأجداد لمعالجة أى رأى يعارض أقوالهم". وأما فيما يتعلق بالكتابات المقدسة ذاتها فيوضح قائلاً: "ها هوذا أمامك

الأربعة وعشرون سفرًا المقدسة، وهي من طبقات مختلفة، وعصور متباينة، ومؤلفين مختلفين حيث تستوعب أسفار التوراة الخمسة ما يقرب من ثلاثة آلاف سنة من الزمن. وأيضاً تاريخ بنى إسرائيل منذ الهبوط إلى مصر حتى بداية الهيكل الثانى الذى تصل إليه أسفار الكتابات المقدسة واستمر أيضاً ألف سنة... ألم يكن من المناسب إذن تمييز كل سفر من الأسفار، وإذا قرأت فإنك تميز."

ويقول عن أسلوبه فى النقد: "بحثت أولاً فى حقائق معلمينا، حكماء التلمود لارى ما إذا كانت أقوالهم قد قصدت المفهوم الحرفى للنصوص (البشاط) ويدون تناقضات مع الحقيقة الواضحة، عندئذ تمسكت بأقوالهم ولم أنحرف عنها. وحقاً إن لم أستطع أن أطابق أقوالهم... بسبب الغرائب العديدة... عندئذ أتوجه إلى علماء الأجيال من عارفى الأزمنة المشهورة فى العلم بشواهدهم الحقيقية العديدة". ثم يواصل ويعترف بما يتعلق بكل سفر من الأسفار "العصر الذى تنسب إليه موضوعات السفر، الذى عاش فيه النبى أو غيره، مما يحتويه مضمون السفر"، "وما موقف جماعة بنى إسرائيل" وإلى أى جنس من الأجناس الأدبية تنتسب موضوعات السفر؟ ومن كاتب السفر؟ وما شابه ذلك.

ويعرف الهالاخا قائلا: "لقد تحرر عظماء الجاؤون فى فهم "أقوال الأجداد برأى يخالف التلمود، غير أنهم لم يتشجعوا فى الواقع ليفعلوا ذلك، وعلى سبيل المثال فإنه يحصى فى سفر صموئيل تناقضات عديدة فى الروايات عن جليات وداود، وفى موضوع تملك داود، وعلاقات داود ويوناثان، التى لا يستطيع أن يشرحها، وينهى مقاله بقوله: "ورأيت لأحد العلماء من علماء النصارى المتعمقين فى البحث... يعلن اعتراضه بقوله: إن هذه الصعوبات والأمور الغريبة تعود إلى أن الموضوع من الفقرة الخامسة من الإصحاح (١٨) لسفر صموئيل الأول ليست نقلاً عن السفر، ومع هذا لم يتجاهل ترتيب الرواية ويواصل الموضوع، ألم تكن هذه أقوال عالم ليس من بنى إسرائيل ولم تحفظه القابالا... غير أنه ليس مسموحاً لنا".

ويقول على نحو مماثل عن إشعيا: "إن كان سفرًا واحدًا طبقاً لاسمه، فإنه طبقاً لموضوعه ينقسم انقساماً ضرورياً إلى قسمين... مختلفين فى الزمن والموضوع والأسلوب اختلافاً كبيراً، والجزء الأول من الإصحاح الأول حتى الإصحاح الأربعين، والقسم الثانى من الإصحاح الأربعين حتى نهاية السفر". غير أنه لم يتشجع ليضع

قاعدة . وينهى كلامه بقوله :أتى العديد من العلماء بالتصور أن تلك النبوءات (من الإصحاح ٤٠ وما بعده) ليست لإشعيا النبي، بل من نبي آخر متأخر عنه بزمان كبير ... والأمر متروك لقطنة الإنسان ، فيعتقد به الإنسان كما يتصور عقله : ألم تكن هذه أيضاً أقوال الربى موشيه مندلسون فى التفسير وما للتلميذ أن يخرج عن مجالاته؟.

ولم يخرج من مدرسة مندلسون مؤسسون للعلم فى بنى إسرائيل باللغة العبرية، كما لم يخرج منها مؤسسون باللغة الألمانية . فتلاميذ مندلسون أحدثوا تطورات ووجهوا الأنظار فحسب . أما بالنسبة لتأسيس العلم فقد تزعمه أبناء الجيل الثانى . وما كان لتسوتس ويعد ذلك لجايجر فى العلوم اليهودية باللغة الألمانية، كان لمعاصريهما شلومو يهودا رفوفورت وى . ش . رجاو ويعدهما شموئيل دافيد لوتساتو ، فى العلوم اليهودية باللغة العبرية.

٣ - ش . ي . رفوفورت

خصص شلومو يهودا رفوفورت - مثل زملائه من مؤسسى العلوم اليهودية باللغة الألمانية - نظريته للأدب المتأخر . فالتاريخ الذى كتبه هو تأريخ لشخصيات العصر الوسيط، وتدور أبحاثه حول " المصطلح اللفظى " وحول قيم التلمود والمدراشيم . غير أنه اقترب إلى حد ما بأبحاثه من أقوال التوراة المكتوبة، وكشف عن رأيه : "على أسس النقد والبحث الجيد يربط الفقرات ، وتتابع الإصحاحات يمكن تعديل العديد من أقوال العهد القديم الموجودة أمامنا " . وعندما وصل إلى قضية تحليل المزمور (١١١) فيؤخر زمنه حتى "مرسوم أنطيوخوس" ، "فى الفترة التى بدأ ينتشر فيها روح حكمة ومظاهرها اليونان فى آسيا الغربية" ، لأنه مرت "منذ زمن منح التوراة حتى عصر (مؤلف هذا المزمور) .. تقريباً ١١٠٠ سنة وأكثر" .

وسمح لنفسه فى بعض الأحيان أن يعدل فقرة أو يغير حروفا (على سبيل المثال: لأنى بعد أحمده لأجل خلاص وجهه . يا إلهى نفس منحنية فى) (المزامير ٦٧: ٤٢ - ب-١٧) فيعدل : "يا إلهى نفس منحنية فى" إلى "يا إلهى . نفسى منحنية فى" ، غير أنه كان متحفظاً فى بحثه ويقدم عليه فى رهبة . ووجد لنفسه من البداية قانوناً سمح لنفسه فيه بـ: "البحث فى كتب الديانة، لكن بصورة لا تتخلى عن المسلم به والمنتشر فى الأمة" . وعلاوة على ذلك فإنه فى نهاية حياته يبدو وكأنه قد ندم على ضالة تلك الحرية التى سمح بها لبحثه فى شبابه.

٤ - ي . ش . رجاءو

وكان ي.ش. رجاءو معاصراً لـ زفوفورت وقريباً منه في عالم العهد القديم ويحثه ولم يقصد في الواقع من ترجمته التوراة إلى الإيطالية سوى أن يسير في إثر مندلسون وأن يقدم ليهود إيطاليا ما قصد الربى موشيه مندلسون تقديمه ليهود ألمانيا من تفسيره وترجمته للتوراة ، غير أنه بنفس القدر الذي عالج فيه قضايا العهد القديم ، تطور وزاد اتجاهه النقدي وتركت أبحاث البروفيسور هيتسيج الناقد الألماني للعهد القديم تأثيراً كبيراً عليه ، وإن اعترف في الواقع بأن بعض أقواله "تذهب أبعد من الحد المحدد لنا" ، لكنه يشكر لأنه يعلن عن صحة الناقد وأن "تفيد منشوراته بين إخواننا" ، ويسير هو نفسه في إثره ، ويعلن أقوال معلمه بشأن المزامير بتعديلاته وإضافاته أمام قراء "إستان السحر" ، وحاول أيضاً الإشارة إلى تحديد زمن تأليف سفر أيوب ، ومرره سوياً مع هذا السفر تحت صولجان النقد .

وكان ي.ش. رجاءو أول من أدرك في النقد الأدبي باللغة العبرية من خلال أقوال النصوص المقدسة ، أنه باستثناء الأشعار المتضمنة في الأسفار المقدسة لا تزال بعض القصائد الدنيوية موجودة في جماعتنا في زمن الهيكل الأول والهيكل الثاني والتي ذكر العديد منها في أسفار الأنبياء مثل أنشودة الزانية (إشعيا ١٥: ٢٣) ، أنشودة الخمر (٩: ٢٤) ، وأنشودة الغزل (حزقيال ٢٣: ٢٣) وغير ذلك ؛ ولم يتردد في إدخال تعديلات عديدة في نسخ النصوص المقدسة (حتى يوم سبى الأرض = حتى يوم سبى التابوت ، القضاة ١٨: ٢٠) ، لا تخبروا في جت لا تبكوا بكاءً = لا تخبروا في جت لا تبكوا في عكاء (مicha ١: ١٠) وهدير قبائل تهدر كهدير مياه غزيرة = قبائل تهدر كهدير مياه كثيرة (إشعيا ١٧: ١٢-١٣) هنا ازواج والأول يزيد وما شابه ذلك) .

٥ - دافيد شموئيل لوتساتو

أما شموئيل دافيد لوتساتو فكان أول من ركز في بحثه على العهد القديم وفروع البحث المتشعبة عنه ، ورغم أنه كان معارضاً لنقد العهد القديم الأدبي في عصره معارضة مطلقة ، فتوجد عنده أقوال وتعبيرات نقدية ومع كل هذا ، فقد كان أحد المؤسسين الأساسيين والأوفياء في الأدب اليهودي . وكان شموئيل دافيد لوتساتو يؤمن إيماناً تاماً بتمام التوراة وقداستها المطلقة ، وكانت نفسه الكامنة عقائدياً تبتهج لسماعها ، مهما قسموا التوراة لأقسام ومصادر ، أو أخروا العصور أو غيروا الترتيب .

ومع ذلك فقد كان واحداً من القلائل الذين تغلغلوا داخل أغوار اللغة العبرية وكشف أسرارها ، وقد شعر من خلال فحص مميز بوجود خلل في النص وبعض التحريفات التي تسلك للنصوص المقدسة . كما كان له أيضاً ميزة خاصة : هي أنه كان يتنبه من خلال جوانب النص المحرف إلى صورته الأولى ويقف عليها . ولأنه سمح بتعديل النصوص المقدسة فقد حورب بقوة ، وقد حدثت عقيدته العميقة في قداسة النص من هذه الحرب وقد أسس شموئيل دافيد لوتساتو تعديلاته بدون خوف من أحد ، وبدون أن يهتم بتأييدها ، وقد تعمق في أسباب التحريفات وهكذا شكل مصدراً لنظرية النقد النصي على أساس من منهجه . هذه الازدواجية بين قوة العقيدة وقوة النقد التي ازدهجت داخل نفس شموئيل دافيد لوتساتو في تناغم واحد ، هي التي قللت من قيمته في تطور العلم نفسه ، غير أنه وسع أيضاً مجالات تأثيره في عصره ، وهياً لانتصار الأدب العبري أمام النقد .

وبدأ شموئيل دافيد لوتساتو تفسيره لأسفار التوراة مزوداً بكل أبعاد البحث في عصره ومتضللاً بكل بواطن أدب النقد . حتى أنه سمح لنفسه في الفقرة الأولى من تفسيره أن يوضح لقارئيه أن قصة الخلق لا تفهم كحقيقة علمية ، وعلاوة على ذلك فإن التوراة لا تمثل كتاباً تعليمياً في تطور الطبيعة ، ويقول " يفهم المثقفون أن القصد في التوراة ليس نشر العلوم الطبيعية ، فالتوراة لم تعط إلا لتقويم البشر بأسلوب العدل والقانون ، وتؤسس في قلوبهم عقيدة التوحيد والعناية الإلهية .. وموضوع الخلق لم يسرد كلية ، ولم يكن متوقعاً أن يسرد في التوراة بأسلوب فلسفي " (التكوين ١: ١) .

ويوضح شموئيل دافيد لوتساتو بحذر شديد المادة التاريخية والأثرية المدمجة في أسفار التوراة ويطابقها بأقوال المصادر الأخرى الموازية لها ، ويستخدم أقوال المؤرخين القدماء الآخرين (يوسف فليفيوس وهسيونوس (التكوين ٥: ٥) هيرودوت (التكوين ١٨: ٢٨) ، وغيرها كشواهد لذلك .

وفي أحيان كثيرة جداً كان يسير في إثر المحافظين من بين نقاد العهد القديم مثل ميخائيليس وهيردر ، جرتسيوس وكريكوس (انظر : التكوين ٢: ٨ ، ٢٢ : ٣٦ ، ٣١ : ٣٦ ، ٢٤ : ٢٨ ، وغير ذلك كثير) ، ويقتبس تفسيراتهم باسمهم ويذكر باسم الجن أن في أقوال الرواية عن "أبناء الله" و"قائمة الأجيال" حفظت بقايا ميثولوجيا قديمة ، وفي تفسيره للتكوين (٥) يقول " يرى أن يويال هو Apollo وتويال قاين يبدو أنه Vsumoclu ونعمى ربما هي Vsume واسمها يدل عليها ."

وعلى الرغم من أنه كان يعارض كلية نظريات أستروك والجن وأيشهورن فقد كان واثقاً أن كل أبحاثهم "ذهبت أدراج الرياح"، ومع كل هذا يرى أن من الواجب أن يخبر القارئ العبرى بهم وعن نتائجهم، وأن يأتي أيضاً بآراء معارضيه (انظر التكوين ٩:٢)، وفي هذا لم يسبقه أحد من بين اليهود.

وفي رأيه أن معرفة تقسيم المصادر، وحتى تقسيم المصادر في الأنبياء، أو تأخير مزامير في سفر المزامير، قد سمعت أيضاً بين اليهود وسببت ضغينة، وحرماً، ولكن لم تضلل الشخص. وأين الوقاحة أعظم من ذلك القول بأن أحداً من الغشاشين الموجودين في سبى بابل كذب من قلبه نبوءة إشعيا عن قورش وقال "من أعلم بهذه منذ القديم؟ (إشعيا ٤٥: ٢١). فتنبؤ تلك النبوءات وكأنها قيلت عدة أجيال قبل ذلك... لكن السخرية أنه ليس أفضل منها سوى سخرية سبينوزا، الذي يجعل من نفسه عبداً للرب بومبجه وحبيبه، بقصد كلامه ليس سوى القول بأنه لا يوجد إله في العالم... وماذا يقال عن سخرية صاحب "الكرم" الذي ينسب لفارس التراتيل الدينية الربى شلومو جيبيرول الذي تشبه أفكاره أفكار سبينوزا وتلاميذه؟... وكيف أسكت وأكبت نفسى برؤيتي الثغرة مستمرة ومتسعة... وحالياً قام شخص من بنى إسرائيل لينشر أقوال سبينوزا وسط اليهود بلغة القابالا...، وكذلك لم يوقر أيضاً شرح ابن عزرا، وكذلك شروح النقاد العبريين في عصره.

وبنفس الأسلوب الذي حارب فيه بجرأة ضد منكرى صحة التوراة، عارض أيضاً المقدسين للماسورا والمولين للحروف، فقد حفظ عن الربى إلباهو لويثا بأن أشكال القراءة متأخرة، ووضعها أصحاب الماسورا، ولذلك أدرك أنه يجب رؤية النصوص المقدسة كما لو أن ليس بها أدلة القراءة مطلقاً، وأنه من سلطة الباحث، أن يضع أشكال قراءة أخرى مكان تلك التي انتهجت بواسطة أصحاب الماسورا.

وتعمق شموئيل دافيد لوتساتو في عمل أصحاب التشكيل، ووجد أن أسلوباً محدداً كان لدى أصحاب التشكيل عند وضعهم التشكيل، ولم ينبع هذا الأسلوب من علم اللغة وأقوال الماسورا المسلم بها لدى الشعب فحسب، بل أيضاً من الآراء الدينية والفلسفية لأصحاب التشكيل، ويعد أن وضع لنفسه هذا الاتجاه النفسى ليزيل الشكوك الدينية، على الصور المادية وما شابه ذلك، فقد وجد مرة ثانية وسائل دعم وفيرة للنقد ووسائل جديدة لتعديل النص.

وكما حدث مع ابن جناح الذى لم يترك مجالاً فى قواعده الواردة فى مقدمته لتعديل النصوص والقواعد، فقد حدث ذلك أيضاً لشمونيل دافيد لوتساتو ومرة ثانية عندما بدأ يفسر أى نص من النصوص المقدسة، لم يكن حريصاً على التعليمات التى قصدها أصحاب التشكيل، وأصحاب الماسورا، بل أدخل تعديلات فى النصوص من خلال حس نقدى ورؤية تأملية. وقد حازت تلك التعديلات على الرضى (وغضبى فى إبادتهم = وغضبى فى انحراف يتيم (إشعيا ٢٥: ١٠) بقوة ربحه = بعظم ربحه (١٥: ١١)، ووجهاً من جهة الشمال = ووجهاً من داخل الشمال (إرميا ١٣: ١)، مبارك مجد يهوه = بعظمة مجد يهوه (حزقيال ١٢: ٢)، لأجل ندى صباك = لأجل ندى صبيانك (٢١: ٢٣)، أعدل من سياج الشوك = أعدلهم من سياج الشوك (مicha ٤: ٧)، وقضاؤك ثور خرج = وقضاء كثور خرج (٥: ٦)، وفى الجامعة ٢١: ٣، الصعود بدلاً من "هل تصعد"، وتنزل بدلاً من "هل تنزل"، حيث وضع هاء الاستفهام بدلاً من هاء التعريف، وما يشبه ذلك).

وعندما توجه إليه الربى شلومو يهودا رفوفورت شيخ العلوم اليهودية باللغة العبرية، وفتح أمامه صدره بسؤاله: أعطيت لهم (علماء شعوب العالم) الحرية للدراسة والبحث طبقاً لأرائهم، غير أننا بنى إسرائيل، ماذا نفعل بمثل هذه التفاسير أمام الأجنبى؟ أرشدنى إن استطعت، والماسورا منتصبة كسور حديدى ضدنا، فنهنض شمونيل دافيد لوتساتو بعظمة مكانته وأعلن بلغة واضحة وسليمة فأجيب (واليههم أساعد) وأقول: إننا بنو إسرائيل إله الحقيقة إلها، الذى لم يأت أمامه كافر، وهو الذى يفحص القلوب والدمار، ولذلك فإن العمل غير الطاهر يمحوه من على لوح قلوبنا، وإن كان طاهراً، فنذيع عدلاً فى جمهور كبير... ويعد أن اتضح عندنا بمعجزات ليس لها حائل. لأن التشكيل والنبر لم تكن ولم تخلق حتى بعد إقرار التلمود... فلماذا التراجع إلى الخلف برويتنا لمقرا مبهم؟... والماسورا تلك التى قلت إن وجودها كسور حديدى أمامنا، فما هى؟ ومن داخل من خرجت؟ ومتى كتبت؟ ألم يكن معلوماً بلا شك أن أصحاب الماسورا قد قاموا بعد سنوات عديدة من أصحاب التشكيل "... وماذا نفعل بإعلان تفاسير مثل تلك أمام الأجنبى؟ " من المعروف لبنى الاستقامة أن أسفار آبائنا حفظت خلال أجيال عديدة حفظاً مدهشاً قدر الإمكان... لا شئ... والبعيد المطلق عن كل تشويه وخلل بسيط بقوة الأجيال التى تبدلت على أسفارنا كانت مستحيلة". تلك الأقوال العلنية والشجاعة الخارجة من قلب خائف على قداسة التوراة،

وكاتب الأقوال من زعماء أوائل المتحدثين فى هذا الجيل - وكم كانت الدهشة التى سلمت بهذه الأقوال كترخيص على للنقد وأقحمت عقول العديد من مثقفى العصر.

٦ - معدلو النص

ومنذ ذلك الحين صارت الأرض مهية بين اليهود لأجل تعديل النص . فقد اعتنى بها علماء العصر الوسيط ورسخها لويتا ، وناضل من أجلها عزريا من هانوميم ، وقد تغلغت صلة البحث للحرف فى التوراة إلى داخل أدب الريانيين حتى أننا نقرأ فى أسئلة وأجوبة الربى يتسحاقى بن شيشيت عن الأسئلة التى طرحت عليه "عن تلك التى قالها الربى يشمعيلى للرابى عقيبا هانت تقرأ ، فكيف يمكن لعالم كبير مثل الربى عقيبا أن يحرف فى قراءة فقرة مع أن صبيان مدرسة معلمنا يعرفوه ، إن لم يقل : إن كتبهم لم تكن محرقة" ، فيعلل الربى يتسحاق بن شيشيت "لأن تلك الكلمة كانت منقسمة فى كتبهم" وهذا يعنى أن نسخة الأسفار مختلفة (أسئلة وأجوبة الربى يتسحاق بن شيشيت، كتاب مختصر الأقوال) .

ويقرر الربى شلومو بن أدبرت بإسهاب "التغييرات التى نجدها فى النصوص المقدسة فى الموضوعات التى لا تختلف فيها المعانى لا تمثل قضية، لأن النصوص لا تحفظ الكلمات الصحيحة فحسب، وهذا حدث فى مادة التوراة، حدث فى الوصايا العشر ، والتوراة لم تحرص على حفظ المعنى فقط " (الإشارة ١٢) .

وطالما أن شموئيل دافيد لوتساتو لم يستخدم من نقد العهد القديم سوى هذا الأسلوب لتعديل النص، والذى سلكه بحذر شديد، من خلال حس لغوى جيد ودقيق، لذلك أقرت أقواله وحاول العديد السير فى أثره من الريانيين والورعين مثل : الربى م. دوشك (وشعبك كمن يخاصم كاهنا = وشعب كمن يخاصم كاهناً، هوشع ٤:٤)، الربى م. شتين (هو شرك للإنسان أن يلغو قائلًا مقدس ، ويعد النذر أن يسأل = هو شرك للإنسان أن ينام قائلًا مقدس، ويعد النذر فى الصباح (الأمثال ٢٥:٢٠) أموالاً وجثثاً = أموالاً وملابس (أخبار الأيام الثانى ٢٥:٢٠) بوا جهال تعلموا فهم = بوا جهال أعدوا فهماً (الأمثال ٨:٥ وغير ذلك) ، دافيد حايم إشكنازى (ويحسب الفضة = ويصهر الفضة، الملوك الثانى ٤:٢٤) ومواضع عديدة مثلها.

٧ - الربى نحيان كروكمل ونظريته فى العهد القديم

أما الربى نحيان كروكمل ، دليل حائرى عصره ، فهو واحد من ذلك العصر الذى لم يكتف فى أبحاثه بالفاظ النصوص المقدسة وتعديل الحروف، بل توغل داخل أعماق مؤلف العهد القديم ، وتشجع ليكشف جوهر تلك الثقافة الرائعة، والوقوف على شمولية "الخاصية الروحانية" فى الأمة .وهو كتلميذ لهيجل وكان مؤمناً ومرتبطة بصورة أساسية بتطور كل موجود روحانى، وعارفا بفرع من فروع بحث العهد القديم ،كما عرفها علماء شعوب العالم وعلماء اليهود فى عصره ،فتوجه فى ضوء ذلك لكشف مراحل تطور الثقافة العبرية القديمة كما عبر عنها فى أدب العهد القديم.

ومع كل معلوماته العميقة فى البحث الأجنبى ، فلم يتوقف أمامها ،ولم يرغب فى أن يجد لها صدئ فى اللغة العبرية، إذ كان واحداً من القليلين الذين عرفوا كيف يسيطروا عليها، ويختاروا منها ما يتفق مع الأسلوب الذى حدده فى تاريخ تطور اليهودية، ويسطر رؤيته داخل غيوم الماضى ويبدأ مخططة من بداية تكون بنى إسرائيل.

وهو يسلم ببديهية شهادات روايات التوراة، ويفحصها وفق قدرته فى ضوء المعرفة ببقية الشعوب السامية، وذلك على أساس المنطق العقلى ووجهة نظره الفلسفية الأوربية .ويزيل بجرأة مشكلة الطبقات المضافة على أقوال النصوص فى عصر الأجادا والدراش ويوصل من داخلها إلى المضمون القديم .فيرى أن الجماعة التى جاءت إلى كنعان كانت تعبد فى الأماكن المرتفعة باسم يهوه، ولم يتصور أحد أن هذا إثم .حتى إن يربعام بن ناباط فى إقامته العجول لم يقصد سوى اسم يهوه ،إله إسرائيل ، وكان الأجانب الذين ليسوا من أبناء الكهنة يقربون القرابين بإذن وعندما تزايد الطموح فى عصر الملوك لتنظيم سياسى وحشد الأمة ، حدثت لأول مرة الحرب ضد الأماكن المرتفعة ، والعبادة خارج مركز أورشليم .ويسمع الجماعة فى عصر القضاة تغنى أغانى عديدة ومتنوعة ،ثم جمعت سوياً فى مجموعة " أول مجموعة من الأسفار المقدسة" وعرفت باسم " سفر المستقيم" .

وكتَبَ الأنبياء الذين قاموا فى عصر الملوك - هم أو تلاميذهم - نبوءاتهم فى أسفار ، وألفوا أسفار أخبار الأيام للملوك مختلفين، أو اختصروها من أسفار سابقة أكثر إسهاباً ، وتلك الاختصارات وصلت إلى يد الشعب ونسخت وانتشرت .وكانت عصور يهوشافاط وحزقيا ويوشيا هو عصور معرفة "للتوراة ومعرفة ونسخ الأسفار" .

وحرقت العديد من الأسفار المقدسة التي كانت موجودة في الهيكل زمن الخراب، والتي بقيت وحفظت في السبى صارت تابعة للترجوم والتفسير. وجمع العائدون من السبى ما بقى في أيديهم من بقايا الأسفار القديمة ونسخوها وصححوها ووضحوها بإسهاب وقيموها بحكمة. وظهر في ذلك العصر أواخر الأنبياء مثل إشعيا الثاني ويوثيل (الذي على أية حال لم يتنبأ قبل عصر عزرا) ووحى وزكريا الأول وزكريا الثاني (الذي عاش بعد موت الإسكندر المقدوني)، وقد زاد الكتب آنذاك من ترجمة التوراة وتفسيرها، وتعليم الجماعة وسربوا أمامها تاريخها. وحتى تم جمع كل أقوال هذه المؤلفات المقدسة في هذه الفترة العظيمة والغنية ورتبها سوياً مع كل ما سبقها، وطابقوا هذه بتلك وعدلوها حتى تثبت العهد القديم قبل الخراب بمائة وثمانين عاماً (في عصر حنانيا ابن جرون، معاصر هليل).

وعلى هذا المنوال بحث في تطور أسفار العهد القديم، وشكل بعد ذلك تاريخ كل سفر، وكان الربى نحمان كروكمل حذراً لئلا يمس الماسورا، حتى إنه لم يستطع الاعتماد في أقواله على أى برايتا أو قول مأثور لأصحاب التلمود. فلم يناقش مطلقاً تاريخ أسفار التوراة الخمسة، وتجاهل كل القضايا المرتبطة بها، وكان يضطره الحديث إلى أن يوضح علاقته بها.

ولم تحفظ في مقالاته الروائية أقوال مفصلة عن أسفار الأنبياء الكبار السابقين على السبى. غير أنه شرح أدب العائدين من السبى وعصر الهيكل الثاني بإسهاب. وهو مثل سبينوزا في عصره، يقتبس أيضاً الرموز الغامضة لابن عزرا واحداً واحداً، ولكن هذه المرة ليدعم رأيه بوجود شخصيتين باسم إشعيا. ومن خلال العصور المذكورة في التلمود يعالج كل وحده هناك بشأن تاريخ الأسفار وترتيبها. وعندما بدأ نقد كل سفر على حدة فإنه تمسك بأساليب "أصحاب نظرية التجزئة" المتشددتين. فوجد في سفر عزرا خمس قوائم مختلفة، تفصل بينهم مئة وعشرون سنة (من السنة الأولى لقورش، وحتى السنة الثالثة والعشرين لارتحشستا. أما سفر أخبار الأيام الذي كان مؤلفه الأول عزرا، وأضافوا عليه بعد ذلك من قوائم نحemia، ومن لفائف النسب، وقوائم الكهنة، سار مؤلفه واستمر ثلاثة أجيال بعد نحemia، أى حتى انتهاء مملكة فارس، ووجد الربى نحمان كروكمل من وجهة نظر التطور البطى هذه تأليف بقية أسفار تلك الفترة وتركيبها. فسفر دانيال "مؤلف من بعض اللفائف (تسع أو عشر)

لفيفة لفيفة على حدة، ولا ترتبط الواحدة بالأخرى السابقة عليها أو المتأخرة عنها، سواء في أسلوب اللغة أو في طريقة التأليف. وأمثال سليمان - هي "أساطير عامة لمجموعات أمثال" كانت سائدة لدى الجمهور ومثقفي الجماعة، وكانت منظمة في لفائف مختلفة.

ومن وجهة النظر هذه يعالج الجامعة ونشيد الأناشيد، ويحلل سفر المزامير في دقة أكثر. فوجد فيه مصدر تسبيح بابل، يعني مزامير قيلت بواسطة العائدين من بابل، في "تنهديات ممزوجة بالأمل" و "المثقف يعرفها"، ووجد فيها أيضاً تسابيح آشورية ويونانية غناها الأنقياء الغيورون عند خروجهم للحرب في عصر الحشمونيين (مثل ٥٩، ٦٩، ٧٤، ٧٩، ٨٣، ٨٥، ١٢٢، ١٤٤) ومن خلال المزمور (٦٠) يفهم أنشودة يهودا المكابي في عبر الأردن عند خروجه لإنقاذ بيت صور المحاصر بواسطة اليونان، "الله قد تكلم بقدسه، ابتهج، أقسم شكيم وأنيس وادي سكوت. لى جلعاد ولى منسى ... من يقودنى إلى المدينة المحصنة؟ من يهدينى إلى أنوم؟" (٩:٦٠)، وغنى نفس هذا المزمور مرة ثانية عندما انتهى الحصار على يد الحشمونيين في عصر شمعون المكابي (المزامير ١٠٨).

ويرى سفر الجامعة بمثابة السفر الأخير في أسفار الكتابات، والفقرات الأخيرة فيه (كلام الحكماء كالمناسيس وكأوتاد منغرزة ... ١٢: ١١-١٤) هي عبارات الإتمام، ليس فقط لسفر الجامعة فحسب بل أيضاً "الأساطير أسفار الكتابات في مجموعها" ففي بداية قنوم اليونان أنهى رجال الكنيسة الكبرى "وختموا بتلك الفقرات مجموع القسم الثالث من الأسفار المقدسة" غير أن "الإقرار النهائى والمطلق" لأسفار العهد القديم حدث في عصر محكمة الحشمونيين في عصر شمعون، ويوحنا الكاهن الكبير، نتاى الأربلى، ويهوشع بن فرحيا وبقية حكماء عصرهم، تلاميذ مغنى الكنيسة الكبرى، وكما يقال، فقد ختم قبل الخراب بمائة وثمانين عاماً.

ويلا شك كان الربى تحمان كروكمل فريداً في عصره، والأول في الأدب العبرى الذى حاول أن يسلك طريقاً جديدة في تاريخ تكوين العهد القديم، وذلك من "سفر المستقيم" الذى كان في عصر القضاة وحتى تثبيت العهد القديم في الفترة الأخيرة للهيكل الثانى، وأن يقرر تلك النظرية للجمهور، وذلك بحذر شديد وإشارات مبعثرة. وقد كان يعرف ما يسيئه. فكتب ذات مرة "قلبي يرتعد في وسطى لأعلن مثل تلك

الفرضيات الجديدة، التي هي عكس المنشور حالياً عند العامة والخاصة، ومنذ ذلك تضاعل الورع الحقيقي وتزايد الغيورون المتريصون على رأس الطريق، حتى خرج قول من فيه دارس، عكس المألوف عندهم، أو الذي يعظ في جلسته في كنز علمهم التافه فيقيموا عليه حرباً غير أن الربى نحمدان كروكمل كان واثقاً أنه لا يمكن أن تختفى تلك الآراء. فيقول: "من يعرف الله ويعرف إسرائيل يدرك أنه ليس هناك خوف خطير أن تتوقف العقيدة، بأبحاث حقيقية ويقلب طاهر كهذا، ويشبهه آلاف، وعلاوة على ذلك، شكراً وأفضلية لإسرائيل، وعظمة لتوراة آبائهم، وعار للجاهلين عن قصد في عصرنا هذا.

وعلاوة على ذلك فقد كان ملتزماً بإظهار آرائه تلك للأجانب، لكي ينقذ مجد التوراة؛ لأنه إذا تنبهنا أيضاً حالياً لنقرر بأن في المزمور "على أنهار بابل" توقع داود بالروح أورشليم أحداث سبى بابل وحزن عليها، فإن هذا لم يؤثر في قلوب القراء والسامعين العارفين - الشبان - طبقاً لوضع العلم في هذا العصر... بل أيضاً تشمئز أنفسهم من تفسيراتنا ومواعظنا له... ولأننا، معلمون ووعاظ نستوعب القصد المراد في البقية عندما نوضح لهم المزمور.... أنه أنشد في بابل بواسطة أحد اللاويين في السبى. ولذلك يرى في نقده الحر أنه يوجد ازدراء في جانب أكثر من جانب آخر باسم عصر العمل ليهوه وقد كان واثقاً في إخلاصه أن علماء الأكثر قدماً عرفوا هذا الأمر وتجاهلوه وبصلاحية أكثر يقتحم المخابى ليكشف عن الذي تجاهله القدماء. من هنا كان فحصه للبرايثا في (باباترا ١٤)، ومن هنا كان حبه الشديد لأبراهيم بن عزرا العالم الفقير، الذي سلك مثل اللؤلؤ عبر رموزه وتفسيراته المتعمقة.

وحقاً، لم يخف سائل خوف الربى نحمدان كروكمل، ولم يكن الأدب العبرى مؤهلاً بعد للاعتراف بالآراء المضادة للآراء التقليدية المشهورة. "ولم يثر ضد الربى نحمدان كروكمل لإزعاجه فقط" الغيورون المختبئون على رأس الطريق"، بل أيضاً زعيم النقاد في ذلك العصر. وعندما كرر شموئيل دافيد لوتساتو نظرية إيلياهو لويثا وقرر بأن أحكام القراءة متأخرة، نال جزاءه من رجاو نفسه، وكذلك عندما اتجه بعد ذلك الربى نحمدان كروكمل "وأبعد من إشعيا الـ (٢٧) إصحاحاً الأخيرة فيه، وأخر أيضاً زمن كتابة بعض إصحاحات سفر المزامير. لم يرغب أن يعتذر له شموئيل دافيد لوتساتو.

٨ - تلاميذ الربى نَحمان كروكمل

غير أن الصراع ضد هذه الآراء قد تسبب في طرح أسئلة مرتبطة بالبحث العلمى للعهد القديم ذاعت بين المثقفين وقد انتشر بين اليهود تلاميذ الربى نَحمان كروكمل، وكذلك المعجبون بأقواله وأبحاثه، فكتابه الذى صدر بعد موته لقى أهمية كبيرة، كما نجحت مقدمة تسونس فى استقطاب القلوب البعيدة . ولم يمض وقت طويل حتى ظهرت جماعة كاملة من الباحثين الشبان تقدر النقد، وتحجب آراء المحافظين، وتواصل العمل النقدي الذى حاربت لقيامه.

ووجدت الآراء النقدية التى قيلت فى الخارج طرقاً لها فى مدرسة الربى نَحمان كروكمل، ولدى دوائر جماعة النقد التى جاءت بعده، وبخاصة فى الأدب اليهودى باللغة الألمانية . حيث وجدت أبحاث جايجر عندهم أذاناً صاغية ، كما أن كتابه "النسخة الأصلية" "قوبل بفرحة وهو الذى دعم سلطانهم ، ووجه من جديد أدب النقد باللغة العبرية إلى أسلوب النقد النصى، وتعديل النصوص المقدسة بـذلك بعد أن وضع جايجر أسسها.

٩ - أبراهام كروكمل

وينتسب إلى هذه الجماعة الباحث الشاب أبراهام كروكمل، ابن الربى نَحمان كروكمل، وقد أثار كتابه فى صورته المتغيرة وتعديلاته المتشددة عاصفة فى الأدب العبرى آنذاك ، واستخدم بمثابة صورة أدبية لكتابه هذا الأسطورة التى كانت سائدة بين الإسرائيليين بأن العلم الباطنى الذى تعلمه بعل شيم طوف من فيه شخص ، وجده مختفياً فى صخرة ، ويعد أن أعلنه لبعل شيم طوف ، أخفاه مرة ثانية فى الحجر الذى فى "مزبوراً" . وباستثناء هذا الشخص فقط لم يره أحد آخر فى بنى إسرائيل بعد ، ولم يظهره للعديد ، لأن الجيل لم يكن مؤهلاً بعد ، ونظرية علم الباطن هذه هى النسخة الصحيحة للكتابات المقدسة .

وكان باروخ سبينوزا - معلم بعل شيم طوف - هو نفسه الرجل الذى عرف علم الباطن ، ولم يظهره للعامة بل أعلنه لشخص وقد كان هذا الشخص هو أفرام بن نَحمان كراكمال حفيد بعل شيم طوف فى "مزبوراً" واستخرج هذه النسخة القديمة "خطاب الرب" ، من داخل الصخرة ونشرها على الملأ . فقد جمع فى كتابه هذا

التعديلات التي نشرت بالعبرية والألمانية واحداً بعد الآخر ، وأضاف عليها من عنده تعديلات عديدة ، وطبعها طبقاً لترتيب العهد القديم ، المكتوب في ناحية «المقروء» في ناحية ، وعددها بالآلاف ، هذا بالإضافة إلى ترجمة ألمانية وشرح عبري للتعديلات . ولم يستخدم تراجم كما ينبغي ولم يعرف أيضاً الكتابة العبرية القديمة . ودعم تعديلاته باستدلالات منطقية فقط ، وإذ ذلك فقد كانت البديهيّات في تعديلاته عديدة ، وغير ناجحة دائماً . وتوصل في مقدمته إلى العلاقة بين النقاد الجدد وسبينوزا ، والعلاقة بين سبينوزا وابن عزرا وبقية الباحثين العبريين في إسبانيا - بعد أن نبه إلى ذلك بإسهاب كبير قبله الدكتور يونيل - وفي هذا أول إشارة بالعبرية لنقد العهد القديم عند اليهود .

١٠- يعقوب ريفمان

لقد تفوق يعقوب ريفمان على معاصره الكبير كروكل . وقد عاش ريفمان في مدينة زاموشتس مركز الهسكالا في بولندا ، ونشر نظرية "على مسامع الشباب" ، وخصص في تحليلاته مكاناً للنقد بحث الأدب العبري ، ونقد العهد القديم ، وبصفتها لغوياً فقد تعمق خصوصاً في الترجمة السريانية ، وقارنها بمادة العهد القديم العبرية ، وقرر على أساسها منهجاً في تفسير النصوص ولم يكن نقد العهد القديم من وجهة نظره وليد الخارج ، بل يرى أن جذوره عميقة في تاريخ الإبداع العبري وقد حاول تدعيم هذا الرأي .

وطبقاً لوجهة نظره فإن الرابي اليعازر بر يوسى الجليلي صاحب برايتا الاثنين وثلاثين قاعدة التي تبحث على أساسها التوراة ، هو "الأول الذي وهب قلبه لدراسة وبحث أسس توضيح الأسفار المقدسة" ، وكل هذه القواعد خصصت لتوضيح العهد القديم وتفسيره وبمنهج التفسير (البشاط) الواضح ، الذي توصل إليه علم اللغة . والثاني عنده هو يونا بن جناح الذي نعى وأضاف تلك الحبة الصغيرة (قاعدة) "أسلوب الاختصار" : "للربى إلعازر بر يوسى الجليلي ، ونماها يونا حتى أصبحت حزمة عظيمة من القواعد متعددة الأنواع ...وها هو ذا يغرسها في كتابه "التراكيب" ، ذلك الكتاب المعجز الذي تحديق فيه العين ...وتندهش منبهرة فتعرف وتفهم لماذا كانت عظمة نقد العهد القديم في إسبانيا حتى المائة التاسعة من الألف الخامسة وقد توفر سفر كامل عن تاريخ نقد العهد القديم في بني إسرائيل ولكن بسبب فقره لم ينشر إلا كتاباً صغيراً فقط ، يشمل ثلاثة فصول : أباء النقد في جماعتنا ، ومؤسسات النقد

يعنى أساليب النقد وخطط الناقد، ودليل منهج نقد الأسفار ، وذلك من وجهة نظر مشابهة للنقد الذى وضعه لسفر صموئيل.

وقد سار فى تعديلاته العديدة وراء منهج الجليلي ، ومناهج الربى يونا بن جناح ، وكان أول من كشف عن تحريفات فى العهد القديم نجمت عن الإيجاز، واستخدام الاختصارات (مثل " أيا كان منكم على الفتى أبشالوم بدلاً من ، أيا كان منكم مد يده على الفتى أبشالوم " (صموئيل الثانى ، ١٨: ١٢) ، أو "أذكر يا رب عار عبيدك ، الذى احتمله فى حضنى من كثرة الأمم" (المزامير ٨٩: ٥١)، قليل من شطر كلمة إهانة ، المرادفة لكلمة عار - إجابة على القضية ص ٥٥ ، وما يشبه ذلك، وقد اعترف بفضل كل من فرلس وديتسش . ويتعديلاته الحادة والواضحة تفوق بكثير على دافيد شموئيل لوتساتو ، وقد اعترف بهذه التعديلات كل الباحثين من بعده .وقد كان ريفمان أحد القليلين الذين وقفوا على الوزن فى شعر العهد القديم، كما تمكن من التمييز بين الأقوال الشعرية بالأقوال النثرية فى العهد القديم، واستخرج من سفر الأمثال تسعة وعشرين إصحاحاً شعرياً .

وقد كان حذراً جداً فى أقواله ، ومعتدلاً فى بحثه، كما كان حافظاً للوصايا فى حياته وتلمذ على مناهج علماء التوراة والقانون ، وقرع لأقوال العلماء فى عصرنا ، وأيضاً لأقوال العلماء الكبار فى العصور القديمة ، ومع كل هذا بدت أقواله الموزونة والمعتدلة مثل ثغرة فى جدار ، فاضطهد وعذب بوتصدق أقوال شهادته تعرض لى المحافظون مرة أو مرتين واتهمونى بالكذب ، وجرحونى وخطوا من قدرى واعتبرونى مدعياً ومشاكساً ومتمرداً .

١١- ش.ل.هيرش

ولنفس الجماعة ينتمى أيضاً الناقد العبرى الأصل ش .ل.هيرش من نفس مدينة الربى نحمان كروكمل ، والذى واصل أسلوبه إلى درجة كبيرة . وقد رأى هيرش أن مهمة النقد لا تكمن فى تعديلات النصوص المقدسة فقط، بل تصور مثل معلمه الأكبر وجود منهج فى تاريخ بناء أسفار العهد القديم ، ولكنه كان حذراً جداً أكثر من جميع الباحثين المعاصرين له .

وعلاوة على أبحاثه باللغة الألمانية، فقد ألف عن نقد العهد القديم باللغة العبرية كتابه "تاريخ بني إسرائيل وعقيدتهم . ولكي يزيل سخط حُرّاس السور قدم مقدمة لكتابه حذر فيها القارئ ألا يعطوا أهمية في فكرهم لأقوال الهرطقة المشروحة والكامنة هنا في الكتاب ، وأن الأقوال التي تأتي في الكتاب ليست كلها من عنده ، بل إن بعضها أقوال من تفسيرات المهرطقين ، ولم يأت بها إلا من أجل معرفة كيف نرد على الهرطقة ونبرهن للمبتدعين أن عملهم لا أساس له؟ ومن أجل ذلك فقط يذكر باسم الهرطقة أقوالاً من هرطقتهم التي ليس لها أهمية .

واستمر بهذا الأسلوب يوضح بجلاء ويبراهين عديدة مأخوذة من داخل التاريخ وتاريخ الثقافة بومن أقوال المصادر ذاتها بأن "القسم الأكبر من توراتنا لم يكتب في الصحراء" وأن "موسى لم يكتب التوراة كلها ، وأن أقوال التوراة ليست سوى" لفائف من أماكن وعصور مختلفة لرجال وحكام عشائر وأسباط مختلفة وتحدثت عن الآباء والأجداد أو كتبت هذا بعد ذلك . ويكشف في محاضرة له بأن" أقوالاً عديدة من تفسيرات الهرطقة والمبتدعين لم يقدرها الجميع ، لأن لها إشارات في الأساطير القديمة ، وأن العديد منها مشار إليه أو مرموز له في أقوال حكمائنا طيب ثراهم ... لأن قدامائنا كانوا مفعمين بالرغبة في معرفة نشأة أسفار العهد القديم في عصرهم" . ويحاول "باسم الناقد" أن يقدم أسلوباً عن تأليف العهد القديم ، ويحصى فيه ثمانى مجموعات تعود إلى عصور مختلفة ، وهى :

أ - لفائف قديمة تعود إلى عصر الصحراء تم تحريرها من قبل أحد أبناء أفرايم .

ب - لفائف من تعاليم الكهنة ، تمت الإضافة إليها حتى عصر يهوشع بن صادوق.

ج - لفائف أعداد الأسباط .

د - لفائف باعترافات الأنبياء .

هـ - مجموعات من روايات بيت داود .

و - أقوال الأنبياء ومجموعاتهم في بابل .

ز - أقوال الكهنة والأنبياء العائدين من السبي .

ح - تكملات مختارة من عصر الحشمونيين .

وعن تورا الكهنة وسفر العدد - يقول باسم المهرطق ، كما هو مفهوم - كما هما لدينا حاليا فإنها متأخران جدا ، ولا يمكن تقديم زمنهما عن بداية الهيكل الثاني .

ومع هذا ، فإنه يضيف في نهاية كتابه وفي شكل إجابة ما يلي : "ضد الهراطقة يسكر قمى منبع الوشاية" ثم يؤكد كلامه باعترافه : "أن كل أبحاثه لا تمس الوصايا العملية لأنه ليس لنا قيمة أمام هذه الشريعة .

ومن خلال هذه المقدمة والخاتمة أصبح بحث هيرش الذى قدمه باسم المهرطق الأول فى اللغة العبرية الذى يتناول ليس فقط بناء أسفار العهد القديم المتأخرة ، بل أيضا مادة مصادر أسفار التوراة الخمسة ، التى لم يقترب منها الربى نحماني كروكميل نفسه .

١٢ - الطليعة ومحررها ي . ش . شور

غير أن الاحتياطات العديدة التى نهجها هيرش كان قد انتهى عصرها بالفعل فى زمنه . فرملاؤه ومعاصروه لم يكونوا بحاجة لقناع ، أما فيما يتعلق بالمضمون فقد كانوا أكثر حرصا منه .

وقد أعرب أولئك الذين التفوا حول "الطليعة" عن رأيهم بكبرياء بفتحوا بابا لمعرفة النقد المدون باللغة الألمانية لجمهور القارئى باللغة العبرية . وبإستثناء كروكميل الابن ، فقد اشترك أحيانا فى "الطليعة" أ . جايجر نفسه وكان زعيم المتحدثين فيها رئيس التحرير ي . هـ شور حسيد "اليهود الغربيين" فى عصره ، كما كان لديه نزعة استقامة كمصلحى الدين فى ألمانيا ، الذى وجد نقد العهد القديم له وطنا فى وسطهم . كما أن الشاعر ميخا يوسف ليفنزون الذى أقام فترة ما فى برلين أفاد من علماء العصر - سينشور زكش بوى . ل . تسونس - وتأثر بالبحث الحر ، وفى ملاحظاته الشعرية عن "سليمان والجامعة" أوضح أن "من له عينان يرى أن هذا السفر يعود لأبناء العصور المتأخرة ، سواء فى لغته أو فى موضوعه ، وربما ألف فى عصر الحشوميين ."

١٣- خلافاً للمحافظين حول الأدب

وبدا شور فصله بدراسة لتبيرة كبار الباحثين - شموئيل دافيد لوتساتو ، والرئيس نحمان كروكميل ويوسف شلومو روفيه - الذين خرجوا على الطريق التقليدي ، وبدأوا فحص العهد القديم بأسلوب النقد وتعديل الأخطاء التي ظهرت فيه . وفي رؤيته أن هذا "لم يسقط حاشا لله سور العقيدة " ، "كما لم يسقط بسبب تعديلات الكتب وتغييرات الشيوخ ، ومن الاختلافات التي بين الوصايا الأولى والأخيرة وغيرها " ، لأن "الروح ، روح الله الساندة في الكتابات المقدسة هي غذاء الجماعة وهي القائمة معجزة للشعوب " وليس الحروف والكلمات . والدليل على ذلك الاختلافات العديدة بين أسلوب الماسورا وأسلوب النصوص الواردة في التلمود والمدراسيم . ويتبع ي.ه. شور تغييرات الصيغ وأخصى ثلاثين موضعاً في التوراة بعد أن قام شموئيل دافيد لوتساتو وكذلك ريفمان بتعديل أسفار الأنبياء والمكتوبات فقط . ولم يقتربا من التوراة . وقرر شموئيل دافيد لوتساتو بأنه لم تطرأ أخطاء في الأسفار الخمسة ، وأنها حفظت كلية حفظاً تاماً منذ عصر كتابتها حتى عصر طباعتها . ويفهم من ذلك أن أدلة ي.ه. شور لا تزال تزيد نار الانقسام . ولكي يبرهن ي.ه. شور على صدقه اضطر إلى أن يتعمق أكثر في أدب النقد ويلتمس مساعدة علماء الأمم . فترك تفسير بوهلن لسفر التكوين عليه أثراً كبيراً ، وكذلك اختلافات الصيغ عند كينكوت وكتب روهده وفاتكه . ولكونه رجل حرب جسور ، رفع إشارة الحرب للدفاع عن أفضلية نظرية المصادر ، أو - كما دعا بلغته - من أجل "الصيغ المختلفة التي كانت أمام محرر أسفار التوراة . " وبوضحة كبرى ، وصيحة حرب باغت القارئ العبري بتوضيح الغموض والازدواج في أحداث الخلق والطوفان ، والروايات عن لوط ، والازدواج حول شراء المغارة ودفن إبراهيم وقدم رفقة ولقاء إسحاق وبركته وتأكيد الاسم يوسف بتغيير الاسم يعقوب إلى إسرائيل ببيع يوسف والخروج من مصر وأكل المن ، وأظهر بوضوح أنها لا تكون مصدراً واحداً لأقوال التوراة ، بل "كانت صيغاً مختلفة أمام محرر التوراة التي أدخلها سوريا في جمعه . "

وأضاف في كل مقال جديد له عن نقد العهد القديم سخطا شديداً ، غير أنه هو نفسه لم يقدم أي منهج عن تاريخ بناء أسفار العهد القديم ، بل طرح داخل العالم العبري الصعوبات الكثيرة والغموض المفاجئ ، وبعض التعديلات والتجديدات . كما استوعبها من الخارج ، منها ما هو مناسب جداً وذو قيمة . وعلى الرغم من ذلك كانت

متفرقة ومهلهة وغير مرتبطة برؤية واحدة، وتسبب هذا أكثر فيما يتعلق بصورة تفنيد العقيدة . وفي نفس الوقت توجه معاصريه تجاه ناحية أخرى ، أما الدائرة التي تركزت فترة حول راية "الطليعة" ، راية الإصلاحيين والحرب ضد القديم، زالت وتضالعت وتوقف تأثيرها .

١٤- رد فعل الحركة القومية

وتبدلت في عصر شور نزعة المحافظة على القديم في الأدب العبري الحديث، فبظهور الحركة القومية التي انتقل إليها السلطان الروحي في السبعينيات ، انتقلت البؤرة الأساسية للحرب ضد الجبهات الداخلية تجاه المجددين في الخارج . فاعلماء اليهود في الغرب الذين حملوا مشعل النور في نظر المثقفين الأوائل ، صاروا من الرافضين للاتجاه القومي ومحتقرين في نظر المثقفين الجدد . فالمكانة التي أعطيت للاندماج في الغرب والذي ساد في دوائر "يستان الجمال" و"الطليعة" ، فهم في دوائر "الفجر" على أنه عار ، وهذه الكراهية المفتعلة كانت موجّهة في المقام الأول ضد نقد العهد القديم ، والذي كان في الغرب يمثل إرث المجددين في الدين ، الكارهين لأبناء جيل "الفجر" .

وقبل أن تسود الرومانتيكية القومية لنفس الجيل توجهت إلى إحياء البحث في الأدب الرمزي للجماعة وفتح مجالات جديدة لفهمه، غير أن محفل الحب والإعجاب أشاد بها وتأخر عنها . وقد قام علماء العصر بمهمة كبيرة بغيرتهم على العهد القديم لئلا يؤثر على الأدبيات العبرية أي انتصار للعمل العلمي المتزايد ، ولكي لا يتأثر بالنتائج التي حدثت في الخارج حتى لا يسقط مجد سفر الأسفار كنز أدب الجماعة . ففي الخمسينيات واجهت الأدبيات العبرية كتاب "النص الأصلي" لأبراهام جايغر بأمل حذر وصيحة احترام ، وفي السبعينيات صدرت كل كتابات تسونس بمناسبة الاحتفال بيوبيله وفيها أيضا أبحاثه النقدية ، ولم يجد أذانا صاغية داخل الأدبيات العبرية في ذلك العصر . وبلا شك لم يسمع آنذاك شخص بالعبرية عن ظهور فلهاوزن وانتصارات مدرسته . فقد اعتبروا مفسدين لبستان اليهودية ، ومن من بين اليهود يستمع لهم ؟

١٥- بيرتس سمولنسكين

وعندما وُضع تفسير جريتس لنشيد الأناشيد أمام بيرتس سمولنسكين ، ففي ملاحظاته على الكتاب النقدي لجريتس عن المزامير عبر بأشعثزاز عن هذا الاتجاه لفكرة نقد العهد القديم بقوله "لم أشمئز فقط من قراءة هذا الكتاب بل أيضا من الكتابة عنه . والتعبير الأكثر صدقا عن مثل هذه الكتب هو تجاهلها . "وعلى أقواله المعبرة عن علاقة الموالين لرأية نقد العهد القديم بقوله : بعد أن يدأس مجد إسرائيل بأقدام الشريرين من كل اتجاه وأيضا بعد انتقادات عصرنا وكل إرثنا تمتد يد الشر لالتقاط رماد مجدهم . وفى هذا الوقت ... أيضا يظهر رجل من اليهود ... لم يجد قولا حسنا ، ليشقى نفسه به ، إلا الوقوف مثل خطاب يحمل فأسا لإسقاط فرع تلو الآخر ، وغصن تلو غصن فى حديقة اليهود وتعرضها للسخرية والازدراء ... ليسلب منا أيضا نفائسنا القديمة . وفى الوقت الذى نشرب فيه كأس المحرمات ، تصبح ذكريات العصور القديمة بمثابة شراب أو نواء للعديد من البائسين . "وأعرب تيار جماهيرى كامل بمثل هذه الكلمات عن علاقته بنقد العهد القديم .

١٦- دافيد كهانا

وبالفعل بدأت فى الأدبيات العبرية آنذاك فترة الندم على أخطاء شباب سنوات النقد . وفى عصر رابى شلومو لوريا رافوفورت ومؤيديه دعا بيرتس سمولنسكين إلى حرمة الأخذ بمنهج تأخر معظم الكتابات المقدسة ، ومن بعده وحتى الآن تشجع العديد للعمل مثله * ... ، لأجل القضاء على هذا "المرض" حيث برز من "الفجر" زئيف يعقوب عمدين بن تسيفى ، ودافيد كهانا وغيرهما لإعادة التاج إلى مكانه القدى . وكتب دافيد كهانا كتابا كثيرة ليبرهن أن الملك سليمان هو الذى كتب نشيد الأناشيد والجامعة والأمثال . وتشجع ليبرهن فى "ماسورة قيد التوراة" أن نص الماسورا الذى أمانا لا يوجد به أى خطأ . ولا يزال يعارض فى العديد من المقالات المجموعة والفصليات أى تعديل النصوص المقدسة وفى تفسير اللفاظ . ولم ينزلق بعد أى شخص إلى النقد العلمى الخاص بتكوين أدب العهد القديم . وامتنعت الأدبيات العبرية عن الاستجابة لعلم العهد القديم

١٧- ش.ف.رفينوفايتس

وعندما أقدم ش.ف.رفينوفايتس على ترجمة كتاب جريتش 'تاريخ إسرائيل' إلى اللغة العبرية لم يجرأ على إدخال أقوال جريتش عن تاريخ العهد القديم في الأدبيات العبرية بسبب خوفه من النقد ، فحذف كلية الفصول الخاصة بتاريخ العهد القديم مع كل الملاحظات والإشارات المنتمية إلى ذلك ، وعمل ذلك بقوله: إن أقوال المؤلف بشأن "نشأة الكتابات المقدسة وتأليفها ... وأساسها في نقد العهد القديم " ، وأسلوبها بعيد عن فكر المترجم وأنه لا يرى في تلك الدروس أى فائدة للغالبية العظمى من القارئ بالغة العبرية .

١٨- البراعم الجديدة

ولم تتغير العلاقة حتى قبل أن تتعمق الحركة القومية بين اليهود وتنتهى حرب الدفاع التى نشبت عشرات السنين فى الداخل والخارج ويتم الانتقال إلى العصر الإيجابى ، عصر الاستتارة فى الإبداع . حيث احتل 'البعث' مكان 'الفجر' وكان الدليل القائل لهذه المهمة الجديدة فى الأدب العبرى والبرهان الأول الذى اخترق الجدار وشجب التجاهل الذى أبداه الكتاب اليهود تجاه علم العهد القديم . فقد أشار أحاد هعام بمرارة إلى حقيقة أن "تفسير مندلسون وتلاميذه لا يزال عندنا حتى الآن ، بمثابة الكلمة الأخيرة" فى معرفة العهد القديم " ، فى الوقت الذى لا يتوقف "الأوروبيون" فيه عن بحث وتفسير كتبنا المقدسة ، وأشار فى الواقع إلى تفسير نوفك ودعا الكتاب اليهود أن يعملوا بالعبرية ما يشبهه ، وعندما بدأ بعد ذلك أفراهام كهانا فى إصدار العهد القديم مع تفسير علمى مؤسس على أساس من بحث العهد القديم فى عصره ، وعلى أساس نظرية تقسيم المصادر ، احتشد حول عمله جماعة من المفسرين الماهرين ففسر أبراهام كهانا نفسه أسفار التكوين والخروج والعدد ويونا ؛ ش.كرويس سقى إشعيا وتسفى جريتش حيوت ، سفرى :المزامير وعاموس ، وموشيه تسفى سيجل سفر صموئيل ، ومئير لامبرت سفر دانيال ، وي.بى بن تسيون فينكاف أسفار :هوشع ويوثيل وعويديا . وكان أحاد هعام واحدا من القلائل الذين باركوا هذا العمل . أما ميخا يوسف برديتسفسكى الذى دمر الشك وطرح التساؤل "لن أنا أشقى" فقد رأى فى كل هذا العمل -"تأسيس نقد الكتابات المقدسة بالعبرية" - جرأة متزايدة .

ومع ذلك فإن أحاد هعام نفسه لم يشتغل بنقد العهد القديم ، وفى مقال وحيد له كتبه عن موضوع متعلق بالعهد القديم - موسى - تحرر فيه كلية ووضع وثيقة للفحص العلمى للواقع الفعلى لعصر العهد القديم . وفى رأيه أن أقوال العهد القديم ليست سوى "صورة خيالية ، ابتدعتها الجماعة طبقا لحاجتها وميلها الروحى" ، والأكيد أن "هذه الصورة الخيالية 'موسى النموذجى' هو الذى أثر على الجماعة آلاف السنين ، وهو البطل الحقيقى الذى يجب بحثه ومعرفته ، لكى نقف على أساسه على جوهر الجماعة . وحقا حافظ على احترام روايات العهد القديم ، ولكنه أفرغها من مضمونها الواقعى لتظهر الحقيقة التاريخية - أو حسب تعبير أحاد هعام الحقيقة "المادية" - للبحث فى إصلاحها بقوة .

ومن فوق المناظر الأدبية لأحاد هعام بدأ يتردد أيضا صدئ أدب النقد الخارجى ، وكتبت أيضا بعض الأبحاث المرتبطة بالمصادر ، وظهرت فى "البعث" مقالات الدكتور شمعون برينفيلد الأولى عن أسفار العهد القديم ، وتواصلت هذه المقالات وانتشرت ثم جمعت سويا فى مدخل شامل ونشر أيضا منير إيش شالوم أبحاثه فى "البعث" . وفى كتيب أولى لـ "كنز اليهودية" التى أسسها أحاد هعام قدم دافيد نيمرك خلاصة بحثه عن "الأصول" وقد تطور بحثه بعد ذلك إلى كتاب قائم بذاته على أسس النقد التاريخى ، وجاء فيه لأول مرة باللغة العبرية قسم مفصل عن التوراة وعلى أساس من المصادر . ونهض بعدهما آخرون لتأسيس أصول النقد فى فروع مختلفة لنقد العهد القديم باللغة العبرية .

وبعد انتقال تحرير "البعث" إلى يوسف كلوزنر ، الذى اهتم أيضا بنقد العهد القديم وتاريخ بنى إسرائيل فى عصر العهد القديم ، استمرت فى الظهور الأبحاث عن تاريخ أدب العهد القديم ونشأت منابر جديدة لبحث اليهودية باللغة العبرية مثل "الشرق" التى كان أحد محرريها أفراهم زرزوفسكى ، مما يظهر عمق البحث فى لغة العهد القديم . ومن هذه المناظر "المستقبل" ، و"البدر" و"العصر" و"المقدس" وغيرها ، وهكذا احتل البحث العلمى فى فروع مختلفة لعلم العهد القديم مكانا ثابتا .

واجتاز المحرث ، وحرث الحقل المهجور وظهرت الإبداعات الجديدة لبداية هذا القرن أبناء الشيخوخة لنقد العهد القديم من الإسرائيليين الذين عصرهم مثل عصر العهد القديم نفسه . ومن خلال التردد الشديد ويخطئ دقيقة ويتأخر الزمن استمرت العقيدة العبرية العلمية وهبطت إلى إرثها القديم . ومن يعرف؟ ربما صفحات من كتاب ، بقيت مجهولة حتى الآن ، وتكشف مستقبلا ، ويأتى زمن ويقرع صاحب القلعة نفسه .

الفهرس

3	تقديم المراجع
15	تصدير المترجم
17	مقدمة
القسم الأول : نقد الموروث	
19	الفصل الأول : تثبيت العهد القديم
27	الفصل الثاني : النقد فى التلمود
41	الفصل الثالث : المحافظون والمعارضون
55	الفصل الرابع : علم النحو والبحث الدينى
83	الفصل الخامس : التفاسير النصرانية
91	الفصل السادس : بازوخ سبينوزا وأراؤه فى العهد القديم
القسم الثانى : النقد العلمى	
103	الفصل السابع : نظرية المصادر
119	الفصل الثامن : تحديد المصادر الأربعة
139	الفصل التاسع : فلهاوزن ومدرسته
149	الفصل العاشر : تأثير الحفريات
167	الفصل الحادى عشر : الاتجاهات الحديثة
القسم الثالث : النقد عند اليهود فى القرن التاسع عشر	
179	الفصل الثانى عشر : علم الدراسات اليهودية فى الغرب
	الفصل الثالث عشر : نقد العهد القديم فى الأدبيات العبرية
203	الحديثة

المشروع القومى للترجمة

- ١ - اللغة العليا (طبعة ثانية) جون كوين
- ٢ - الوثنية والإسلام ك. مادهو باتيكار
- ٣ - التراث المسروق جورج جيمس
- ٤ - كيف تتم كتابة السيناريو انجا كاريتكوفا
- ٥ - ثريا فى غيبوبة إسماعيل قصيح
- ٦ - اتجاهات البحث اللساني ميلكا إفينش
- ٧ - العلوم الإنسانية والفلسفة لوسيان غولدمان
- ٨ - مشعلو الحرائق ماكس فريش
- ٩ - التغيرات البيئية أندرو س. جودى
- ١٠ - خطاب الحكاية جيرار جينيت
- ١١ - مختارات فيسواغا شيمبوريسكا
- ١٢ - طريق الحرير ديفيد براونستون وإيرين فرانك
- ١٣ - ديانة الساميين روبرتسن سميت
- ١٤ - التحليل النفسى والأدب جان بيلمان نويل
- ١٥ - الحركات الفنية إدوارد لويس سميت
- ١٦ - أثينة السوداء مارش برنال
- ١٧ - مختارات فيليب لاركين
- ١٨ - الشعر الساسى فى أمريكا اللاتينية مختارات
- ١٩ - الأعمال الشعرية الكاملة جورج سفيريس
- ٢٠ - قصة العلم ج. كراوثر
- ٢١ - خوخة وألف خوخة صمد بهرنجى
- ٢٢ - مذكرات رحالة عن المصريين جون أنتيس
- ٢٣ - تجلى الجميل هانز جيورج جادامر
- ٢٤ - ظلال المستقبل باتريك بارنر
- ٢٥ - مثوى مولانا جلال الدين الرومى
- ٢٦ - دين مصر العام محمد حسين هيكل
- ٢٧ - التنوع البشرى الخلاق مقالات
- ٢٨ - رسالة فى التسامح جون لوك
- ٢٩ - الموت والوجود جيمس ب. كارس
- ٣٠ - الوثنية والإسلام (ط٢) ك. مادهو باتيكار
- ٣١ - مصادر لدراسة التاريخ الإسلامى جان سوفاجيه - كلود كاين
- ٣٢ - الانقراض ديفيد روس
- ٣٣ - التاريخ الاقتصادى لإفريقيا الغربية أ. ج. هويكتز
- ٣٤ - الرواية العربية روجر آلن
- ٣٥ - الأسطورة والعداة پول . ب . بيكسون
- ت : أحمد درويش
- ت : أحمد فؤاد بليغ
- ت : شوقي جلال
- ت : أحمد الحضري
- ت : محمد علاء الدين منصور
- ت : سعد مصلوح / وفاء كامل فايد
- ت : يوسف الأنطكى
- ت : مصطفى ماهر
- ت : محمود محمد عاشور
- ت : محمد معصم وعبد الجليل الأرنؤى وعمر حلى
- ت : هناء عبد الفتاح
- ت : أحمد محمود
- ت : عبد الوهاب علوب
- ت : حسن المولى
- ت : أشرف رفيق عفيفى
- ت : بإشراف / أحمد عثمان
- ت : محمد مصطفى بدوى
- ت : طلعت شاهين
- ت : نعيم عطية
- ت : يعنى طريف الخولى / بدوى عبد الفتاح
- ت : ماجدة العنالى
- ت : سيد أحمد على الناصرى
- ت : سعيد توفيق
- ت : بكر عباس
- ت : إبراهيم الدسوقي شتا
- ت : أحمد محمد حسين هيكل
- ت : نخبة
- ت : منى أبو سنه
- ت : بدر الدين
- ت : أحمد فؤاد بليغ
- ت : عبد الستار الطوجى / عبد الوهاب علوب
- ت : مصطفى إبراهيم فهمى
- ت : أحمد فؤاد بليغ
- ت : حصة إبراهيم المنيف
- ت : خليل كلفت

- ٢٦ - نظريات السرد الحديثة والاس مارتن
- ٢٧ - واحة سبوة وموسيقاها بريجيت شيفر
- ٢٨ - نقد الحداثة آلن تورين
- ٢٩ - الإغريق والحسد بيتر والكوت
- ٤٠ - قصائد حب آن سكستون
- ٤١ - ما بعد المركزية الأوروبية بيتر جران
- ٤٢ - عالم ماك بتجامين بارير
- ٤٣ - الله المزدوج أوكتايفيو بات
- ٤٤ - بعد عدة أصناف ألدوس هكسلي
- ٤٥ - التراث المغفور روبرت ج دنيا - جون ف آ هالين
- ٤٦ - عشرون قصيدة حب بابلو نيرودا
- ٤٧ - تاريخ النقد الأدبي الحديث (١) رينيه ويليك
- ٤٨ - حضارة مصر الفرعونية فرانسوا توما
- ٤٩ - الإسلام في البلدان هـ - ت - نوريس
- ٥٠ - ألف ليلة وليلة أو القول الأسير جمال الدين بن الشيخ
- ٥١ - مسار الرواية الإسبانية الأمريكية داريو بيانوبيا وخ - م بيتاليستي
- ٥٢ - العلاج النفسي التذمعي بيتر - ن - نوفاليس وستيفن - ج - روجسيفتزر وروجر بيل
- ٥٣ - الدراما والتعليم أ . ف . ألتجتون
- ٥٤ - المفهوم الإغريقي للمسرح ج . مايكل والتون
- ٥٥ - ما وراء العلم جون بولكنجهوم
- ٥٦ - الأعمال الشعرية الكاملة (١) فديريكو غرسيه لوركا
- ٥٧ - الأعمال الشعرية الكاملة (٢) فديريكو غرسيه لوركا
- ٥٨ - مسرحيات فديريكو غرسيه لوركا
- ٥٩ - المحبرة كارلوس مونييث
- ٦٠ - التصميم والشكل جوهانز ايتن
- ٦١ - موسوعة علم الإنسان شارلوت سيمور - سميت
- ٦٢ - لذة النص زولان بارت
- ٦٣ - تاريخ النقد الأدبي الحديث (٢) رينيه ويليك
- ٦٤ - برتراند راسل (سيرة حياة) آلان وود
- ٦٥ - في مدح الكسل ومقالات أخرى برتراند راسل
- ٦٦ - خمس مسرحيات أندلسية أنطونيو جالا
- ٦٧ - مختارات فرناندو بيسوا
- ٦٨ - نتاشا العجوز وقصص أخرى فالنتين راسيوتين
- ٦٩ - العالم الإسلامي في أوائل القرن العشرين عبد الرشيد إبراهيم
- ٧٠ - ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية أوكينيو تشانج وودريجت
- ٧١ - السيدة لا تصلح إلا للرمي داريو فو
- ت : حياة جاسم محمد
- ت : جمال عبد الرحيم
- ت : أنور عقيت
- ت : منيرة كروان
- ت : محمد عبد إبراهيم
- ت : عطف أحمد / إبراهيم قحى / محمود ملحد
- ت : أحمد محمود
- ت : المهدي أخريف
- ت : مارلين تادرس
- ت : أحمد محمود
- ت : محمود السيد على
- ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
- ت : ماهر جويجاني
- ت : عبد الوهاب غلوب
- ت : محمد برادة وعلماني القنود ويوسف الأسطى
- ت : محمد أبو العطا
- ت : لطفي فطيم وغادل دمرداش
- ت : فرسي سعد الدين
- ت : محسن مصيلحي
- ت : علي يوسف على
- ت : محمود علي مكي
- ت : محمود السيد ، ماهر البطوطي
- ت : محمد أبو العطا
- ت : السيد السيد سهيم
- ت : صبري محمد عبد الغني
- مراجعة وإشراف : محمد الجوهري
- ت : محمد خير اليقاعي
- ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
- ت : رمسيس عوض
- ت : رمسيس عوض
- ت : عيد الطيف عبد الحليم
- ت : المهدي أخريف
- ت : أشرف الصباغ
- ت : أحمد فؤاد متوكي وهويدا محمد قهني
- ت : عبد الحميد غلاب وأحمد حشاد
- ت : حسين محمود

- ٧٢ - السياسي العجوز
٧٣ - نقد استجابة القارئ
٧٤ - صلاح الدين والمالِك في مصر
٧٥ - فن التراجم والسير الذاتية
٧٦ - جاك لانك و لغواء التحليل النفسي
٧٧ - تاريخ النقد الأدبي الحديث ج ٢
٧٨ - العولمة: الثورة الصناعية والثقافة الكونية
٧٩ - شعورية التأليف
٨٠ - يوشكين عند «نافورة الدموع»
٨١ - الجماعات المتخيلة
٨٢ - مسرح ميغيل
٨٣ - مختارات
٨٤ - موسوعة الأدب والنقد
٨٥ - منصور الحلاج (مسرحة)
٨٦ - طول الليل
٨٧ - نون والقلم
٨٨ - الابتلاء بالغرب
٨٩ - الطريق الثالث
٩٠ - رسم السيف (قصص)
٩١ - المسرح والتجريب بين النظرية والتطبيق
٩٢ - أساليب ومضامين المسرح
الإسبانيون أمريكي المعاصر
٩٣ - محدثات العولمة
٩٤ - الحب الأول والصحية
٩٥ - مختارات من المسرح الإسباني
٩٦ - ثلاث زبقات ووردة
٩٧ - هوية قرشما (مج ١)
٩٨ - الهم الإنساني والانتزاع الصهيني
٩٩ - تاريخ السينما العالمية
١٠٠ - مسافة العولمة
١٠١ - النص الروائي (تقنيات ومناهج)
١٠٢ - السياسة والتسامح
١٠٣ - قبر ابن عربي يليه آباء
١٠٤ - أوبرا ماهوجني
١٠٥ - مغل إلى النص الجامع
١٠٦ - الأدب الأندلسي
١٠٧ - صورة القناني في الشعر العربي المعاصر
- ت . س . إليوت
جين . ب . تومكينز
ل . ا . سبيغولفا
أنثريه موروا
مجموعة من الكتاب
رينيه ويليك
رونالد روبرتسون
بوريس أومبسنسكي
ألكسندر بوشكين
بنكت أندرسن
ميغيل دي أونامونو
غوتفريد بن
مجموعة من الكتاب
صلاح زكي أقطاي
جمال ميز صادق
جلال آل أحمد
جلال آل أحمد
أنطوني جينز
نخبة من كتاب أمريكا اللاتينية
يارير الاسوسنكا
كارلوس ميغل
مايك فيرمستون وسكوت لاش
صمويل بيكيت
أنطونيو بوويرو بايخو
قصص مختارة
فرنان برودل
تماذج ومقالات
ديفيد روبنسون
بول هيرست وجراهام تومسون
بيرنار فاليط
عبد الكريم الخطيب
عبد الوهاب المؤيد
برنولت بريشت
جيرار جينيت
ماريا خيسوس روبييرامتي
نخبة
- ت : فؤاد مجلي
ت : حسن ناظم وعلى حاكم
ت : حسن بيومي
ت : أحمد ترويش
ت : عبد المقصود عبد الكريم
ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
ت : أحمد محمود ونورا أمين
ت : سعيد الغانمي وناصر حلاوي
ت : مكارم الغمري
ت : محمد طارق الشرقاوي
ت : محمود السيد علي
ت : خالد المعالي
ت : عبد الحميد شبيحة
ت : عبد الرازق بركات
ت : أحمد فتحي يوسف شتا
ت : ماجدة الغناني
ت : إبراهيم التسوقي شتا
ت : أحمد زايد ومحمد محيي الدين
ت : محمد إبراهيم ميروك
ت : محمد هناء عبد الفتاح
ت : نادية جمال الدين
ت : عبد الوهاب علوب
ت : فوزية العشماوي
ت : أسرى محمد محمد عبد الطيف
ت : إدوار الخراط
ت : بشير السباعي
ت : أشرف الصياغ
ت : إبراهيم قنديل
ت : إبراهيم فتحي
ت : رشيد بنحدو
ت : عز الدين الككائي الإدريسي
ت : محمد بنيس
ت : عبد الغفار مكاوي
ت : عبد العزيز شبيل
ت : أشرف علي دعور
ت : محمد عبد الله الجعدي

١٠٨ - ثلاث نوازل عن الشعر الأندلسي	مجموعة من النقاد	ت : محمود علي مكي
١٠٩ - حروب الحياة	جون بولوك وعادل درويش	ت : هاشم أحمد محمد
١١٠ - النساء في العالم النامي	حسنه بيجوم	ت : منى قطان
١١١ - المرأة والجريمة	فرانسيس هينسون	ت : ريهام حسين إبراهيم
١١٢ - الاحتجاج الهادئ	أرلين علوي ماكليود	ت : إكرام يوسف
١١٣ - راية التمرد	ساندي بلانت	ت : أحمد حسان
١١٤ - مسرحيات حماد كوني وسكان المستنقع	ول شوينكا	ت : نسيم مجلي
١١٥ - غرفة تخص المرء وحده	فرجينيا وولف	ت : سميرة رمضان
١١٦ - امرأة مختلفة (درية شفيق)	سينثيا تلسون	ت : نهاد أحمد سالم
١١٧ - المرأة والجنوسة في الإسلام	ليلي أحمد	ت : منى إبراهيم ، وهالة كمال
١١٨ - النهضة النسائية في مصر	يث بارون	ت : ليس النقاش
١١٩ - النساء والأسرة وقوانين الطلاق	أميرة الأزهرى سنبل	ت : بإشراف / رؤوف عباس
١٢٠ - الدولة السائبة والتطور في الشرق الأوسط	ليلي أبو لغد	ت : نخبه من المترجمين
١٢١ - الليل الصغير في كتابة المرأة العربية	فاطمة موسى	ت : محمد الجندي ، وإيزابيل كمال
١٢٢ - نظام العبودية القديم ونموذج الإنسان	جوزيف فوجت	ت : منيرة كروان
١٢٣ - امبراطورية العشانية وعلاقاتها الدولية	نيلز الكسنندر وفنادولينا	ت : أنور محمد إبراهيم
١٢٤ - الحجر الكاتب	جون جرائ	ت : أحمد فؤاد بلبح
١٢٥ - التحليل الموسيقي	سيفريك ثورب ديفلي	ت : سمحة الخولي
١٢٦ - فعل القراءة	فولفغانج إيسر	ت : عبد الوهاب علوب
١٢٧ - إرهاب	صفاء قنصى	ت : بشير السباعي
١٢٨ - الأدب المقارن	سوزان باسنيت	ت : أميرة حسن نويرة
١٢٩ - الرواية الإسبانية المعاصرة	ماريا دولورس أميس جاروته	ت : محمد أبو العطا وآخرون
١٣٠ - الشرق يصعد ثانية	أندريه جوندز فرانك	ت : شوقي جلال
١٣١ - مصر القديمة (التاريخ الاجتماعي)	مجموعة من المؤلفين	ت : لويس بقطر
١٣٢ - ثقافة العولة	مايك فينرستون	ت : عبد الوهاب علوب
١٣٣ - الخوف من المرايا	طارق علي	ت : طلعت الشايب
١٣٤ - تشريح حضارة	باري ج. كيمب	ت : أحمد محمود
١٣٥ - المختار من نقد س. إليوت (ثلاثة أجزاء)	ت. س. إليوت	ت : ماهر شفيق فريد
١٣٦ - فلاحو الباشا	كينيث كوني	ت : سحر توفيق
١٣٧ - منكرات ضليط في الصلة الفرنسية	جوزيف ماري مواريه	ت : كاميليا صبحي
١٣٨ - عالم التلفزيون بين الجمال والعنف	إيلينا تاروني	ت : وجيه سمعان عبد المسيح
١٣٩ - باريسقال	ريشارد فاچنر	ت : مصطفى ماهر
١٤٠ - حيث تلتقي الأنهار	هربرت ميسن	ت : أمل الجبوري
١٤١ - اثنتا عشرة مسرحية يونانية	مجموعة من المؤلفين	ت : نعيم عطية
١٤٢ - الإسكندرية : تاريخ ودليل	أ. م. فورستر	ت : حسن بيومي
١٤٣ - قضايا التنظير في البحث الاجتماعي	ديريك لايدار	ت : عدلي السمري
١٤٤ - صاحبة اللوكاندة	كارلو جولدوني	ت : سلامة محمد سليمان

- ١٤٥ - موت أرتيميو كروث
١٤٦ - الورقة الحمراء
١٤٧ - خطبة الإدانة الطويلة
١٤٨ - القصة القصيرة (النظرية والتقنية)
١٤٩ - النظرية الشعرية عند إليوت وأندريس
١٥٠ - التجربة الإغريقية
١٥١ - هوية فرنسا (مج ٢ ، ج ١)
١٥٢ - عدالة الهند وقصص أخرى
١٥٣ - غرام الفراغة
١٥٤ - مدرسة فرانكفورت
١٥٥ - الشعر الأمريكي المعاصر
١٥٦ - المدارس الجمالية الكبرى
١٥٧ - خسرو وشيرين
١٥٨ - هوية فرنسا (مج ٢ ، ج ٢)
١٥٩ - الإيديولوجية
١٦٠ - آلة الطبيعة
١٦١ - من المسرح الإسباني
١٦٢ - تاريخ الكنيسة
١٦٣ - موسوعة علم الاجتماع
١٦٤ - شامبوليون (حياة من نور)
١٦٥ - حكايات الخطب
١٦٦ - العلاقات بين التبت والهند في إسرائيل
١٦٧ - في عالم طاغور
١٦٨ - دراسات في الأدب والثقافة
١٦٩ - إبداعات أنبية
١٧٠ - الطريق
١٧١ - وضع حد
١٧٢ - حجر الشمس
١٧٣ - معنى الجبال
١٧٤ - صناعة الثقافة السوداء
١٧٥ - القليلين في الحياة اليومية
١٧٦ - نحو مفهوم للاقتصاد البيئي
١٧٧ - أساطير شخوف
١٧٨ - مقالات من الشعر الحديث
١٧٩ - حكايات أيسوب
١٨٠ - قصة جلود
١٨١ - النقد الأدبي الأمريكي
- ت : أحمد حسان
ت : علي عبد الرؤوف البمبي
ت : عيد الغفار مكاوي
ت : علي إبراهيم علي منوفي
ت : أسامة إسبر
ت : منيرة كروان
ت : بشير السباعي
ت : محمد محمد الخطابي
ت : فاطمة عبد الله محمود
ت : خليل بكفت
ت : أحمد مرسى
ت : مي التماسي
ت : عبد العزيز بقوش
ت : بشير السباعي
ت : إبراهيم فتحي
ت : حسين بيومي
ت : زيدان عبد العظيم زيدان
ت : صلاح عبد العزيز محجوب
ت : مجموعة من المترجمين
ت : نبيل سعد
ت : سهير المصانفة
ت : محمد محمود أبو غدیر
ت : شكرى محمد عياد
ت : شكرى محمد عياد
ت : شكرى محمد عياد
ت : بسام ياسين رشيد
ت : هدى حسين
ت : محمد محمد الخطابي
ت : إمام عبد الفتاح إمام
ت : أحمد محمود
ت : وجيه سمعان عبد المسيح
ت : جلال البنا
ت : حصه إبراهيم منيف
ت : محمد حمدي إبراهيم
ت : إمام عبد الفتاح إمام
ت : سليم عبد الأمير حمدان
ت : محمد يحيى
- كارلوس فوينش
ميجيل دى ليس
تاتكريد نورست
إنريكي أنترسون إمبرت
عاطف فضول
روبرت ج. لينمان
فرنان برودل
نخبة من الكتاب
فيولين فانويك
فيل سليشر
نخبة من الشعراء
جى أنبال وآلان وأوديت فيرمو
النظامى الكونجى
فرنان برودل
نيليد هوكس
بول إيرليش
اليفاندرو كاسونا وأنطونيو جالا
يوخنا الاسيورى
جوردين مارشال
جان لكونتير
أ. ن. أفانا سيفا
يشعياهو ليفمان
رايندراوات طاغور
مجموعة من المؤلفين
مجموعة من المبدعين
ميفيل دالبيس
فرائك بيجو
مختارات
ولتر ت. ستيس
أيليس كاشمور
لورينزو فيلشس
توم تيتنبرج
هنرى تروايا
نخبة من الشعراء
أيسوب
إسماعيل فصيح
فنسنت. ب. لينش

١٨٢ - العنف والنبوة	و . ب - بيتس	ت : ياسمين طه حافظ
١٨٣ - جان كوكو على شاشة السينما	رينيه جيلسون	ت : فتحي العشري
١٨٤ - القاهرة .. حاملة لا تنام	هانز إيندورفر	ت : نسوقي سعيد
١٨٥ - أسفار العهد القديم	توماس تومسن	ت : عبد الوهاب غلوب
١٨٦ - معجم مصطلحات هيجل	ميخائيل أنوود	ت : إمام عبد الفتاح إمام
١٨٧ - الأرضة	بزرّج علوي	ت : علاء منصور
١٨٨ - موت الأدب	الفيّ كرنان	ت : بدر الديب
١٨٩ - العمى والبصيرة	بول دي مان	ت : سعيد الغانمي
١٩٠ - محاورات كونفوشيوس	كونفوشيوس	ت : محسن عبد فرجاني
١٩١ - الكلام وأعمال	الحاج أبو بكر إمام	ت : مصطفى حجازي السيد
١٩٢ - مباحثاته إبراهيم بيك	زين العابدين المرافي	ت : محمود سلامة علاوي
١٩٣ - عامل المنجم	بيتر أبراهامز	ت : محمد عبد الواحد محمد
١٩٤ - محاضرات من القدا الخطير - ليريكي	مجموعة من النقاد	ت : ماهر شفيق فريد
١٩٥ - شتاء ٨٤	إسماعيل فصيح	ت : محمد علاء الدين منصور
١٩٦ - المهلة الأخيرة	فالنتين راسبوتين	ت : أشرف الصباغ
١٩٧ - الفاروق	شمس العلماء شيلي النعماني	ت : جلال السعيد الحفناوي
١٩٨ - الاتصال الجماهيري	إنوين إمري وآخرون	ت : إبراهيم سلامة إبراهيم
١٩٩ - تاريخ يهود مصر في الفترة العثمانية	يعقوب لاندواي	ت : جمال أحمد الرفاعي وأحمد عبد اللطيف حماد
٢٠٠ - ضحايا التنمية	جيرمي سبيروك	ت : فخرى لبيب
٢٠١ - الجانب البيني للفلسفة	جوزايا رويس	ت : أحمد الأنصاري
٢٠٢ - تاريخ القدا الألبى الحديث ج١	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٢٠٣ - الشعر والشاعرية	ألفاف حسين جالي	ت : جلال السعيد الحفناوي
٢٠٤ - تاريخ نقد العهد القديم	زلمان شازار	ت : أحمد محمود هويدي

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رقم الإيداع ١٤٥٤٨ / ٢٠٠٠



מפרד"ס התנ"ך

מחקרים במקרא

ובתולדות ביקורת המקרא

זלמן שזר

يقدم هذا الكتاب عرضاً موجزاً لتاريخ نقد العهد القديم : حيث يبدأ بوصف عملية تثبيت نص التوراة ، وهي عملية نقدية قام بها (غزرا الكاتب) في القرن الخامس قبل الميلاد : حيث تم تدوين التوراة من خلال عملية تحرير للروايات الشفهية . ويشير الكتاب إلى النسخ التوراتية المختلفة وموقف الفرق اليهودية من العهد القديم ، وعملية البحث عن مؤلفي العهد القديم ، وموقف علما ، التلمود من العهد القديم .

وقد أشار المؤلف إلى ازدهار النقد في الأندلس بعد ظهور علوم اللغة والنحو بتأثير من علوم اللغة العربية . وتناول تطور التفاسير المسيحية للعهد القديم ، وبخاصة عند مارتن لوتر وتلاميذه . كما اهتم بتوضيح دور الفيلسوف اليهودي سبينوزا في تطوير نقد العهد القديم وإثارة للعديد من المشاكل النقدية .

وتعرض المؤلف لنظرية المصادر في النقد الغربي للعهد القديم بداية من أستروك وتحديد المصدرين اليهودي والألوهيمي ، وإضافات أشيهورن ، وملاحظات هيردر ، وتشعبات إجن المصدريّة ، وآراء جديس وفيشر ودي- فته ، وتحديد المصادر الأربعة للتوراة . وقد ناقش آراء مدرسة يوليوس فلهاوزن في تطوير علم نقد العهد القديم ، كما تعرض للآراء الحديثة بعد مدرسة فلهاوزن .

وقد اهتم الكتاب بإعطاء ردود الفعل اليهودية تجاه النقد العلمي للعهد القديم وتصور نقد يهودي حديث بداية من نشأة مدرسة علم اليهودية ، ونقد العهد القديم في الأدبيات العبرية وأهميته أيضا في نشأة نقد العهد القديم في العصر الحديث .